

المكتبة التاريخية

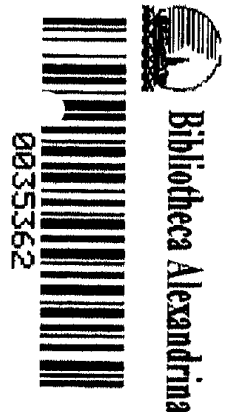
الأسماعيليون في بلاد الشام
على عصر الحروب الصليبية
٤٩١ - ٦٩١ هـ = ١٠٩٧ - ١٢٩٠ م

دكتور،

عنان عبد الحيد عسري

كلية الآداب جامعة القاهرة بالخرطوم

١٩٨٣ / ١٩٨٢



المكتبة التاريخية

المجلد : ١ - مكتبة الاسكندرية
أتم التحرير : ١٤٧٠ هـ
رقم التسجيل : ١٧٦٧

الأسْمَاعِيلِيُّونَ فِي بِلَادِ الشَّامِ
عَلَى عَصْرِ الْحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ
٤٩١ - ٦٩١ هـ = ١٠٩٧ - ١٢٩٠ م

دكتور:

عفان عبد الحميد عسري

كلية الآداب جامعة القاهرة بالخرطوم

١٩٨٣ / ١٩٨٢

محتويات البحث

صفحة

عرض وتحليل

الفصل الاول

نشأة الاسماعيلية وامتداد نشاطهم الى بلاد الشام

نظرة عامة على حالة مصر في عهد المستنصر بالله • الشدة العظمى مذخل هام للحكم الجمالي في مصر • موت المستنصر واثره في انقسام الدعوة • دور الافضل شاهنشاه في ذلك الصراع النزاری المستعمر حول الامام • مقتل نزار • انتصار المستعمر واثره في ظهور الدعوة النزارية في الشرق • الحسن بن الصباح • دور النزارية • الدعوة في فارس واصفهان حصن الموت ودوره في نشر الدعوة في المشرق الاسلامي الاسماعيلية اغتيال الافضل شاهنشاه • مناقشة حول اغتياله وموقف الراي العام من ذلك الحادث • الاسماعيلية واغتيال الامر • مناقشة حول اغتياله وموقف الراي العام • راى الباحث في الحادثين • احمد بن عطاءش وقلاع الاسماعيلية في عصره ملكشاه ونظام الملك • علاقة الحسن بن الصباح بنظام الملك وعمر الخيام وموقف نظام الملك من الاسماعيلية • اغتيال نظام الملك مناقشة وراى • حول قضية اغتياله • براءة الاسماعيلية من جريمة قتله • انتقال الدعوة الى بلاد الشام • موقف المستعمر في مصر من النزارية في بلاد الشام •

الفصل الثاني

الاسماعيلية والقوى السلامية في بلاد الشام في القرنين
الثاني عشر والثالث عشر

الحالة السياسية في بلاد الشام اواخر عهد المستنصر • السياسي

والدعوة الاسماعيلية في بغداد • الحكم العباسي واثره في نشسر
الدعوة في الشام والعراق فشل ثورة البساسيري ومقتله • الاسماعيلية
والسلاجقة • الب ارسلان ونظام الملك والتوسع السلجوقي في بلاد
الشام • موقعة ماتزكرت واثرها في التفوق السلجوقي على الاسماعيلية
في بلاد الشام • ملكشاه ومحاولته فتح مصر • فشله في ذلك • الصراع
الاسماعيلي السلجوقي حول دمشق وحلب وبيت المقدس • تنش هو • سس
دولة سلاجقة الشام • مقتله واثره في تقسيم ملكه • كيف كان سلاجقة
الشام عاملا اساسيا في نشر النفوذ الاسماعيلي • حلب كمركز جده يـد
وهام للاسماعيلية • القرامطة والاسماعيليون في بلاد الشام • الحسن
بن الصباح واقليم والشام • ابو طاهر الصايغ في بلاد الشام • الحكيم
المنجم ودوره في حلب • الامير رضوان واسماعيليه مصر • اثر الاسماعيلية
في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في حلب • الاغتيالات
اغتيال جناح الدولة واثره • ابو الفتح السوميني • اغتيال خلف
بن ملاعب ونناجحه • موقف اهل حلب من الاسماعيلية • الاسماعيلية
واغتيال مودود • راي حول ذلك • الاسماعيلية اغتيال اق سنقر البرسقي
واسبابه • اسماعيلية حلب التاجر المشرقي الخجندی • ثورة حلب
ضد الاسماعيلية • اغتيال الرئيس ابن بديع • الاسماعيليون في دمشق
ملفتين والاسماعيلية • المؤامرات الاسماعيلية حول دمشق بهـرام
الاستراباذي واصحاب وادي البتم • ابو الوفاء الاسماعيلي يتولـى
قضاء دمشق الاسماعيليون وحصن بانياس • الوزير الزدغانـي
واسباب انضمامه للاسماعيلية • مذبحه دمشق ومحاوله اغتيال تساج
الملوك بوري • الاسماعيليون في بغداد • اغتيال الخديفة المسترشد
اغتيال الراشد • تعاون اسماعيلي عباسي •

الفصل الثالث

الاسماعيلية والقوى الصليبية في بلاد الشام
في القرنين الثاني عشر والثالث عشر

صفحة

بلاد الشام بين غزوين • الاسماعيلي من الشرق والصليبي
من الغرب • التوسع الصليبي في بلاد الشام • موقف الاسماعيلية
من الخطر الصليبي • عوامل التحالف بين الاسماعيلية والصليبيين
الخلافه العباسية والخطر الصليبي في الشام • الترحيب بالغزوين
الصليبي في بلاد الشام ومناقشة حول اسباب ذلك • فتح بيت
المقدس وموقف الاسماعيلية من ذلك • الحملات الاسماعيلية على
بلاد الشام وفشلها • استيلاء الصليبيين على مدن الشام الساحلية
ودور الاسماعيلية في ذلك • حصن بانياس واهمية سقوطه في يـ
الصليبيين • شيخ الباطنية على وفاء وتحالفه مع ريموند بواتيه ضد
نور الدين • نور الدين وفتح مصر • الصراع النوري الاسماعيلي
الصليبي حول مصر • تحالف راشد الدين سنان وعموري ضد نور
الدين • اغتيال رسل المفاوضات الاسماعيلية الصليبية على
مشارف طرابلس • اتهام راشد الدين سنان بقبول اعتناق المسيحية
ورأى • الاغتيالات • اغتيال ريموند الثاني امير طرابلس • اغتيال
كونراد مونتفرات مناقشة ورأى حول ذلك • صلح الرملة وخضوع
الاسماعيلية لصالح الدين • الاسماعيلية والابستارية • الاسماعيلية بعد
سنان وعلاقتهم بالصليبيين • اغتيال ريموند الابن الاكبر ليوهنسد
الرابع واثره • العلاقات الاسماعيلية الايوبية ضد الصليبيين • اغتيال
البرت بطريك بيت المقدس • موقف البابوية من الاسماعيلية نتيجة
لذلك •

الفصل الرابع

اتكماش النفوذ الاسماعيلية على عصر سلاطين

المماليك في بلاد الشام

صفحة

حالة بلاد الشام عند قيام دولة المماليك في مصر سنة ١٢٥٠ .
الحشيشية والصليبيون . موقف اسماعيلية الشام من المماليك في
مصر . ظهور التتار . سقوط حصون الاسماعيلية في بلاد فارس
والشام في ايديهم . موقعة عين جالوت واثرها في عودة ظهور نفوذ
الاسماعيلية . تمرد الاسماعيلية ضد الحكم المماليكي في بلاد
الشام . الطاهر بيبرس يستولى على حصون الاسماعيلية . خضوع
الاسماعيلية في بلاد الشام للحكم المماليكي . اثر ذلك في المجتمع
الاسلامي في مصر والشام .

المصادر والمراجع

بسم الله الرحمن الرحيم

تنسب الاسماعيليه الى اسماعيل بن جعفر الصادق ، وهـمـسـى
احدى فرق الاماميه وتعتبر الموءسسـه للباطنية والتاويل . ومنـهـا تفرغت
فروعـه عديـدة .

والمعروف عن الاسماعيليه انهم لعبوا دورا خطيرا على عصر الحروب
الصليبيه فى بلاد الشام . وقد تمثل هذا الدور فى مقاومتهم للمذهب
السنى والعمل على الفتك باهله وزعمائه وقادته من ناحيه ، ثم فى مقاومه
الصليبيين والفتك بزعمائهم من ناحية اخرى .

ولاشك فى ان الدور الذى قام به الاسماعيليون فى بلاد الشام
على عصر الحروب الصليبيه يستحق الدراسة لاستجلاء الحقائق الخاصة
به فى كشف النقاب عن جوانبه الغامضة . وهذا ما استهدفت القيام
به فى بحثى هذا .

وقد ظهر الاسماعيليون على مسرح الاحداث التاريخيه عقب
موت الامام جعفر الصادق عام ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م . اذ التف انصاره
حسول حفيده ، محمد بن اسماعيل الذى — كما تنص عقيدتهم —
انتقلت اليه الامامة مباشرة دون ان يكون لعمه موسى بن جعفر اكـثـر
من دور الامام المستودع .

(ب)

وبموت الامام محمد بن اسماعيل بدأ دور الائمة المستورين .
وهم عبد الله بن محمد الذي اتخذ المستر وسيلة حتى لا يقع تحت
سائلة الخلافة العباسية التي عملت جاهدة على تعقبهم والفتن بهم .
فكان كثير التنقل بين نهاوند والاهواز وطبرستان . وقد عاصر الخليفين
الرشيد ولهمون وكان من اهم علاماته الستر . لدرجة انه سـمـى
جميع دعائه باسمه حتى لا ينكشف امره ولا يعرّنه احد . مما كان له اثره
في تعميمه الامر على السلطة الحاكمة وكما عبر الداعي عماد الدين ادريس:
فقد كان استئثاره كظلمة الليل الشديد وذلك لما غلب الباطل على
الحق ولشدة دولة الظلم من آل عباس وعظم الرب والوسواس . وقد اتخذ
ذلك الامام من المعرة ثم من بعدها سلبه من الدعوة ، لتنتشر
منها الى سائر الاقطار الاسلامية . ولا تزال سلميه حتى اليوم هي
المقر الرئيسي لاتباع المذهب الاسماعيلي في القطر السوري من بلاد الشام

ثم تولى امر الدعوة من بعده ابنه احمد الذي ولد في سلميه عام
١٩٨ هـ / ٨١٣ م . فاتخذها فيما بعد مقرا له ومركزا لدعوته التي استعان
فيها بالداعي عبد الله بن ميمون القداح .

امتاز ذلك الامام بانه كان على جانب كبير من العلم والثقافة
فضلا عن دهائه الذي تمثل في تنقلاته المختلفه بين الديلم والكوفة
وغيرها متظاهرا بالاعمال التجارية التي اخفت في حيايتها ما كان يبذل

(ج)

في سبيل نشر الدعوة الاسماعيلية ومبادئها والعمل على تذكيره الافكار
الاسماعيلية لتقويض دعائم واركان الخلافة العباسية .

والمعروف انه عاصر الخليفة المأمون وشارك في تاليف الثورات ضده
وكان من اساليب اختفائه وسهره قضاء الشتاء في سلميه والصيف في
مصياف حيث مات بها عام ٢٦٥ هـ / ٨٧٨ م .

ومن هذا يبدو ان بذور الدعوة القيت في ارض مصياف لتؤتي
ثمرها عندما استولى عليها الاسماعيليون فيما بعد وعلى وجه التحديد
عام ٥٣٥ هـ / ١١٤٠ م .

ثم آلت الدعوة بعد وفاته الى ابته الحسين بن احمد السدي
كان قد ولد في مصياف عام ٢١٩ هـ / ٨٣٤ م ، وانتقل الى سلميه المركز
القديم للدعوة . ويبدو ان رجال هذه الدعوة كانوا على جانب كبير
من الشراء . حيث انهم عملوا في التجارة كوسيلة للعيش من ناحية ،
ولاخفاء حقيقة امرهم ودورهم الطبيعي في الحياة الاجتماعية والسياسية
من ناحية اخرى . يضاف الى ذلك ان اموال طائفة كانت تحمل اليهم
من كافة الجهات الخاضعة لنفوذ اتباعهم من المريدين ، والرفقاء .
كل ذلك ليتمكنوا من الانفاق السخي على دعوتهم ودعاتهم .

(٢)

وفي ذلك المناخ السياسي المفعم بالكراهية والبغض الشديدين للسلطة الحاكمة ، كانت الحركات الشيعية تأخذ طريق الجد يد ضد الخلافة العباسية .

فالاثنا عشرية من ناحية والاسماعيلية من ناحية اخرى كل منهما حاولت جاهدة تقويض عرض الخلافة القائمة بكل الوسائل المتلفة ، فضلا عن كسب اكبر عدد من انصار الدعوة للمهاشمين . ولكن اذا ما استعرضنا سير الحوادث نجد ان الغلبة كانت للاسماعيلية حيث كان جناحهم — كما اوضحنا في متن البحث — اكثر نشاطا واوسع طموحا من ابناء عمومته الاثنا عشرية . وكانت غيبة الامام الاثنا عشرى من اهم العوامل الرئيسية التى ساعدت على انضمام معظم دعائهم الى الدعوة الاسماعيلية .

فمثلا نجد الداعى ابا القاسم حسن بن فرج بن حوشب " منصور اليمى " وعلى بن الفضل ، يلتقيان بالامام الحسين بن احمد بالنجف الاشرف . فيؤثر فيهما بدعوته . فينفذان عنهما غبار الاثنا عشرية ليلتحقا بلحاف الاسماعيلية . ومن سلميه حيث تاسست مدرسة الاسماعيلية الكبرى خرج اكبر دعائهم ابو عبد الله الشيعى المؤسس الاول للدولة الاسماعيلية في بلاد المغرب .

وفي ذلك الوقت لم يأل ابو القاسم وزميله جهدا في نشر الدعوة ففى بلاد اليمن . ويحدثنا صاحب كتاب غاية الامانى ان الدعوة فشت ففى

(هـ)

البلاد وظهر امرها • وكان ان ابتغى ابو القاسم حصنا بجبل لاعسه وجيش الجيوش واقتتح الكثير من مدن اليمن وملك صنعاء • كما ارسل دعاته الى اليمامة والبحرين وبلاد السند والهند ونواحي مصر والمغرب

وتعتبر حركة منصور اليمن هذه اول حركة اسماعيلية ناجحه • بل انها تمثل اول دولة اسماعيلية ظهرت في التاريخ وقامت باسم الامام الاسماعيلى المنتظر •

ثم ياتى دور المغرب الذى ساعدت بداوة اهله وفطرتهم على التمكين للدعوة • الامر الذى مكن دعاة الاسماعيلية من تثبيت اقدامهم ونشر دعوتهم في تلك البلاد بيسر وسهولة • يضاف الى ذلك اهمال الخليفة العباسية لشئون تلك الاقاليم لبسدها • ومما اوجد ارضا صالحة نبتت فيها بذور الاسماعيلية التى القى بها الداعيان ابو سفيان والحلواني من قبل ليحرثها فيما بعد الداعى ابو عبد الله الشيعى ولتنتب شجرتها فتتغل بلاد المغرب ومصر والشام وبقاع كثيرة من الشرق الاسلامى فضلا عن بعض جزر بحر الروم (الابيض المتوسط) •

وجاء بعد ذلك دور مصر التى عرفت من قبل حركات العلويين واحتضنت بعض قوارها • وكانت ملجأ للحا وامينا للمهاجرين من سطوة الامويين ثم العباسيين من بعد • لتصبح دار خلافة ومقر الخليفة اسماعيلى بعد ان كانت ولاية من ولايات الدولة الاسلامية ومصر من امصارها •

(٤)

(و)

ومن مصر خرج الاسماعيليون الى بلاد الشام على عهد جعفر بن فسالج وجوهر القائد ليبدثوا مبادئهم التي ساعدت ابن الصباح فيما بعد على ان يبعث بركائزه التي رغم وقفت عليها دعائم دعوته النزاريه . والتي عملت جاهده مع شقيقتها المستعلوية رغم تبانيهما واختلافهما — على استخلاص بلاد الشام ما امكنهما ذلك من يد اصحابها السلاجقة او — العباسيين .

وتتدرج الدعوة الاسماعيلية في سبع مراتب بنيت كل منها على الاخرى وقد عرضها الغزالي — وهو اول من تصدى لدعوتهم — بالنقصد والتفنيد على الوجه التالي :

١ — التانيس :

وهو ان يعمل الداعي على ان تضمن نفس المدعو اليه .
فيأتيه من زاويته الدينيه او المذهبيه . فيحدثه بشيء من الكلام الرقيق واضراف من المواعظ اللطيفة الآخذة بمجامع القلوب .

٢ — التشكيك :

ويقوم على تغيير اعتقاد المستجيب بان يزلزل عقيدته فيما هو مصمم عليه او موثق له . كأن يلقي عليه اسئلة من تفسير بعض الايات القرآنية الكريمة والاحكام الدينية المختلفة .

(٥)

٣ - التعليق :

وهو أن يتركه معلقا فيما القى عليه من الاسئلة • وهنا يتعين على
الداعى ان يهول على المدعو الامر ويعظمه •

٤ - الربط :

وهو ان يربط - المدعو - لسانه بايمان مغلفة • وعمود مؤكده
لا يجسر معها على المخالفة لها باى حال من الاحوال •

٥ - التدليس :

وهو عدم السماح ببث الاسرار الى المدعو دفعه واحده • ولكن على
الداعى ان يتدرج به الى سبع مراتب اخرى جانبية تدخل كلها
تحت ذلك البند •

٦ - التلبيس :

هو ان يوا - ث على مقدمات يتسلمها منه مقبولة للظاهر مشهورة
عند الناس ذائعة • ويرسخ ذلك فى نفسه مدة • ثم يستدرجه منها
بنفائج باصله •

٧ - الخلع والسلخ :

وهما متفقان • وانما يفترقان فى ان الخلع يختص بالعمل • فاذا افضوا
بالمستجيب الى ترك حدود الشرع وتكاليفه يقولون : وصلت السى
درجة الخلع • اما السلخ فيختص بالاعتقاد الذى هو خلع الدين •

(ج)

فاذا انتزعوا ذلك من قلبه دعوا ذلك سلخا • وقد سماهــــــــــــــــا
الغزالي " بالبلاغ الاكبر " •

ويبدو ان الاسماعيلية اظهروا مهارة كبيرة في اختيار اتباعهم •
ويفهم مما ذكره الديلمي انهم لم يقتدروا في دعوتهم على المسلمين فحسب
بل انهم استجلبوا اليها الكثيرين من اليهود والنصارى ، بل مســــــــــــــــن
المجوس ايضا •

لكن هذا الراى في الواقع يحمل تحاملا خطيرا على الاسماء وبالاخص
لان مبدأ الدعوة قائم على اساس احبيه الامام علي بن ابي طالب وبنيه •
من بعده في الامامه دون سائرهم من المهاجرين والانصار ، ولذلك
اقتصر خلافهم على رفضهم الاعتراف بخلافه كل من ابي بكر وعمر وعثمان
ثم الامويين والعباسيين من بعدهم •

هذا الى ان الدعوة الاسماعيلية قامت على اكتاف المسلمين الشيعة
وحدثهم مع اختلاف امصارهم دون غيرهم من ابناء الملثه الاخرى •
ولذلك لا مجال هنا الى ان نزج بهم في هذا المضمار الذي اراده لهم
كثير من المؤرخين غير المنصفين •

وحسبنا ان الملطي ، وهو اول من اصاب اللثام عن كنه الدعوة ،
الاسماعيلية يعصفهم بانهم " يصلون الخمس ويظهرون التمسك والتهجد
والورع ولهم سجادات ويدفعون زكاتهم وصدقاتهم الى ائمتهم ويتحننون

(٢)

(ط)

بالحناء وينوحون على الحسين عليه السلام • واعتقادهم العدل والتوحيد •

كما انه لم يوتر عن الاسماعيليين انهم استمدوا عوناً من غير المسلمين باستثناء ما حدث ابان الحروب الصليبية • وهذا الامر فرضته عوامل سياسية بحته •

ويجدر بنا ان نذكر انهم ركزوا دعوتهم - كما اوضح ابن ابيك على اسباب عدة • ا - منها اعراض الناس عن ائمة نصبوا لهم وافيموا حافظين لشرائعهم يؤدونها على حقائقها ويحفظون عليهم معانيها -
لنمها • كما انهم اوهموهم بان " الدين صعب مستصعب وامسر ، وعلم خفي ظمير ستره في حجته وعلم شانه عن ابتذال الاسرار فهو سر الله عز وجل المكتوم وامره المستور الذي لا يطيق حمله -
مهمز باعبائه وثقله الا ملك مقرب او نبي مرسل او عبد مؤمن استحسن للايمان •

أ - عامة سريعة عن اصل الاسماعيلية الذين اتخذنا نشاءهم
موضوعاً لبحثنا • وقد قسمت هذا البحث الى ستة فصول •

من نشأة الاسماعيلية وامتداد نشاطهم الى بلاد الشام •
، حالة مصر على عهد المستنصر • ثم الصراع النزارى المستعلى

(٨)

(٩)

ودور الافضل شاهنشاه بن بدر الجمالي في ذلك . كما اوضحنا جهود الحسن بن الصباح في اقامة الدعوة النزارية ونشر دعوتهم في بلاد فارس واصفهان .

اما الفصل الثاني فعالجته فيه موضوع الاسماعيليه والقوى الاسلاميه في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر . وفيه ابرزت نشاط الاسماعيليه في بلاد الشام وعلاقتهم بالقوى الاسلاميه .

وانتقلت بعد ذلك الى الفصل الثالث وفيه تكلمت عن علاقة الاسماعيليه بالقوى الصليبيه في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، فاوضحت الدور الذي لعبه الاسماعيلون مع الصليبيين وكيف ان العلاقة بين الطرفين تقلبت بين الود حيناً والعداء احياناً . وذلك دون النظر الى اي اعتبار الا اعتباراتهم الذاتية البحتة والجرى وراء ما يحقق اهداف دعوتهم .

اما الفصل الرابع ، فقد خصصناه لبحث انكسار النفوذ الاسماعيلى على عصر السلاطين المماليك في بلاد الشام . وذلك بعد انتصارهم فسي عين جالوت عام ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م .

هذا وان كان الاسماعيليون قد استطاعوا في النهاية ان يكونوا — اصحاب حظوة عند بعض سلاطين دولة المماليك والناصر محمد بن علاون بالذات .

(٩)

(ك)

لم يقف هذا البحث ازاء القضايا التي تعرضنا لها ، مثل قضايا
الاغتيال او رميهم بالكفر او الزندقه والالحاد . او تحليل علاقاتهم بكل
من السنيين والصلبيين موقفا جامدا ، وانما نأشناها مناقشه علمية
جاده بمعدة كل البعد عن التحيز .

هذا . . . وقد اعتمدت في هذا البحث على مصادر عديدة متنوعة .
اختلفت ما بين تاريخيه وعقائديه سنيه او شيعيه اسماعليه متخصصه
بالذات . رغم ما عانينا من جهد في سبيل الحصول عليها لعدم توافر
معظمها في المكتبات الجامعية او القومية فضاء عن المكتبات العامة .

ومن اهم هذه المصادر في المجال التاريخي : ذيل تاريخ
دمشق لابن القلانسي ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م . وهو من المصادر الاصلية
التي عالجت تاريخ بلاد الشام بصفة عامه ودمشق بصفة خاصة فسي الفترة
من عام ٣٦٣ هـ الى ٥٥٥ هـ . فاستطاع ان يلقي الضوء على ابتداء انتشار
الدعوة الاسماعليه النزارية في بلاد الشام بما اوضحه عن مدم الحكيم
المنجم الى تلك الديار وما كان بينه وبين حليفه رضوان امير حلب
من علاقات قوية لعبت دورا هاما في تشييت اقدام الاسماعيليين في حلب
فترة طويلة .

على انه رغم كراهية ابن القلانسي الواضحة لهم فانه انصفهم احيانا ،
حيث نفى عنهم تهمة اغتيال الافضل شاهنشاه كذلك اشاد بموقفهم

جنباً الى جنب مع اخوانهم السنيين للدفاع عن دمشق ضد الفسزرو الصليبي عام ٥١٩ هـ ١١٢٥ م . وهذا كله يشهد على واقعيته .

والكامل لابن الاثير ت ٦٢٠ هـ / ١٢٣٢ م ، ويعتبر اهم مصادر التاريخ الاسلامي حتى عام ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م على الاطلاق ، وقد لعب هذا المصدر دورا هاما في الوقوف على بداية ظهور الاسماعيليه في بلاد فارس واصفهان . كما انه امدنا بمعلومات تاريخيه وافييه عن قلاعهم وتحركاتهم وموقفهم من اهل السنه في تلك البقاع . وان كان قد لعب دورا هاما مع سلفه ابن الجوزي في تثبيت اتهام الاسماعيليه باغتيال نظام الملك رغم براءتهم من هذه الجريمة .

على انه يتعين على من يرجع الى ذلك المصدر الهام الا يقصر قوائمه على ما تحويه عناوين الموضوعات الرئيسيه للكتاب فحسب بل عليه ان يهتم بما ذكره المؤرخ تحت عدة حوادث ايضا . ذلك تشكل اهمية كبرى لما جاء فيها من حوادث وقضايا على درجة كبيرة من الاهمية لم يوردها المؤلف في سني الحوادث .

اما مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ فانه لا يختلف كثيرا عما جاء في كتاب المنتظم لجده ابن الجوزي . ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م . وكثيرا ما اشار هو بنفسه الى ذلك . ويعتبر

كتاب مرآة الزمان هذا من المصادر الأساسية التي تابعت تحركات الاسماعيليه في بلاد الشام . وقد لعب دورا هاما في كشف النقاب عن بعض جوانب قضايا الاغتيالات الاسماعيليه وخاصة قضية اغتيال مسود في دمشق الامر الذي استندنا معه تحديد مركز طغتكين في هذه القضية الخشيعة . ويمتاز سبط ابن الجوزي في كتابه هذا بالاعتدال ، فضلا عن التزامه الدقة في عرض موضوعاته .

وزبدة الحلب وسيرة راشد الدين سنان لابن العديم عام ٦٦٠ هـ ١٢٦١ م . بالنسبة للاول ، فانه يعتبر من المصادر الأساسية لتاريخ حلب ذلك لما حواه من حقائق تاريخيه على جانب كبير من الاهمية بالنسبة للدور الذي لعبه الاسماعيليون في حلب .

على انه يلاحظ انه على الرغم من كراهية ابن العديم للاسماعيلية فانه انصف راشد الدين سنان بنفيه ما قبل عن دعاوى الوعيتة . حيث أثبتت بطريقة لا تغفل الشك ان راشد الدين سنان نفسه امر بقتل من نادوا بذلك من اتباعه . والفضل ما يشهد به الاعداء .

اما كتابة الثاني وهو سيرة راشد الدين سنان فانه يعتبر من كل النواحي مصدرا اساسيا لتاريخ احد كبار شيوخ الجيل واول من تزعم الاسماعيليين في بلاد الشام بصورة واضحة وجليه . وقد حوى حقائق تاريخيه عن راشد الدين سنان لم يسعفنا بها مصدر

(ن)

آخر - باستثناء النذر القليل الذي أورده ابن جبير في رحلته عن أسرة سنان - لذلك فإن سيرة راشد الدين سنان لابن العديم تعتبر من أهم الوثائق التاريخية التي اعتمدت عليها في بحثي بالنسبة للدور الأول من حياة شيخ الجبل الثالث راشد الدين سنان .

ثم كتاب البدايه والنهاية لابن كثير ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م . ويعتبر ابن كثير من أكثر المؤرخين وضوحاً في عرض الأحداث التي تعرض لها في كتابه . والواقع فإنه ساعد كثيراً على اللقاء الاضواء على بعض القضايا التي عالجناها في هذا البحث خاصة قضية اغتيال نظام الملك . كما أنه لعب دوراً هاماً في توضيح العديد من النقاط التاريخية الهامة . وكان ابن كثير أول من أشار إلى اعتناى ملكشاه نفسه لعقيدة الباطنية وتعاطفه معهم حيناً من الدهر .

أما كتاب صبح الاعشى للقلقشندي ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م . فتتمثل أهميته - بالنسبة لبحثي - فيما أثاره حول وقوع خلاف بين الحسن بن الصباح واستأذنه ابن عطاء ما تسبب عنه - حسبما يفهم من نص - القلقشندي هروب ابن الصباح إلى القاهرة . ولقد نافشنا على ضوء ما جاء في هذه القصة الدور الذي لعبته السرية أو التقية التي انتهجها الاسماعيلون في تحركات دعائهم . هذا فضلاً عن دوره في توضيح بعض جوانب حياتهم العامة في قلاع الدعوة في بلاد الشام .

(١٣)

(س)

ثم اتعاط الحنفا ، والخطط ، والسلوك للمقریزی بن ٨٤٥ هـ /
١٤٤١ م . ويعتبر كتاب اتعاط الحنفا وهو اوفى ما كتب في تاريخ
الدولة الاسماعيلية . وقد بدأه بذكر اولاد امير المؤمنين علي بن
ابي طالب كرم الله وجهه ، وانتهى في عام ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م
لذلك فهو يمثل اهم الموسوعات التاريخية التي عالجت بدقه وامانه
علمه تاريخ دولة من اهم واعظم دول الاسلام . . . الا وهي الدولة
الفاطمية الاسماعيلية في مصر . حتى غدا كتابه هذا هو المصدر الاصلی
والاساسی لهذه الدولة . وقد كان لكتاب اتعاط الحنفا اهمية خاصة
لبحثي فيما افدته منه عن دور التخابير السري الذي لعبته ام الفضل
شاهنشاه في مدينة القاهرة اثناء نشوب الحرب بين ابنها وبين نزار
في مدينة الاسكندرية اثر الخلاف الذي دب في البلاط المستنصری بسبب
ابحار نزار وتولية المستعلى . ومن الغريب انها نجحت كل الفجاح
في تادية دورها هذا ، الامر الذي شكل خطورة كبيرة على انصار
نزار في مدينة القاهرة . وقد فصلنا ذلك كله عند مناقشة هذا الموضوع
في معالجتنا لقضية الانشقاق الاسماعيلي في القاهرة . هذا فضلا عن -
معالجته لمشكلة النسب .

اما كتابه الخطط ، فهو يعتبر ثبنا زائرا باحوال القاهرة واخبارها
وطرن المعيشة بارجائها الراسعة في العصور الوسطى . على انه يلاحظ
ان المقریزی اهتم في كتابه هذا بكثير من اخبار الدعوة الاسماعيلية

(ع)

وفصل كثيرا من مبادئها ، وان كان منهجه في ذلك لم يختلف كثيرا عن سلفه النويرى ت ٧٣٢ هـ / ١٢٣٢ م حيث اوضح كل منهما ان الدعوة الاسماعيلية بنيت على اساس تسع مراتب وذلك عكس ما ذكر الغزالي في الذخاير اوضح انها سبع مراتب فقط . وقد اعتمدنا على الغزالي دون غيره في تفصيل ما سبق توضيحه في هذا الشأن .

على ان كتابه السلوك ، وهو يشكل تاريخا كاملا لدولتي الايوبيين والمماليك في مصر حتى عام ٨٤٤ هـ / ١٤٤٠ م . فانه من غير ما شك يحتل يحق مكان الصدارة وسط مؤلفات علم التاريخ في القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) . وقد لعب هذا المصدر الهام دورا رئيسيا في الوقوف على حالة الاسماعيلية في بلاد الشام على عهد الظاهر بيبرس ، حيث اوضح بجلاء مراحل تطور العلاقات السياسية بين الظاهر بيبرس وبينهم حتى تم الاستيلاء على حصونهم في بلاد الشام .

كذلك اعتمدت على كتاب النجوم الزاهرة " لابی المحاسن عام ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م والذي احتل صاحبه - على حد تعبير استاذنا المرحوم الدكتور محمد مصطفى زياده . مركز الصدارة بين المؤرخين بمصر بعد وفاة المعريزي والعيني ، فانه يعتبر من اهم المصادر التاريخية لمصر والشام في العصور الوسطى . ود امتاز بسهولة أسلوبه وعذوبته

(ف)

معدقة البحث والاستقصاء ، بعيدا عن الاستطراد الممل . فهو فسى
راى موسوعة تاريخيه شامله ومركزه . فضلا عن ذلك فقد غلب علمسى
صاحبه الذوق الرفيى ، فكان من امتع المصادر التى رجعت اليها .
وتتمثل اهميته بالنسبة لبحثى الوقوف على اسباب الخلاف السدى
دب بين الافضل ونزار ، الامر الذى ترتب عليه ووقوع اخطران شقاقى
صفوف الاسماعيليه فى مصر ، فكان بداية النهاية لهذه الدعوة ،
هذا فضلا عن اهمية هذا المصدر فى ازاحة الستار عن الاسباب الحقيقية
التي دعت الوزير المزدغانى الى التحالف مع اسماعيليه دمشق فيما بعد
وقد فصلنا ذلك كله فى فصول البحث .

يضاف الى هذا كله كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين الهمدانى
الذى يعتبر المصدر الرئيسى لتحركات المغول وسياستهم فى بلاد
فارس واصفهان ثم فى بلاد الشام فيما بعد . هذا فضلا عن كتاب
آل سلجوق للبندارى الذى كان له اهمية كبرى حيث يعتبر من المصادر
الاساسية لهذه الفرقة على عهد السلاجقة العظام .

اما فى المجال العقائدى السنى فقد اعتمدت فى البحث على
مصادر جاده من اهمها : مقالات الاسماعيليين للاشعرى ٣٣٠هـ / ٩٤١م
وهو من اوائل المصادر التى تحدثت عن الترو الاسلامية المختلفة
وقد رماهم جميعا بالرفض . فضلا عن ذلك فانه خلط بين الاسماعيليه

(ص)

والقرامطة الامر الذى ترتب عليه الاعتقاد السائد ان الاسماعيليه هم القرامطة او على الاقل ، هم فرع منهم . تم التنبيه والرد للملطى به ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م . الذى يعتبر من اوائل المؤلفين فى شرح احوال الفرق . فلا ريب ان قلنا انه كان المصدر الاساسى للبغدادى ومن جاء بعده فمن تصدوا لهذا الموضوع الخاير . على انه يؤخذ على الملطى انه خلط بين الاسماعيليه وبين الاثنى عشرية

كذلك اعتمدت فى بحثى على كتاب الفرق بين الفرق للبغدادى ٢٩٤ هـ / ١٠٣٧ م . ويعتبر البغدادى عمدة المؤلفين فى هذا الموضوع ، وان كنا نأخذ عليه اعتقاده ان الباطنية ليست من فرق الاسلام واعتباره انها من فرق المجوس ، فضلا عن وصفه لهم بانهم دهرية زنادقة اميلهم ، حسب تصوره - الى استباحة كل ما يميل اليه بالظبح . وسبب ذلك فيما نعتقد انه ذهب مذهب المؤرخين الذين خلطوا بين عقيدة الباطنية وتعاليم القرامطة .

ثم كتاب المستظهرى للنزالى عام ٥٠٥ هـ / ١١١١ م ، والمعروف فى الاوساط العلمية بفضائح الباطنية . وترجع اهمية هذا الكتاب الى معاصرة النزالى نفسه للحسن بن الصباح ، فضلا عن ارتباطه الوثيق بالوزير نظام الملك حيث عمل استاذاً فى مدرسته النظامية .

(ق)

والغزالي هو اول واهم من تصدى للدعوة الجديدة في مهدها .
فقد وقف على توضيح بيان القلبهم والكشف عن السبب الداعي لهم
على نصب دعوتهم .

كذلك يعتبر الغزالي من اوائل فقهاء وعلماء المسلمين الذين
تصدوا لشرح عقائدهم في الاليهات والنبوات والامامه وبيان مذهبهم
في القيامه الميعاد والتكاليف الشرعية . هذا فضلا عن افساده -
لتاويلاتهم التي تنص على ان لكل ظاهر باطنا . والواقع لقد بلغت
شهرة كتابه هذا الاغاي . وان كنا نعتبر انه احد نتاج عصر الاسماعيليين
اذ لولا الاسماعيليه ودعوتهم لما كان هناك ما يدعوا الى وضع هذا الكتاب
او مثله من مختلف المؤلفات السنية التي ساعدت من جانب اخر
على ازدهار علم الكلام . وهذا مما يويد راينا في ان الاسماعيليه هم
اصحاب الفضل الاول في ازدهار هذا الفن من علوم المسلمين .

واعتمدت ايضا على كتاب الملل والنحل للشهرستاني عام ٥٤٨ هـ /
١١٥٣ م . وموضوعه دراسة الاديان والمذاهب والفرق . وهو يعتبر
فريدا في فنه ، فهو دائرة مسارف مختصرة للاديان والمذاهب والفرق
بل للاراء والفلسفه . ولقد نال من الشهرة قدرا عظيما في الاوساط العلمية
الشرقية والغربية على السواء . وقد اختلف المؤرخون في تحقيق تاريخ
مولده . ففي قول انه ولد عام ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م وفي قول اخر عام

(ر)

٤٦٩هـ / ١٠٧٦ م اما وفاته فكانت عام ٥٤٨هـ / ١١٥٣ م . وعلى ذلك فيكون معاصر الاصحاب الدعوة الاسماعيلية الجديدة وهم فسي عنفوان شبابهم وشباب دعوتهم ايضا . اشترك كالغزالي في التدريس في المدرسة النظامية في بغداد والتف حوله كثير من كبار العلماء وفقهائهم وقد شهد له كثير من علماء القوم انه كان من اهل الفلسفة الاسلامية الذين يستشهد برأيهم .

وترجع اهمية هذا الكتاب الى ان صاحبه الفه بعد ان اتمت مكانته العلمية ومكنته سنه من التجربة والتعمق في الامور وحسن الاستنتاج حيث قيل انه الفه بعد سن الاربعين . وقد امتاز الشهرستاني بالاستصاء في البحث والتدقيق في الموضوعات التي تناولها . كذلك امتاز بالاعتدال في احكامه على اهل كل فرقة من الفرق التي تعرض لها . وكما قال هسو عن نفسه " وشوطني على نفسي ان اورد مذهب كل فرقة على ما وجدت في كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم .

فضلا عن ذلك فقد اعتمدت في بحثي على كتاب بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمى . وقد اوضح الديلمى في كتابه هذا بينان مذهب الباطنية وساق الادله على بطلانه الامر الذي يجعلنا نضيفه الى مجموعة المصادر التي وقفت موقفا عدائيا من اصحاب الدعوة الاسماعيلية . وقد سبق ان ناقشنا بعض اراء الديلمى ازاء التجمعات الجماهيرية في الاسماعيلية . ذلك فضلا عن كتابي الافحام لافتة الباطنية الطغام ، ومشكاه الانوار الهدامه لقواعد الباطنية الاشرار ليحيى بن حمزة

العلوى ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م . فقد جاء الكتاب الاول في سبعة فصول عرفها المؤلف بالافحام . وكلها خاصة بمناقشة عقائدهم فيما يختص بالالهييات والنبوه والامامه والعبادات ، وتاويل بعض ايات القرآن ، الكريم . اما كتابه الثانى فقد وضعه على اساس دحض اباطيلهم مبينا خلال عرضه لموضوعات الكتاب هدف الباطنية ومقصد هم من تحريضهم الكتاب الكريم وتاويلهم لنصوص الشريعة الاسلامية على غير مدلولها .

اما في المجال العقائدى الاسماعيلى . فقد لعبت مصادر القاضى الاسماعيلى ابن جيون عام ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م . دورا هاما في فهم جوانب الفقه الاسماعيلى . فبالنسبة لكتاب دعائم الاسلام فانه يعتبر المصدر الاساسى لتشريعاتهم وعقائدهم ، وذلك بسبب انه اول من دون فقه المذهب الاسماعيلى على عهد الخليفة المعز لدين الله ، اول الخلفاء الاسماعيليه في مصر . اما كتابه المهم في اداب اتباع الائمة ، فموضوعه الاساسى يتصل بالامامة التى هى اهم عقائد الاسماعيليه . بل هى المحور الذى تدور عليه كل عقائد الشيعة بصفة عامه والاسماعيليه بصفة خاصة ، فلا دين عندهم لمن لا يعتقد امامه الائمة المنصوص عليهم من اهل بيت الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . وهذا مما يؤخذ عليهم في الاوساط الاسلامية السنية بصفة عامه .

فذلك في الوقت الذى يحتبر كتابه رسالة افتتاح الدعوة من اوائل المصادر الاسماعيليه التى اقت الاضواء على امرها . ذلك هو انسلاخ الكثيرين عن الدعوة الاثنى عشرية وانضمامهم الى الاسماعيليه بسبب

(ت)

الشكوك التي ساورتهم في قضية غيبة المهدي والمنتظره

هذا وان اعتبر القاضي ابن حيون هو مصدرهم الرئيسي في الفقه الاسماعيلي ، فان الكرمانى صاحب كتاب راحة العقل يعتبر من ابرز واعقى الفلاسفة الدعاة والعلماء الذين انجبتهم الدعوة — الاسماعيلية والذين عنوا عناية خاصة بالاحوال والاحكام . ومما لا شك فيه انه كان ملما اماما واسعا بالوان العلوم العقلية المختلفة التي تتصل من قريب او بعيد بالعقائد الاسماعيلية . ويعتبر كتاب راحة العقل من اوسع الرسائل الاسماعيلية الفلسفية . بما تضمنه من اسوار ومشارع وعلوم ومعارف . وقد وضعه مؤلفه في سبعة فصول عرفها بالاسوار . وتدور كلها حول العدد سبعة وهو العدد الذى لعب دورا له اهميته وذات ورتة في الدعوة الاسماعيلية . هذا فضلا عما تحويه هذه الاسوار من فلسفة عميقة تدور كلها حول العالم العلوى وعلى اساس المفاهيم الاسماعيلية البحتة .

كذلك اعتمدت على كتاب الذخيرة في الحقيقة للداعي الاسماعيلي على بن الوليد علم ٦١٢هـ / ١٢١٥م ، اذ يعتبر من اهم المصادر الاسماعيلية التي القت الاضواء على تسلسل الامامة في الاسماعيلية مبتدئا بالامام على بن ابي طالب ، كرم الله وجهه ، دون الاعتراف بامامة موسى الكاظم ومن خلفه من اثمة الاثنى عشرية . وقد ركز تركيزا واضحا

(خ)

على ما عرف عندهم بالعقزل السبعة ومراحلها وتطوراتها فضلا
عما يحويه من امثلة فلسفية حيه تختص كلها بالحدِيث
فى المبدأ والبعاد واصل الموجودات ونشأتها بقا لفلسفة
العقائد الاسماعيلية .

هذا بخلاف عن المجالس المستنصرية والسجلات المستنصرية
ومجموعة الوثائق الفاطمية ولكلها لعبت دورا هاما فى اجلاء
كنه الدعوة الاسماعيلية فى مختلف مراحلها . وكما امكننا بمعلومات
غاية فى الاهمية عن طريق نشر الدعوة الاسماعيلية ونظم الفاعلين
فى مصر . وكان لهذه الوثائق اهمية كبرى فى اثبات ان الاسماعيلية
مصر - وعلى عهد الامر بالذات - هم اول من اطلقوا لقب
الحشيشية على اسماعيلية الشام .

يضاف الى هذا ، العديد من المصادر الاخرى الهامة
والمراجع الحديثه التى - لا انكر - انها امتدنى بمادة تاريخية
هامه .

وغاية ما ارجوه ان اكون قد وفقت فى اضافة لبنة جديدة فى
لسلسلة الابحاث الاسماعيلية .

(٢٢)

على ما عرف عندهم بالعقول السبعة ومراحلها وتطوراتها فضلا عما يحويه من امثلة فلسفية حيه تختص كلها بالحديث في المبدأ والميعاد واصل للموجودات ونشأتها طبقا للفلسفة القائدة الاسماعيليه .

هذا فضلا عن المجالس المستنصرية والسجلات المستنصرية ومجموعة الوثائق الفاطمية وكلها لعبت دورا هاما في اجلاء كنه الدعوة الاسماعيليه في مختلف مراحلها . كما امدتنا بمعلومات غاية في الاهمية عن طرق نشر الدعوة الاسماعيليه ونظام الفاطميين في مصر . وكان لهذه الوثائق اهمية كبرى في اثبات اسماعيليه مصر - وعلى عهد الامر بالذات عندهم اولاً من اطلقوا لقب الحشيشيه على اسماعيليه الشام .

يضاف الى هذا ، العديد من المصادر الاخرى الهامه والمراجع الحديثه وعلى راسها موضوعه الحركة الصليبيه لستانا الجليل الاستاد الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور . وقد لعب هذا المرجع الرئيسى دورا هاما وواضحا في تشكيل مادة البحث بها اضافه من مادة تاريخيه د مسة .

وغاية ما ارجوه ان اكون قد وفقت في اضافة لبنة جديدة في سلسلة الابحاث الاسماعيليه .

(م)

ولا يفوتنى فى ختام هذا التقديم ان اشكر كل من عاوننى بآرائه
او افكاره فى سبيل اتمامه . و اخص بالذكر استاذى الذير الا . تاذ الدكتور
سعيد عبد الفتاح عاشور استاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة القاهرة
الذى تفضل مشكورا فغمرنى بكريم عطفه وصادق معونته . حال اشرافه
على هذا البحث .

والله تعالى ولى التوفيق .

القاهرة فى ٢٩ ربيع الاول ١٣٩٥ هـ

عثمان عبد الحميد عشرينى

١١ ابريل ١٩٧٥ م

الفصل الاول

الفصل الاول

=====

نشأة الاسماعيلية وامتداد نشاطهم الى

بلاد الشام

منظرة عامه على حاله مصر في عهد المستنصر بالله • الشده العظمى
مدخل هام للحكم الجمالي في مصر • موت المستنصر واثره في انقسام
الدعوة • دور الافضل شاهنشاه في ذلك الصراع النزاری المستعلوي حول
الامامه • مقتل نزار • انتصار المستعلي واثره في ظهور الدعوة النزارية
في الشرق • الحسن بن الصباح مؤسس النزاريه • الدعوة في فارس واصفهان
حصن الموت ودوره في نشر الدعوة في المشرق الاسلامي الاسماعيليه
واغتيال الافضل شاهنشاه • مناقشة حول اغتياله وموقف الراي العام
من ذلك الحادث • الاسماعيليه واغتيال الامر • مناقشة حول اغتياله
وموقف الراي العام • راى الباحث في الحادثين • احمد بن عداش وقلاع
الاسماعيليه في عصر ملكشاه ونظام الملك • علاقة الحسن بن الصباح
بنظام الملك وعمر الخيام • موقف نظام الملك من الاسماعيليه • اغتيال
نظام الملك مناقشة وراى حول تقضية اغتياله • براءة الاسماعيليه من
جريمة قتله • انتقال الدعوة الى بلاد الشام • موقف المستعلويه في
مصر من النزاريه في بلاد الشام •

المستنصر بالله وانقسام الدعوة :
=====

المدخل الطبيعي للكلام عن نشأة الاسماعيليه هو الاشارة الى
الخليفة المستنصر بالله الفاطمي وما حققته الدعوة في عهده من انتشار

ثم ما اصابها من انقسام • والخليفة المستنصر هو ابو تميم معد •
الملقب بالمستنصر بالله بن الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم بامر
الله منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد اول الخلفاء
بمصر^(١) • ولد في السادس عشر من جمادى الآخرة عام ٤٢٠ هـ الثاني
من يولييه عام ١٠٢٩ م ومبىح بالخلافة بعد موت ابيه الظاهر لاعزاز دين
الله ، يوم الاحد منتصف شعبان عام ٤٢٧ هـ^(٢) • ١٤ يونيو عام ١٠٣٦
م • ولم يتجاوز عمره وقتئذ سبع سنين وسبعة عشر يوما^(٣) • وظل
في الخلافة ستين سنة او اكثر • وكان كما اتفق جمهور مؤرخي العصور
الوسطى اطول الخلفاء عهد^(٤) • فلم تطل مدة احد من الخلفاء
مطلقا اكثر من المستنصر السبيدي^(٥) • ولم يدانيه احد في ذلك
من حيث المقارنة مع الفارق الا الخليفة العباسي الناصر لدين الله •
الذي كانت مدة خلافته سبعا واربعين سنة الاشهر^(٦) • وقد

-
- (١) ابوالمحاسن النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١
 - (٢) الذهبي : دول الاسلام ج ١ ص ٢٥٤
 - (٣) ابن الاثير الكامل في التاريخ ج ٩ ص ١٥٤
 - (٤) المقرئ : الخطط ج ٢ ص ٣٢
 - (٥) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٠٦
 - ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٦٢
 - (٦) ابوالفدا : المختصر في اخبار البشر ج ٣ ص ١٤٢

الفصل الاول

=====

نشأة الاسماعيليه وامتداد نشاطهم الى

بلاد الشام

مظرة عامه على حاله مصر في عهد المستنصر بالله • الشده العظمى
مدخل هام للحكم الجمالي في مصر • موت المستنصر واثره في انقسام
الدعوه • دور الافضل شاهنشاه في ذلك الصراع النزاري المستعلوي حول
الامامه • مقتل نزار • انتصار المستعلي واثره في ظهور الدعوه النزاريه
في الشرق • الحسن بن الصباح مؤسس النزاريه • الدعوه في فارس واصفهان
حصن الموت ودوره في نشر الدعوه في المشرق الاسلامي الاسماعيليه
واغتيال الافضل شاهنشاه • مناقشة حول اغتياله وموقف الراي العام
من ذلك الحادث • الاسماعيليه واغتيال الامر • مناقشة حول اغتياله
وموقف الراي العام • راى الباحث في الحادثين • احمد بن عشا وقلع
الاسماعيليه في عصر ملكشاه ونظام الملك • علاقة الحسن بن الصباح
بنظام الملك وعمر الخيام • موقف نظام الملك من الاسماعيليه • اغتيال
نظام الملك مناقشة وراى حول تقضية اغتياله • براءة الاسماعيليه من
جريمة قتله • انتقال الدعوه الى بلاد الشام • موقف المستعلويه في
مصر من النزاريه في بلاد الشام •

المستنصر بالله وانقسام الدعوه :
=====

المدخل الطبيعي للكلام عن نشأة الاسماعيليه هو الاارة السي
الخليفة المستنصر بالله الفاطمي وما حققته الدعوه في عهده من انتشار

ثم ما اصابها من انقسام • والخليفة المستنصر هو ابو تميم معد •
 الملقب بالمستنصر بالله بن الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم بامر
 الله منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد اول الخلفاء
 بمصر^(١) • ولد في السادس عشر من جمادى الآخرة عام ٤٢٠ هـ الثاني
 من يولييه عام ١٠٢٩ م ومبيع بالخلافة بعد موت ابيه الظاهر لاعزاز دين
 الله • يوم الاحد منتصف شعبان عام ٤٢٧ هـ^(٢) • ١٤ يونيو عام ١٠٣٦
 م • ولم يتجاوز عمره وقتئذ سبع سنين وسبعة عشر يوما^(٣) • وظل
 في الخلافة ستين سنة او اكثر • وكان كما اتفق جمهور مؤرخى العصور
 الوسطى اطول الخلفاء عهد^(٤) • فلم تطل مدة احد من الخلفاء
 مطلقا اكثر من المستنصر العبيدى^(٥) • ولم يدانيه احد في ذلك
 من حيث المقارنة مع الفارق الا الخليفة العباسى الناصر لدين الله •
 الذى كانت مدة خلافته سبعا واربعين سنة الاشهر^(٦) • وقد

-
- (١) ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١
 (٢) الذهبى : دول الاسلام ج ١ ص ٢٥٤
 (٣) ابن الاثير الكامل فى التاريخ ج ٩ ص ١٥٤
 (٤) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٣٢
 (٥) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٠٦
 ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٦٢
 (٦) ابو الفدا : المختصر فى اخبار البشر ج ٣ ص ١٤٢

عبر السيوطي عن ذلك بقوله " لا اعلم ان احدا في الاسلام لا خليفة ولا سلطانا اقام هذه المدة (٢) .

وقد امتد سلطان الاسماعيليين في القسم الاول من عهد المستنصر على بلاد الشام وفلسطين والحجاز وصقلية وشمال افريقية . وكان يدعى له على كافة منابر البلاد الممتدة من المحيط الاطلسي غربا الى البحر الاحمر شرقا فضلا عن صقلية واليمن والحجاز والموصل (٢) بل لقد دعى له في بغداد ذاتها حاضرة العباسيين مدة تقرب من عام (٣) . ويعتبر ذلك في الواقع امتدادا لمن سبقوه من خلفاء الاسماعيليين في مصر (٤) . ولا ادل على ذلك من كتاب المعز لدين الله الى الحسن بن احمد القرمطي . فما من جزيرة في الارض ولا اقليم الا لنا فيه حجج ودعاة — يدعون اليها ويذلون علينا ياخذون بيعتنا ويذكرون رجعتنا ويتشبهون علمنا وينذرون باسنا ويبشرون ايماننا بتصاريف اللغات باختلاف الالسن . (٥) .

-
- | | |
|----------------|-----------------------------|
| (١) السيوطي | تاريخ الخلفاء ص ٢١٤ |
| (٢) ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٢١ |
| (٣) ابن الجوزي | المنتظم ج ٨ ص ٢١٠ |
| (٤) ابن اياس | بدائع الزهور ج ١ ص ٥٩ |
| (٥) المقرئ | اتعاظ الحنفا ج ١ ص ١٩٦ |

ويبدو ان مصر تمتعت في ذلك الدور بقدر وافر من الرخاء ، الامر الذى يشهد عليه الرحالة ناصر خسرو والذى زار البلاد في صفر عام ٤٣٩ هـ اغسطس عام ١٠٤٧ م . ان وصف ثروة البلاط الاسماعيلى وابهتته وما كانت عليه القاهرة في ذلك الوقت من يسر ورخاء . (١) .

غير ان هذا الرخاء لم يستمر طويلا . ان اخذ نفوذ الاسماعيليين ينكمش رويدا ورويدا بسبب انغلاء الذى عم البلاد (٢) . فانشلت الاداء الحكومية تماما وهجر الناس الارض فتحوّلت الى خراب (٣) . وقد استمر سبع سنين ٤٥٧ هـ - ٤٦٤ هـ - ١٠٦٤ - ١٠٧١ م فعم الغلاء مـ وساء شديد فاقام ذلك سبع سنين والنيل يمد وينزل فلا يجد من يزرع (٤) مما ادى الى فساد الحال مع كثرة الموتى (٥) . وكان ذلك الوباء فريدا في نوعه لطول مدته وسوء اثره حتى اطلق عليه اسم " الشدة العظمى " (٦) . الامر الذى اعجز الخليفة عن ضبط الامور في البلاد (٧) . قاضطرا الى استدعاء والى عكا بدر الجمالى عام ٤٦٥ / ١٠٧٣ وعهد اليه بالوزارة (٨) . وبتوليته

-
- (١) ناصر خسرو الرحلة ٤٦ - ٤٨
 - (٢) د . سعيد عاشو مصر في العصور الوسطى ص ٢٢٤
 - (٣) المقرئى الخطط ج ١ ص ٣٥٥
 - (٤) المقرئى الخطط ج ١ ص ٦٣٣
 - (٥) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣١٨
 - (٦) د . سعيد عاشور مصر في العصور الوسطى ص ٢٠٤
 - (٧) المقرئى : اظنه الامه ص ٢٤ - ٢٦ سيد امين علي روح الاسلام ج ١ ص ٤٩٢
 - (٨) ابن ميسر تاريخ مصر ج ٢ ص ١٣

بدر الجمالى لمقاليد الامور فى البلاد عام ٤٦٦ هـ / ١٠٧٤ م تبدأ
صفحة جديده من صفحات الحكم الاسماعيلى فى مصر وفى بلاد الشام .
فساس الامور احسن سياسته " وكان وصوله اول سعادته المستنصر واخبر
قطوعه (١) .

والذى ساهمنا فى هذا المجال هو الدور الذى لعبه بيت الجمالى
فى النقسام الدعوة الاسماعيليه الى فرقتين : فرقة نزاريه تطعن فى
امامه المستعلى وفرقة ترى حجة خلافته (٢) وقد ترتب على تولية بسدر
الجمالى لامور الوزارة اضمحلال سلطة الخلافة ونفوذها بظهور نفوذ الوزراء
العظام الذين سيطروا على مقاليد الحكم (٣) . فلم يكن للمستنصر ومن بعده
من الخلفاء سوى الاسم فقط. الا تبيلا وزراءهم على الامور وحجرتهم عليهم
وتقسيمهم بالقبائل الملوك فكانوا معهم كخلفاء بغداد مع بنى بويه واشباههم (٤)
وقد تولى الوزارة فى اواخر عهد المستنصر بالله بعد ان وفى بدر الجمالى
عام ٤٨٢ / ١٠٩٤ ابنه الافضل (٥) . وتتمثل اهمية الافضل فى انه

-
- (١) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٦٠
 - ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٨٩
 - (٢) المقرئى المخطط ج ١ ص ٦٣٥
 - (٣) د . سعيد عاشور مخزنية الدولة الناصرية ج ١ ص ١٧
 - (٤) السيوطى حسن المحاضرة ج ١ ص ٦٠٩
 - (٥) ابن ابيك الدوا دار كنز الدرر ج ٦ ص ٣٩٩

لعب دورا هاما وخطيرا في الانقسام السابق الاشارة اليه (١) . وذلك
انه عندما توفي المستنصر بالله ليلة الخميس الثامن عشر من ذي
الحجة عام ٤٨٧ هـ ٢٩ ديسمبر ١٠٩٤ بادر الافضل بن امير الجيوش
الى القصر فاجلس ابنه ابا القاسم احمد ٤٨٧ - ٤٩٥ هـ = ١٠٩٤ -
١١٠١ م (لقب المستعلى بالله امير المؤمنين) (٢) . ثم بعث الى
نزار وعبد الله واسماعيل ابناء المستنصر . فلما جاءوا يستطالعون الخبر
تبين لهم ان الامر قد اسقط في ايديهم وعليهم - كما طلب اليهم الافضل
ان يتقدموا فيقبلوا الارض . المتعالى ولمولانا المستعلى ويبايعوه . فهو
الذى نصر عليه الامام المستنصر قبل وفاته بالخلافة من بعده (٣) . ولما
كان الامر بمثابة مفاجاة لهم فقد امتنعوا عن ذلك بحجة ان والدهم كان
قد وعد كلا منهم بالخلافة (٤)

اما نزار فهو الابن الاكبر الذى كان وزاله قد ولاه العهد من
بعده (٥) . حيث كان قد عهد بالامر الى ولده نزار ، فخلعه الافضل
بن بدر الجمالى بعد موت ابيه وامر الناس فبايعوا احمد بن المستنصر
اخاه ولقبه بالمستعلى (٦) . وقد اعلنها صراحة " ولو قطعت ما بايعت
من هو اصغر سنا منى وخط الذى عندى بانى ولى عهده وانى

(١) ابن الاثير . الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٨١
Grousset: Hist. des Croisades. Vol. I. ٨٣

(٢) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٢ - ٣

سيد امين على روح الاسلام ج ١ ص ٤٩٤

(٣) ابن ميسر . تاريخ مصر ج ٢ ص ٣٥

(٤) المقرئى . الخطط ج ١ ص ٤٢٢

(٥) د . سعيد عاشور مصر في العصور الوسطى ص ٢٠٨

(٦) ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٤٨

احضره^(١) . وكان عليه بالطبع ان يفهم ان ذلك كله من عمل الافضل فتعين عليه ان يحدد موقفه من تلك اللعبة . فخرج مسرعا كي يحضر العهد الذي ذكره معنا " عندى الخط من المستنصر بولاية العهد لسى وانا اتيكم به . وخرج لياتيهم بذلك فاستخفى وطلب فلم يوجد الى ان ظهر امره بالاسكندرية وادعى الخلافة^(٢) . فلم يقف الافضل على اثر له حينما بعث اليه يتعجل الامر فأنزعج على حد وصف المقرئى " انزعاجا شديدا^(٣) .

وقد علل كثير من المؤرخين ان سبب حقد الافضل على نزار وكراهته له ، ومحاولة ابعاده عن منصب الخلافة هو تعالى نزار على الافضل وزير ابيه وازدائه اياه^(٤) . ذلك ان نزار اخرج ذات يوم في حياة ابيه فاذا الافضل ممتد يا طهر جواد " وقد دخل من حد ابواب القصر يعرف بباب الذهب ، فصاح به نزار ان " انزل يا ارمى يانجس^(٥) . فحقد ها

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١١
الخط ج ١ ص ٤٢٢

(٢) ابن ابيك كنز الدرر ج ٦ ص ٤٤٣ — ٤٤٤

(٣) المقرئى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١١

(٤) ابن الاثير الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٨٢

(٥) ابن المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٢

الافضل وصار كل منهما بكره الاخر (١) . فضلا عن ذلك فان الافضل
كان يعارض نزار ايام ابيه ويستخف به ويضع من حواشيه واسبابه (٢)

ولكن يبدو ان كراهة نزار الافضل كان مبعثها الحقيقي ازدياد
نفوذهم على عهد ابيه وخشيته ان يظل ذلك النفوذ مستقبلا على حاله
اذا ما تولى هو الامامه من بعده . وبذلك قد تصبح مصر جماليه
المصالح كما كانت بغداد برمكيته من قبل (٣) . وقد صدقت نبوءة نزار
في ذلك . حيث قام الافضل بتنظيمات اداريه ترتيب عليها نفى بنسى
عبد القوى الذين تولوا وظيفة ممولى الاسماعيليه منذ فجر العهد الاسماعيلي
في مصر (٤) . فضلا عن سيطرته الكامله على المستعلى " فلم يكن له
مع الافضل امر ولا نهى ولا نفوذ كلمة (٥) . وكذلك الامر من بعده السى
حد ضاق معه ذرع الامر به الامر الذى ادى به الى التخلي منه .

Defremery: Essai sur l'Hist. des Ism . P . 5 (١)

(٢) المقرئى الخطط ج ١ ص ٤٢٢

(٣) استطاع البرامكه التغلغل في اعماق العباسيين حتى ان الرشيد كان

يقول ليحيى يا ابت ولا بنيه الفضل وجعفر يا اخوتى : ابن خلكان

وفيات الاعيان ١/ ١٩٧ ، ٥/ ٢٦٥ — ٢٧٣ .

(٤) المقرئى الخطط ج ١ ص ٣٩٠

(٥) المقرئى الخطط ج ١ ص ٣٥٥ — ٣٥٦ .

يدلنا على ذلك تطلع امير الجيوش بدر الجمالي نفسه الى محاولة فرض وصايته على المستنصر من قبل . فحينما استدعاه المستنصر لتولى الوزارة بالقاهرة اقبل على الفور فدخلها عشية الارباء ٢٨ جمادى ، الاخره عام ٤٦٦ هـ ٣١ يناير عام ١٠٧٤ (١) . فعقد يوم وصوله مجلسا عظيما عاما اجتمع فيه - على حد تعبير ابن ابيك - اكثر الناس فاستفتى القارئ (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم - ولقد نصركم الله بهدر) (٢) . فغضب المستنصر لذلك غضبا بالغا حتى انه هدد القارئ معلنا لو اتم الاية امرت بضرب عنقه (٣) . ولا يبعد ان يكون ذلك من تدبير امير الجيوش نفسه او بعض انصاره في البلاد ولقد تمتع بدر الجمالي باهم المناصب بالولة على عهد الخليفة المستنصر " فكان وزير السيف والقلم واليه قضاء التقدم على الدعاة وكان يلقب بامير الجيوش (٤) . وطال حكمه احدى وعشرين عاما (٥) .

لذلك لا غرابة في ان يماط الانضل في موافقته المستنصر على اخذ البيعة لابنه نزار حتى لحظة وفاته . ويذكر التاريخ ان المستنصر كان

(١) المقرئى اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٣١٢

(٢) سورة ال عمران اية ١٢٣

(٣) ابن ابيك كنز الدرر ج ٦ ص ٣٩٩

(٤) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٦٠

(٥) Huart: Hist. des Arabes. Tome I. P. 348

قد اجلس ابنه ابا المنصور نزار لانه اكبر اولاده وجعل اليه ولاية العهد من بعده^(١) . فلما قربت وفاته اراد ان ياخذ البيعه على رجال دولته فتقاعد له الافضل شاهنشاه ودافع المستنصر من يوم الى يوم حتى مات^(٢) . بسبب انه كان بينه وبين نزار كراهية " وكان في نفس كل منهما مباينه من الآخر^(٣) .

فلما مات المستنصر اجتمع الافضل ٤٨٧ — ٥١٦ هـ = ٢٠٩٤ — ١١٢٢ م بالامراء وكبار رجال الدولة واثار في نفوسهم الخوف من نزار كما اشار عليهم بتولية اخيه الاصغر ابي القاسم احمد^(٤) . فوافقوا على ذلك فيما عدا محمود بن مصال اللكبي^(٥) . احد انصار نزار الذين كان قد وعدهم بمنصب الوزارة والتقدم على الجيش. فعلا من الافضل فسي حالة اذا ما آل اليه امر الخلافة^(٦) . ولكن الافضل — بفضل من اجتمع حوله من القواد والامراء وبعطى اغراد البلاط المستنصرى — لم يعبأ وبايع لابي القاسم احمد ولقبه بالمستعلى بالله وكان ذلك بكرة الخميس لاثني عشرة ليلة بنيت من ذى الحجة عام ٤٨٧ هـ ٢٤ ديسمبر عام

- (١) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٨٢
- المقريزى التعاظ الحنفا ج ٣٢ ص ١١
- (٢) ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٢
- (٣) المقريزى التعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٢
- (٤) سبط ابن الجوزى مراة الزمان ج ٨ ص ٢
- (٥) بالضم وتشديد الكاف: نسبه الى لك بلده من نواحي برقه بين الاسكندرية واربلس الغرب: ابو المحاسن: النجوم الزاهرة حاشية ١ ص ١٤٢ من الجزء الخامس
- (٦) ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٢

عام ١٠٩٤ م (١) . واجلسه على سرير الملك ، او بمعنى آخر سرير
الخلافة (٢) . ثم جلس الافضل على دكة الوزارة فحضر قاضي القضاة
على بن نافع وبين الكحال والشهود معه واخذوا البيعة على مقدمى
الدولة ورؤساءها واعيانها (٣) .

لم يكتف الافضل بذلك . فاخذ له البيعة على بقية افراد الاسرة
وعلى القورا ضد الافضل بذلك سجلا اثره على رؤوس القواد الشريف
سنة الملك محمد بن محمد الحسينى الكاتب بديوان الانشاء (٤) .
ذلك فى الوقت الذى كان نزار قد وصل الى الاسكندرية صحبة اخيه عبد
الله وابن مصال حيث استقبلهم واليها افتكين التركى - احد مماليك
بدر الجمالى (٥) - فبايعه وبايع معه اهل الاسكندرية وعلى راسهم ،
القاضى جلال الدولة بن عمار (٦) . فخطب الناس ولعن الافضل ولقب

(١) ابن القلانيس : زيل تاريخ دمشق ص ١٢٨
Grousset; Hist. des croisades. vol. I. P. 83

(٢) سير الخلافة هوكرسى العرش فى لغة العصر الحديث (الباحث) .

(٣) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٢

(٤) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٢

(٥) كان من اكابر الغلمان الجيوشه الذين عول عليهم امير الجيوش
على اقامته فى الامر من بعده . فاستحكم الخلاف بينه وبين الافضل

وانتهى الامر بقتله : ابن القلانيس : زيل تاريخ دمشق ص ١٢٨ .

نزار بالمصطفى لدين الله" (١) . ويقال ان ذلك اللقب منحه اياه
اسماعيليه الموت الذين نادوا بامامته فيما بعد (٢) .

تعين على الافضل ان يتابع مسيرته ضد نزار . وهو الذى التف حوله
اكثر من ثلاثين الف فارس وراجل — كما ورد فى كتاب ام المستعلى للسبده
الحره صاحبة اليمن (٣) . فخرج فى عام ٤٨٨ هـ : ١٠٩٦ على رأس جيش
كبير نحو مدينة الاسكندرية حيث دارت بين انصار كل من الفريقين
معركة ضاربة خارج المدينة كانت الكسرة فيها على الافضل (٤) . فرجع
بين معه الى القاهرة (٥) — لكنه كان لابد امن اعادة الكره لقتال نزار .
والا لكانت القاهرة وجهتهم هذه المره ولفشلت كل جهوده فتصبح اماله
هباءً منشورا . فخطط لحملته المقبله فاستمال الافضل بعض انصار نزار
من العربان بما حملة اليهم من الاموال وما وعدهم به من الاقطاعات وغيرها
ثم خرج ليلتقيا مرة ثانية خارج مدينة الاسكندرية حيث دارت الهزيمة
على نزار وانصاره بسبب من انقض من حوله من العربات يضاف الى
ذلك ان ابن مصال نفسه فر الى بلاد المغرب (٦) . وكان سبب فـراره

(١) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٨٢
Defremery Essai sur l'Hist. du Ism. P. 56

(٢) ابن ابيك الدوادار كنز الدرر ج ٦ ص ٤٤٤

(٣) السجلات المستنصرية ص ٢٢٥

(٤) المقرئى الخطط ج ١ ص ٤٢٢

(٥) سبط ابن الجوزى مرآة الزمات ج ٨ ص ٢

(٦) المقرئى اتعاذ الحنفا ج ٣ ص ١٤

(٧) ابن ميسر تاريخ مصر ج ٢ ص ٣٧

فيما يقال انه رأى فيما يرى النائم وكأنه ركب فرسا وسار والافضل يمشى
في ركابه فليل له تفسيراً لهذه الرؤيا • ان الماشى على الارض املك
لها (١) • فبيت في نفسه امراً فهرب من ميدان المعركة •

وبقرار ابن مصال وغيره ضعفت الجبهة النزارية في مدينة الاسكندرية
فطلب كل من نزار واقتكين الامان من الافضل فامتهما • ودخل البلد
فتم القبض على نزار ورفيقه اقتكين وعلى الفور بعث بهما الى القاهرة
على انه يؤخذ على الافضل عدم وفائه بامانه لنزار وصاحبه • فقتلا
بالقاهرة شرقتله (٢) • كما قتل من اتبعه في الاسكندرية عدد غير قليل
ويحتمل مقتل نزار في الواقع بداية لنهاية اسماعيلية مصر لتظهر في ثوب
جديد كقوة لها وزنها وخطرها ولكن في مكان بعيد ••••• في بلاد
الشرق (٣) •

(١) ابن ميسر تاريخ مصر ج ٢ ص ٣٧

(٢) يفهم مما جاء في السجلات المستنصرية ان اقتكين حاول الفرار قبل

القبض عليه : السجلات ص ١٦ •

(٣) المقرئى الخط ج ١ ص ٤٢٣

Grousset : Hist . des croisades, Vol. I. P. 145

Ivanow. Studies in early Persian Ism. P. (٤

25 - 26.

والجدير بالذكر ان الافضل لم يتتبع نزار في الاسكندرية فحسب ، بل افتقى اثار انصاره في القاهرة . منا يدل على ان تخطيطا واسعا وضع للقضاء على حركته نهائيا في مصر . فكانت امه تخرج كل ر يوم فتزوف وهى متككرة في لاسواق وتدخل يوم الجمعة الى المساجد فتزور المشاهد المختلفة والربط تستعلم خبر ولدها ولتقف على اعوانه من اعدائه . فكانت تخرج في هيئة امرأة عادية تحكى لمن يصادفها من التجار ورجال الدين وارباب الحرف المختلفة ماساء ابنها — المزعوم بشبيعة الحال — والذي حمله الافضل غصبا لقنال نزار معلنة في الناس . ولدى في المعسكر مع الافضل . الله تعالى ياخذ لى منه الحق ، ما فعل خيرا وانا ما انام خوفا على ابني " (١) . فمن ساء خطه مثل " الفار السيوفى " وعلى بن بابان الحلبي — وهما من انصار نزار — ذهب معها في لعن الافضل وسببه متمنيا على الله كسرتة راجيا له الهزيمة ، فقد لقي حتفه على باب حانوته فور انتصار الافضل وعورته الى القاهرة . واما من اسعده الحظ عارضها في قولها متمنيا النصر للافضل ومن معه ، فكان نصيبة الخير والاسعاد . امثال ابن سعد الاطفيعى صاحب مسجد ابى طاهر الذى نال من الخير ما لم ينله احد من قبل (٢) .

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٥ — ١٦

(٢) من تجار القاهرة في ذلك الوقت .

وكيفما كان الامر . فقد ادى مقتل نزار الى انقسام الاسماعيلية الى فرقتين : مستعلوية ونزارية^(١) . فاما انصار المستعلى بالله فقد ساقوا الامامة الى المستعلى بالله ابي القاسم احمد سادس - خفائهم بمصر . وعرفوا فيما بعد بالمستعلوية او اصحاب الدعوة المهديّة الفاطمية^(٢) . ويعيش اتباعهم اليوم في غرب الهند وشرق افريقيا حيث نزحوا من بلاد الهند . كذلك يوجد عدد منهم في اليمن ويعيشون في نفس الوقت في مجموعات تعمل في التجارة في اواسط اسيا ويعرفون بالاسماعيلية^(٣) .

اما النزارية فقد ساقوا الامامة الى نزار^(٤) . واليه تنسب ملوك الاسماعيلية اصحاب الدعوة ارباب قلعة الالموت ومعها من القلاع في بلاد العجم^(٥) . وهم يقولون ان الاقامة انتقلت بعد المستنصر الى ابنه نزار بالنص من ابيه دون ابنه المستعلى . ويستندون في ذلك الى ان الحسن بن الصباح حينما جاء الى مصر في خلافة المستنصر بالله استقبله خليفة البلاد على الرحب والسعة فآكرمه وامره بادعاء

(١) القلقشندي صبح الاعشى ج ١٣ ص ٢٣٦

(٢) ابن واصل مفرج الكروب ج ١ ص ٢٠٩

(٣) Defremery: Essai sur l'Hist. des Ism. P. 57
Ivanow: A Guide to Ism. Lit. P. 7

(٤) ابن فضل الله العمري التعريف بالمصطلح الشريف ص ١٥٢
Lewis Assassins of Syria. P. 574.

(٥) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٦١

الناس الى امامته . فسأله ابن الصباح : من الامام بعدك ؟
فقال المستنصر " ابني نزار " (١) . فعاد ابن الصباح من مصر
الى الشام فالجزيرة وديار بكر فبلاد الروم حتى ادخل خراسان
فعبّر الى ماوراء النهر وهناك في الشرق اخذ يدعو الى امامة المستنصر
وابنه نزار من بعده (٢) . ويقال انهم عرفوا بالصباحية (٣) . الا انهم
لم يشتهروا بذلك حيث لم يستخدم هذا اللقب بعد . واستقر هذا
القب حاليًا في سورية جنبًا الى جنب مع النصريه والدروز ويعرفون
بالاسماعيلية ايضا (٤) . اما من يعيش منهم في ايران وحول خراسان
وكرمان وفي افغانستان وفيقرقون بالاغانيين (٥) . نسبة التي
زعيمهم الاكبر اغاخان ويقتل نزار قلت حدة الخلافات الداخلية
التي عاقت خلافة المستعلي وقد ظن الافضل وسيد ان الامر
قد استتب لهما في البلاد وان البيعة انتظمت لامير المؤمنين

-
- (١) ابن ميسر تاريخ مصر ج ٢ ص ٣٧
(٢) القلقشندي صبح الاعشى ج ١٣ ص ٢٣٦
(٣) الدهلوي مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ١٩
(٤) وكان الدروز هم اول من استقر في هذه المنطقة حوالي عام ٤٢٣ هـ .
١٠٣١ م / محمد كرد علي : خطط الشام ١/١ ص ٢٨

على اجمل القضايا والاسباب ودخل الناس فيها افواجا من كـ
باب يحسن سياسة السيد الاجل الافضل امير الجيوش سيف الاسلام
ناصر الامام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المسلمين (١) .

الا انه في لحظة غفوه جاء الخطر هذه المرة من الشرق حيث
كان يعيش الحسن بن الصباح الذى قاد الحركة المضادة لخلافة
المستعلى ومن بعده في بلاد فارس وخراسان والشام (٢) . والتى كان من
أهم نتائجها ان قامت فرقة اسماعيلية جديدة على مسرح التاريخ عرفت
فيها بعد " بالنزارية او بالدعوة الجديدة (٣) . ولقد دفع الافضل
حياته ثمنا لطموحه . فلم يكد يمضى على حركته هذه بضعة سنين قليلة
حتى وثب عليه ثلاثة من الباطنية فارادوه قتيلا في رمضان عام ٥١٥ هـ -
ديسمبر عام ١١٢١ م (٤) . وان كان الراى العام في مصر حينذاك قد
الصق تهمة قتله بالخليفة الامر (٥) . حيث يقال ان الامر وافق المأمون
على قتله فرتب له من قتله (٦) .

- (١) السجلات المستنصرية ص ١١٧
Guyard: Un grand maitre P. 19 - 20 (٢)
(٣) الشيرستانى الملل والنحل ص ٤٣١
Defremery Essai sur l'Hist. du Ism. P. 71

- (٤) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٦
(٥) ابن الوردي تاريخ ابن الوردي ج ٢ ص ٢٨
سيد اوبر على روح الاسلام ج ١ ص ٤٩٤
(٦) المقرئى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٦٨

ذلك في نفس الوقت الذي يفهم من قول صاحب المراء ان
الباطنية انما استخدموا كوسيلة من جانب الامر والمأمون للخلاص
منه . وكان الامر قد استوزر ابا عبد الله محمد بن فاتك الذي عرف
بابن البطائحي " ف قيل انه هو الذي دبر قتل الافضل وان اللذين
قتلاه كانا من الباطنية ^(١) . اما ابن الفلانس فانه يلقى ضوءاً من
نوع اخر على هذه القضية . فيقول " ان قتله كان في شوال عام ٥١٥
هـ ثا في عيد الفطر بامر رتب له ودبر عليه الى ان امكنت الفرصه منه
وقد كان على غاية من الاحتراز والتحفظ بانواع السلاح والخدم والغلمان
والعبيد بايديهم السلاح فوثب عليه رجلا ف ضرباه ضربات سقط
منها عن جواده الى الارض وحمل الى داره وبه رمق فمات من يومه
وادعوان الباطنية قتلته ^(٢) . ثم اضاف قائلا : وليس بصحيح ^(٣)
وقد وصفه المؤرخين بانه كان حسن الاعتقاد سواس حميد السيرة
موثراً المعدل كريم الاخلاق صادق الحديث . لم يات الزمان بمثله
ولا حمد التدبير عند فقده ^(٤) .

وكان الامر قد تولى الخلافة في عهد الافضل وهو طفل لـ
خمس سنين فحجر عليه . ^(٥) . كذلك يقال انهم صوبوا نفس السهام
نحو الخليفة الامر نفسه ٤٩٥ — ٥٢٤ = ١١٠١ — ١١٣٠ م فاردوه

(١) سبط ابن الجوزي : مراة الزمان ج ٨ ص ١٠٥

(٢) ابن الفلانس ذيل تاريخ دمشق

(٣) ابن الفلانس نفس المصدر والصفحة

(٤) سبط ابن الجوزي مراة الزمان : ج ٨ ص ١٠٥

قتيلا في يوم الثلاثاء الرابع من ذى القعدة عام ٥٢٤ هـ ٩ اكتوبر
عام ١١٣٠ م^(١) . وان كان ابن ابيك قد اتهم بنى عم البطائحي بذلك
وقيل ان الذين دبروا في قتله بقية من عترة محمد بن فاتك^(٢) . الذي
كان قد قبض عليه وامر بقتله . وكان قد تولى امر الوزارة اشرف مقتول
الافضل . كما ان ابن خلكان نفسه نفى عن الاسماعيلية تهمة قتله^(٣) .
ذلك في الوقت الذي نجد ابن الجوزي يحدد هوية القتل " فهجم
عليه عشرة غلمان من غلمان الافضل فقتلوه^(٤) . وعلى ذلك يصبح
الاسماعيليون ابرياء من تهمة اغتيالهما .

الحسن بن الصباح مؤسس النزارية :

اما مؤسس فرقة الاسماعيلية النزارية فهو الحسن بن علي بن محمد
بن جعفر بن الحسين بن الصباح الحميري . وقد عرفت هذه الفرق
باسماء ثلاثة . ففي بلاد الشام عرفوا باسم الحشيشية . ومن كان منهم

(١) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٠٠

(٢) المقرئى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٢٩

(٣) ابن ابيك الدواد اركنز الدرر ج ٦ ص ٥٠٥

(٤) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٨٤ - ٣٨٥

بقلمة الموت يقال لهم الباطنية او الملاحدة . اما من كان منهم
بخراسان فيقال لهم التعليمية ، وكلهم اسماعيلية (١) .

ويقال عن الحسن بن الصباح — المؤسس الاول للنزارية — ان
والده كان قد هاجر من اليمن الى بلاد اصفهان (٢) . وان الحسين
نفسه كان قبل اعتناقه لمذهب الاسماعيلية ، اثني عشر المذهب (٣)
الا انه لما جرى الملل في نفوس بعض اتباع المهدي المنتظر لطول —
انتظارهم لطهوره — وبدون جدوى — ذلك في الوقت الذي يشاهدون
فيه عن كتب امام الجناح الاسماعيلي صورة حيه تتحرك لترعى شئون
الدعوة . ولا شك في ان هذا العامل بجانب عوامل البذل السخاء والاغراء
الذي اتسمت به الدعوة الاسماعيلية كان سببا في انضمام الكثير من دعاة
الاثني عشرية وانصارهم الى صفوفهم (٤) . وعلى راس هؤلاء كان الداعي
ابو القاسم حسن بن فرح بن حوشب منصور اليمن ، وعلى بن الفضل .
وهما اصحاب الفضل الاول في نشر الدعوة في بلاد اليمن (٥) . ثم —

(١) سيد امير على روح الاسلام ج ٢ ص ٢٢٢
Ivanow A guide to Ism. Lit . P. 101

(٢) ابن ميسر تاريخ مصر ج ٢ ص ٦٨

(٣) ج ١ ص ١٢١ تراث فارس

(٤) براون تاريخ الادب في ايران ج ٢ ص ٢٤٨
Kalami Pit. P. XiX.

(٥) ابن حيون رسالة افتتاح الدعوة ص ٤٦ — ٤٧

بعدهما الداعي ابو عبد الله الشيعي مؤسس دولة المهدي الاسماعيلى
فى بلاد المغرب حيث قامت لأول مرة فى التاريخ خلافة اسماعيليه
تقف على قدم وصاق مع الخلافة العباسية فى بغداد . كان ذلك عام
٢٩٧هـ / ٩٠٩م (١) .

وهكذا تحول الكثيرون الى الاسماعيليه . وكان الحسن بن الصباح
من اوائل المتحولين الى ذلك المذهب المتمثل فى امام حن يـرزق
قد يصل اليه ويحظى بـ"وياء" من تعميق فى اصول الدعوة واخلص لـها
وعمل من اجلها . ويؤثر ان الحسن بن الصباح كان قد اصيب بـمرض
خطير شارب بسببه على الهلاك فنذر ان هو يرى من مضرته ليعتنق
على الفور مذهب الاسماعيلين . وقد صدق النيه فوفى بنذره (٢) . وقد
دفعه الى ذلك كانت هذه الدعوة عند ظهوره رائجه فى بلاد فارس
واصفهان . وذلك بفضل جهود الداعي ناصر خسرو (٣) . فتمكن ابن
الصباح من استغلال الفرصه خير استغلال فى تدعيم نفوذه وتقوية شان
اتباعه . وكان ذلك فى الوقت الذى تصفت الدعوى للاثنى عشره فى تلك
الاقاليم فيما يقتقد — بالضعف والفتور ، فلم تستطع الصمود امام

(١) د . سعيد عاشور : مصر فى العصور الوسطى ص ١٨٣ — ١٨٤

(٢) Defremery: Essai sur l'Hist. P.65

(٣) Sykes: A Hist. of Persia. Vol. II. P.109

التيار الاسماعيلي الجارف . فضلا عن ذلك فانه يفهم من كلام ابن كثير ان اصفهان بالذات كانت حقلا واسعا وخصبا لتنمية الفكر وتفريخ المذاهب المختلفة بسبب هروب كل اللاجئين من تمسك الحكم اليها (١) . يؤيده البنداري في ذلك (٢) .

ويبدو ان الجناح الاسماعيلي كان اكثر نشاطا واعظم طموحا من بني عمومته اصحاب الاثنى عشرية وهم اولئك الذين قنعوا ببعض المناصب الدينية او الدنيوية كإمارة الحج ونقابة الطالبين في بغداد وتحت ظل الحكم العباسي وهي تلك التي لم ترض غرور الاسماعيليين . وقد لزمهم ذلك المبدأ حتى في الوقت الذي دهمتهم الاخطار المحدقة بهم على يد اعدائهم من اهل السنة او من غيرهم من الصليبيين والتتار .

يعتبر عهد الموت جزء لا يتجزأ من تاريخ بلاد الفرس في عصرها الوسيط سواء من الناحية السياسية او الاجتماعية او الاقتصادية (٣) . لعل انه في تصورنا - جزء لا يتجزأ من تاريخ الحركات السياسية والدينية

(١) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٤٩

(٢) البنداري تاريخ آل سلجوق ص ٨٨ - ٩٠

(٣) Ivanow: studies in Early Pers. Ism. P.

والاقتصادية التي لعبت ادوارا هامة في التاريخ الاسلامي بصفوة خاصة ، والتاريخ العام بصفة عامة ، ولا زال الاسماعيليون يشغلون بال الكثيرين من الباحثين في مختلف اللغات والذين جندوا انفسهم لمثل تلك الموضوعات الهامة التي غيرت كثيرا من مجرى التاريخ الانساني كله .

وكيفما كان الامر فقد ادى انضمام الحسن بن الصباح الى المذهب الاسماعيلي الى تغيير اسلوب حياته كلية مما جعله يتحسس لمذهب الجديد (١) . الامر الذي احدث ثورة متعددة الجوانب لا تزال جذوتها مشتعلة حتى اليوم (٢) . ولقد بع الحسن - الذي بدأ حياته كاتباً - للامير عبد الرازقين بهرام (٣) . في قيادة الدعوة الاسماعيلية فسي بلاد فارس واصفهام في ذلك (٤) . الوقت . مما اثار سخط السنيين عليه وانتباههم له والوقوف منه موقفا مضادا .

ومع انه كان قد تولى بعد ذلك احد المقاصب المرموقة فسي البلاط المسلجوقي . الا انهم اخذوا يضعون العراقيل في طريقه حتى طرد من عمله .

(١) د . طه شرف درولة النزارية ص ٤٧

سيد يو تاريخ العرب العمام ص ٢٣٠

Guyard: Un grand maitre . P. 24

المنتظم ج ٩ ص ١٢١

تاريخ ايران ص ٢٤٢

(٢) ابن الجوزي

(٣) دونالدولبر

على ان طرده من عمله هذا ادى الى تفانيه فيما كان
فيما كان يرنو اليه وهو خدمه امامه ومذهبه الجديد . فاثار سلوكه
ازاء الدعوة ورؤساء او دعاة الاسماعيلية في خراسان واصفهان .
فما زال بهم او ما زالوا به حتى عملوا على ارساله الى القاهرة (١)
فصار الى مصر وتلقى من دعائهم المذهب وعاد داعيه القسم وراسانهم
وكان ذلك في غضون عام ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م (٢) . ابان خلافة
المستنصر بالله الاسماعيلى . وقد جاء في ذى تاجر الى المستنصر
بالله وخاطبه بى اقامة الدعوة له بخراسان وبلاد العجم فـانـ
له في ذلك فعاد ودعا اليه سرا (٣) .

وقد اشار القلقشندي الى قضية هامه حوّل اسباب مجي
ابن الصباح الى مصر . فحواها وقرع خلاف بينه وبين شيخ الجبل الاول
احمد بن عطاش . مما اضطره الى الفرار لمصر خوفا من بطشه . وكان
الحسن بن الصباح - كما ذكر القلقشندي - من تلامذة احمد بن عطاش
صاحب قلعة اصبهان والموت (٤) . وكان شهما عالما بالتصايم

(١) عمر ابو النصر قلعة الموت ص ٢٤

(٢) ابن الجوزى تليس ابليس ص ١١٠
المنتظم ج ٩ ص ١٢١

(٣) Kalami Pir. P. Xia
Defremery: Essai sur l'Hist. des Ism. P. 66

(٤) ابن الاثير الكامل ج ٩ ص ١٥٤ - ١٥٥
يلاحظ انه وقع تبين بين المؤرخين العرب والاوربيين حول موعد حضور
ابن الصباح للقاهرة . وقد اوضحنا ما ذكره ابن ميسر في الصفحات التالية
الباحث .

والنجم والسر . فاتهمه ابن عطاش بالدعوة للفاطيين خلفاء مصر
فخاف وهرب منه الى مصر في خلافة المستنصر فاكرمه وامره بدعاء الناس
الى امامته (١) .

على اننا نرى ان اتهم ابن عطاش لابن الصباح بانه من دعاة
الفاطيين كان نوعا من التقية التي اشتهر بها الاسماعيليون انفسهم .
اوربما كان تنويها من ابن عطاش نفسه على السلطة الحاكمة لاخفاء حقيقته
ولابعاد الشبهات من حوله حتى لايقع هو تحت طائلة الحكم الملجوقى
الذى بدأ يحارب من هم ليسوعلى مذهب الدولة (٢) . خاصة وان
صلاطين السلاجقة لم يسكنوا عن عبث الباطنية بمصالح بلادهم (٣) .
هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ليعطى فكره بهروب ابن الصباح

(١) هذا القول يشير الى قضية هامة اخرى وهى خضوع قلعة الموت
للاسماعيليين قبل ان تخضع بصفة مباشرة للحسن بن الصباح
عام ٤٨٣ / ١٠٩٠ الامر الذى سهل له الاستيلاء عليها بعسده
ذلك (الباحث)

- (٢) الفلقشندي صبح الاعشى ج ١٣ ص ٢٣٧
- (٣) كانت التقية من اهم العوامل التى ادت الى غموض الكثير من
حوادث واسباب التاريخ الاسماعيلى ونواحيه المختلفة سواء فى
ذلك العقائدية او السياسية او الاجتماعية او العسكرية والواقع لقد
لعب المؤرخون السنيون دورا هاما فى كشف النقاب عن بعض تلك
الحوادث والاسباب ولكن من وجهة نظرهم . الامر الذى يريد من
مشقة الباحثين السنيين فى هذا الميدان . وقد لازمتهم التقية او
السرية حتى الان (الباحث) .
- (٤) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٥

انه لا يوجد في البلاد دعاء او انصار لاسماعيلية مصر . ذلك اذا علمنا —
على وجه الخصوص — ان ابن عطاش نفسه كان قد تعرض للقتل من قبل
حيث . اخذه السلطان طغرل بك واراد قتله لاجل مذهبه فاطهم —
النوبة ومعنى الى الري وصاحب ابا على النبيلسا بوري وكان يتقدمهم
بالرهي فسا هره وجمع رسالة في الدعاء الى هذا المذهب سماها الحقيقة^(١)
وهذا ما يوهيد راينا السابق في شان قرار ابن الصباح الى مصر . ذلك
في الوقت الذي يوهيد فيه كتاب الاسماعيليه انفسهم وغيرهم من المؤرخين
ان وفود ابن الصباح على مصر كان بناء على تعليمات ابن عطاش نفسه
بعد ان لمس فيه تبوغا وتوقفا في اصول المذهب .^(٢)

على اية حال لم يكن ابن الصباح هو اول من زار مصر
من دعاة الاسماعيليه على عهد المستنصر . فقد سبقه اليها الرحالة
والداعية الاسماعيلي الكبير ناصر خسرو والذي لقب به اتباعه . بحجة
خراسان^(٣) . وقد مكث في القاهرة حوالي ثلاث سنوات يتلقى اسرار
العلوم الاسماعيليه^(٤) .

(١) سبط ابن الجوزي مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٠

(٢) مصطفى غالب تاريخ الدعوة الاسماعيليه ص ١٩٠

Sykes. A Hist. of Persia Vol. II. P. 109

(٣) Brawne: A lit. Hist. of Persia. Vol. I. P.

400-401
5) Sykes. A Hist. of Persia Vol. II. P. 136

وكان ان ابقى ابن الصباح في القاهرة حوالي ثمانية عشر شهرا . وقد اختلف المؤرخون فيما اذا كان قد حظى بلقاء المستنصر من عدمه . الا ان كلا من ابن ميسور القلقشندى وكذلك المقرئى قد اكدوا ذلك فعلا . لقد جاء في تاريخ مصر لايمن ميسر " انه فسى هذه السنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٧ م . قدم الحسن بن الصباح رئيس الاسماعيليه الى مصر في رزى التجار واجتمع اليه المستنصر وتكفل له باقامته دعوته في خراسان وبلاد العجم (١) . ويضيف كل من ابن الاثير والقلقشندى والمقرئى على ذلك ما دار بين ابن الصباح والمستنصر حول امامه نزار حيث ساله ابن الصباح . من امامى بعدك ؟ فقال : المستنصر " ابني نزار (٢) . وفي ذلك تأكيد واضحا لاجتماع ابن الصباح شخصيا بالخليفة المستنصر بالقاهرة . وعلى اثره رجع ابن الصباح من مصر مارا بالبلاد التي سبق ذكرها فدخل كاشغور وبلاد النهر . وذهب هناك فدعا للمستنصر وبعد ولده نزار (٣) .

- | | |
|----------------|------------------------|
| (١) ابن ميسر | تاريخ مصر ج ٢ ص ٢٧ |
| (٢) ابن الاثير | الكامل ج ١٣٩ ص ٢٣٧ |
| القلقشندى | صبح الاعشى ج ١٣ ص ٢٣٧ |
| المقرئى | اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٢٣ |
| (٣) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١١٠ |

يعتبر الحسن بن الصباح في المشرق امتداد الخليفة الاسماعيلى فى مصر او فى بلاد الشام ، حيث استمد مركزه ذلك من امامه المصنصر بالله مؤيدا ابنه نزار على اثر الانشقاق الاسماعيلى فى القاهرة (١) . ومن ثم اخذ على عاتقه مهمة التأسيس لتقوية دعائم الدعوة فى تلك الاقاليم التى كانت تخضع فى ذلك الحين لنفوذ السلاجقة والئك الذين دخلوا الاسلام من اوسع ابوابه ممثلين كيانه الروحى اخذين على كاهلهم ضرورة الانتصار المذهب السنى تحت راية الخلافة العباسية (٢) . ويقال انهم كاتبوا الخليفة العباسى فى ذلك الوقت فاقرهم على ما يدهم من الممتلكات الجديدة التى خضعت لسلطانهم (٣) .

لذلك كان على الحسن بن الصباح ان يقيم للمجتمع الاسماعيلى الجديد فى وسط ذلك العالم السنى وبين اولئك الحكام المتعصبين ضدهم تنظيمها جديدا يكفل له القيام باعباء الرسالة الملقاة على عاتقه (٤) . ذلك فى نفس الوقت الذى كان صدر ابن الصباح مفعما بالحقد والكراهة لوزير المستنصر " بدر الجمالى " الذى كان قد دس له هواؤه حتى اجبروه

(١) ابن واصل مفرج الكروب ج ١ ص ٢٠٨

Sykes: A Hist. of Persia. Vol. II. P. 109

(٢) سيد امير على روح الاسلام ج ٢ ص ٢٢٨ Huart: Hist. des Arabes, Tome I. P. 353

(٣) د . حسين مؤنس نور الدين ص ٣٥ - ٣٦ Ivanow: Studies in Early pers. Ism. P. 26

(٤) المقرئى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٢٣

على الفرار من القاهرة . وقد اكد المقرئى ذلك باشارته الى وقوع خلاف بينه وبين المستنصر بحبيب . ان المستنصر بلغه عنه كلام فاعتقله ثم اطلقه (١) . وكان ابن الصباح قبل ذلك وعلى اثر مجيئه الى مصر قد اتصل بالمستنصر واختص به والتزم ان يقيم له الدعوة في بلاد فارس وخراسان وغيرها من بلاد الشرق الاسلامى .

بيد ان تفكيره كان قد هداه لتأسيس دولة اسماعيله فارسيه (٢) . ذلك لينتقل اليها الخليفة المستنصر بالله وليتخذها مقرا له بدلا من مصر تلك التى ضاقت بما فيها من الفتن والمنافسه بين اصحاب السلطة (٣) فاقام من نفسه قائدا لجيش من الدعاة الذين جابوا البلاد يثيرون الدعوة الاسماعيليه . ف جذبوا كثيرا من الجماهير المتعطشه الى العدالة والحريه والحياة الكريمة التى صورها لهم الحسن بن الصباح واتباعه ففى مجتمع عمت فيه القلاقل نتيجة للخلافات على عرش السلطة (٤) .

(١) محمد كرد على مخطط الشام ج ٢ ص ٣

(٢) د . محمد كامل حسين طائفة الاسماعيليه ص ٦٩

(٣) د . حسين مؤتمى نور الدين ص ٦٥

(٤) Sykes: A Hist of Persia vol. II. P. 109

وكان من عادة الاسماعيليين ان يختاروا لمعيشتهم تلك الاماكن الجبلية البعيدة عن منال الحكام النائية عن عيون اهل المدن والستى اصبحت فيما بعد تشكل مراكز هامه للنشاط الاسماعيلى (١) . لذلك اختاروا لنشاطهم عددا من القلاع الحصينة التى منها وجهوا جيوشهم المتمثلة فى الفدائيين اولئك الذين كانوا يقبلون على تنفيذ كل اوامر قائد القلعة بكل صدق واخلاص . بل باقدام لم يشهد له التاريخ مثيلا (٢) . وقد اصبحت تلك القلاع فيما بعد قوة لا يستهان بها بالرغم من سطوة الامبراطورية السلجوقية صاحبة السلطان المطلق فى بلاد فارس وبالذات بعد ان وقعت الموت فى ايديهم (٣) . والقلعة كما هو معروف حصن على الجبل . وقد اقتضت حالة المساحة ودواعى الامن فى مدن العصور الوسطى ان يكون لكل مدينة قلعة لحمايتها من المعتدين وللدفاع عنها ضد المغيرين (٤) .

وكانت قلعة الموت ومعناها عش العقاب . او بلسان اهل طبرستان ما وجدته العقاب (٥) . قلعة منبعه على جبل وحولها

(١) Ivanow: Studies in Early Pers. Ism. P.26-27

(٢) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٢

(٣)

(٤) ميشيل لباد الاسماعيليون بمصيايف ص ٧٦ - ٧٧

(٥) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١١٠

وهاد . تعين على من يريد نهبها الا يبلغها الابشق الانفس .
وكانت لقماح صاحب ملكشاه . وكان مستحفظها متديها بمذهب القوم (١)
كما ان ملكشاه نفسه اتهم بذلك ، وكان السلطان ملك شاه قســد
فسدت عقيدته بسبب معاشرته لبعض الباطنية ثم تتصل من ذلك وراجع
الحق (٢) . قامت تلك القلعة على مسافة ستة فراسخ من قزوين . وليثبت
حوالي مائة واحد وسبعين سنة من امنع حصون الاسماعيلية (٣) . وقد
ركز ابن الصباح كل جهده لامتلاكها (٤) . فاستخدم كعادة الاسماعيليين
في كل عصورهم - عنصر الدعوة في بادي الامر للوصول الى اهدافه . ف جذب
اليه عددا كبيرا من جنود تلك القلعة الذين اعتنقوا مذهبهم فهدوا
له الطريق للاستيلاء عليها بكل سهولة .

واختلفت الروايات حول طريقة استيلاء ابن الصباح على
القلعة . فراوية تقول ان ابن الصباح لما رأى القلعة اثار خياله

-
- (١) ابن الجوزي تلبس ابليس ص ١١٠
 - (٢) ابن كثير البداية والنهاية ج ٢ ص ١٤٣
 - (٣) لسترنج بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٥
 - (٤) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١١٠

وشدت اليها انتباهه • فاختر اهل تلك الناحية • فاقام عندهم وطسمع
في اغرائهم • فدعاهم في السر واطهر التنزهه فتبعه اكثرهم • وكان
صاحب القلعه رجلا من العلويين الذين جلسوا اليه وتركوه به (١)

فلما استقرا رأى ابن الصباح دخل يوما على العلوى بالقلعه وطلب
اليه الخروج منها • فتبسم العلوى وظنه يمزح ولكن ابن الصباح كان
قد بيت النيه للاستيلاء عليها فامر اصحابه فاخرجوه الى دامضان واعطاه
ابن الصباح ماله وملك القلعه • (٢)

هكذا • • • بينما نجد رواية اخرى تفيد ان ابن الصباح عندما
تمكن من بث دعوته في صفوف جند القلعه او عزالى دعائه بها ان يوجهوا
اليه دعوة لزيارتهم • وكان على راس هؤلاء الدعاة الداعى الحسين القائنى
الذى اتجه بكل جهوده الى حامية القلعه حتى ادخلهم في مذهبه (٣) •
فوجهت اليه الدعوة بين مظاهر الفلج والسرور • فذهب اليه ابن الصباح الى
القلعة اليه متنكرا ومنتحلا اسما بديلا لاسمه متظاهرا امام اهلها من
الذين لم يقفوا على حقيقة امره انه نائب ابن الصباح جاء ليتفقد
احوالهم • ففضى فيهم اياما يدرس القلعة دراسة دقيقة ومتعمقة
عليه على معالمها وليفحص جنبااتها واحوال من بها من الناس (٤) •

(١) ابن خلدون العبرج ٤ ص ٩٤

(٢) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١١٠

(٣) د • السيد محمد المزاولى فرقة النزارية ص ١١٤

(٤) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١١٨

فلما وقف على ما كان ينبغي اعلان من حقيقة نفسه فطلب
من حاكمها ان يسلمها اليه نظير مبلغ من المال يتسلمه من حاكم
دافغان وهو اقليم يقع جنوب قزوين^(١) . وكان حاكم دافغان هذا ،
اسماعيل المذهب ياتد سر با و امر ابن الصباح ويعمل على تحقيق
ما ربه اصحابه في البلاد على الرغم من انه كان من عمال السلاجقة .
امام ذلك لم يستطع حاكم القلعة بذل اية مقاومة وبأذات عندما تأكد
له ان غلبة جنده اصبحوا من اتباع ابن الصباح كما انهم رهائن
اشارته . فتنازل عنها وتسلمها ابن الصباح في اليوم السادس من شهر
رجب عام ٤٨٣ هـ الرابع من سبتمبر ١٠٩٠ م^(٢) . وقد حدد اسم
الجوزي قيمة مآدفعه ابن الصباح لصاحب القلعة " بالفى ومائتى
دينار . كما انه ذكر انها كانت اول قلعة تملكها الباطنية في ذلك
الاقليم^(٣) . ومن ثم بدأ يعلن منها دعوته لامامة المستنصر . ولقد
توفرت هذه القصة الاخيرة في كتابات الاسماعيليين الذين ارخو الشيوخ
الجبيل^(٤) .

ومن عجيب المصادفات التي تتبعه اليها مؤرخو الفرس ففى
تلك الحقبة ان هذا التاريخ يتفق مع القيمة العددية التي تدل عليها

- (١) د . محمد كامل طائفة الاسماعيلية ص ٧٠
(٢) ابن الاثير الكامل Sykes: A Hist . of Persia . Vol. II . P. 109
Defremery: Essai sur l'Hist. des Ism. P. 69
(٣) ابن الجوزي المنتظم ج ٩ ص ١٢١
تليش ابلين ص ١١٠
(٤) مصطفى غالب سنان راشد الدين ص ٦٧ — ٦٩

عليها الحروف التي تشكل هذه الكلمة^(١) . وبعملية حسابية بسيطة نستطيع ان نقف على ذلك . فاسم القلعة الهاموت * وقياس هذه الحروف باعدادها نتبين الاتي :

$$\begin{aligned} & \text{ل + ه + ا + م + و + ت = الهاموت} \\ & ٣٠ + ١ + ٥ + ١ + ٤٠ + ٦ + ٤٠٠ = ٤٨٣ \end{aligned}$$

حصن الموت ودوره في نشر الدعوة في الشرق الاسلامي :

وباستيلاء ابن الصباح على قلعة الموت عام ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م أصبحت هي المقر الرئيسي لتنظيم شئون الدعوة الاسماعيليه اهلها تنظيما جديدا ودقيقا^(١) . فكان ذلك على حد التعبير الذهبي . اول ظهور الاسماعيليه^(٢) . وربما يقصد اول ظهورها في ثوبها الجديد . ومن الموت اوفد ابن الصباح الدعاء الى جميع البلدان والاقاليم المجاوره . كما انه وجد عنايته الزائدة لتنشئة طبقه جديده من الشباب الاسماعيلى عرفوا بالفداويه " فهو الذى اخرج امرا لسكين وتنفيذ الرجال بندا لقتل الناس ، ولم يكن ذلك يعرف على هذه القاعدة^(٣) . ولم تلبث هذه

-
- (١) براون تاريخ الادب في ايران ج ٢ ص ٣٨٩
 (٢) يرجع سبب بناء هذه القلعة الى ان احد ملوك الديلم كان كثير الصيد فارسل عقابا ثم تتبعه فراه يسقط على موضوع القلعه . فوجده - مكانا حصينا فامر على الفور ببناء قلعة الموت ومعناها عند الديلم تعليم او عش العقاب . النورى نهاية الارب ج ٢٤ فرقة ٦٢ مخطوط
 (٣) الذهبي دول الاسلام ج ٢ ص ١١

الفرقة ان اصبحت من اقوى العوامل الميزة ذلك العصر (١) .
وذلك لاقبالهم على اغتيال الملوك والامراء والفقهاء وكبار شخصيات المجتمع (٢)

فظهروا وقد تحكمت قواعدهم واستوثقت معادهم واخافوا
الصهيل واجالوا على الاكابر الاجل . وكان الواحد منهم يهجم على
كثير وهو يعلم انه يقتل ليقتله غسيله . ولم يجد احد من الملوك فسى
حفظ نفسه منهم حيلة فصار الناس فيهم فريقين : منهم من جاهر
بالمداوة والمقارعة ، ومنهم من عاهدهم على المسالمة والمولده . فمن
عاداهم خاف من فتكهم ومن سالهم نسب الى شركتهم في شركهم
وكان النافي منهم على خطر عظيم من الجهتين (٣) . وترتب على
ذلك ان " افسدوا اخلاق الملة الاسلامية شرقا وغربا وزغزعوا اركان
عقائدهم وساعدتهم مد الزمان على تلويث النفوس بالاخلاق الردية
وتجريدتها من الحجايا الكاملة (٤) .

والواقع ان ابن الصباح واعوانه تمكنوا بواسطة ذلك الجيش
الكبير من الدعاة والعداوة من الاستيلاء على عدة قلاع في المناطق

-
- (١) براون تاريخ الادب في ايران ج ٢ ص ٣٨٨
(٢) Le Strange : Palestine under the Moslems P. 352
(٣) البعداوى تاريخ دولة آل سلجوق ص ٦٣
(٤) الافغانى الرد على الدهريين ص ٤٢

المجاورة^(١) . فاستولى الاسماعيليون بجانب قلعه الموت على عدد من القلاع والحصون التي كان لها الدور الرئيسي في افلاق راحة القوم .

كان من اهم تلك القلاع " شاء دز "^(٢) . وهي تقع على جبل اصفهان تناصي السماك وتناظر الاقلاق^(٣) . الا انه بالرغم من ان حاكمها الاسماعيلي يعتبر عندهم انه " شيخ الجبل الاول " وكان يتمتع بمركز له اهميته وخطورته^(٤) - زقد استطاع ان يجمع حوله الوف المستجيبين من اهل اصفهان^(٥) . فانها لم تصمد امام هجمات الجيوش السلجوقية صمود الموت . فسقطت في يد السلطان محمد بن ملكشاه في ذي القعدة عام ٥٠٠ هـ يوليو عام ١٠٧٢ م^(٦)

(١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج (ص ٥٥١)
 (٢) ذكرها المقرئى تحت اسم " قلعة الدر " وكانت لابي دلسف
 المعجلى فجددها وسماها " ساهور " : اتماظ الحنفا ج ٢ ص ٣٢٣

(٣) البندارى تاريخ دولة آل سلجوق ص ٨٣
 (٤) مصطفى غالب تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ١٨٤
 (٥) ابن القلانز ذيل تاريخ دمشق ص ١٥١
 Skyes: A Hist. of Persia vol. II. P. 119

ابن كثير البداية والنهاية ج ٢ ص ١٦٧
 لسترنج بداية الخلافة الشرقية ص ٤١٥

وكانت هذه القلعة من امهات القلاع التى تمتنع على من رامها اشد امتناع . وكانت تبث الحبائل الى سائر الجهات والاقطار وترجع نتائج الفساد رجوع الطير الى الاوكار . وهى فى العزة مثل منساق الشمس التى تنال منها حاسة البصر دون حاسة اللمس . وكانها وهى فى اعلى شاهق نزلت الجبل على حالى^(١) .

وترجع اهمية تلك القلعة الى ان الذى كان قد بناها هو السلطان ملكشاه السلجوقى^(٢) . وسبب بنائها يرجع الى انه كان قد اثار رجلا من مقدمى الروم فاسلم وصار معه^(٣) . واتفق انهما ذهبا يوما للصيد . فهرب منها كلب حسن الصيد وصعد الجبل . فتبعه السلطان يرانقه السلطان يرانقه ضيقه الرومى^(٤) . وجداه موضع القلعة فوصحب ذلك الرومى من ان مكانا مثل هذا يترك فضاء من غير استغلال حتى من الناحية العسكرية فائلا . لو ان عندنا مثل هذا الجبل لجعلنا عليه حصنا نتفع به^(٥) . فامر السلطان على الفور ببناء القلعة واتفق عليها

- | | |
|--------------------|-----------------------------------|
| (١) سبط ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٠ |
| (٢) ابن الجوزى | المنتظم ج ٩ ص ١٥٠ |
| (٣) النويرى | نهاية الاربع ج ٢٤ ورقة ٢٩ مخطوط |
| (٣) سبط ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ١٩ |
| (٤) ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٦٦ — ١٦٧ |
| (٥) ابن الاثير | الكامل ١٠ ص ١٠٩ |

موالا عظيمه الفى الفى دينار^(١) . فلما انتهى من بنائها جعل فيها " دزدارا "^(٢) . وعلى اثر موت ملكشاه اصبحت اصفهان بيد زوجة خاتون ، فاعفت الدزدار من خدمتها وولت غيره . وكان ذلك رجلا ديلما يدعى " زيار " فلما مات تولى امر القلعه " رجل خسوزى " فاتصل به احمد بن عطاش رئيس الاسماعيليه فى اصفهان^(٣) . وكان اتباعه قد البسوه تاجا من الذهب . كما جمعوا له اموالا طائلة وقد موى عليهم مع جهله^(٤) . فلما اتصل ابن عطاش بالدزدار بقى معه فوثق به فقلده الامور^(٥) . وفيما يبدوان ابن عطاش استطاع ان يوثر على صاحب الامر فى القلعه حتى استتاله الى جانبه فاضحى نائبه فيها . ومن هنا تيسر له عقب وفاة الدزداران يستولى على القلعه^(٦) . فملكها واقام بها اثنى عشر سنة^(٧) . فكان لاستيلائه عليها على حد تعبير ابن الاثير — ضرر عظيم من اخذ الاموال وقتل النفوس وقطع الطرق والخوف المستمر^(٨) . حتى ان اهل ذلك الاقليم

-
- (١) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ١٩
(٢) الدزدار هو حاكم الاقليم او المقاطعه
(٣) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١٠٩
Sykes: A Hist. of Persia. Vol. II. P. 120
(٤) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ٥٥٠
(٥) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١٠٩
(٦) براون تاريخ الادب فى ايران ج ٢ ص ١٢
(٦) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٦٧
(٧) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٠
الذهبي دول الاسلام ج ٢ ص ٢٩

كانوا يقولون ان قلعة يدل عليها كلب ويشير بها كافر لابد ان يكون خاتمة امرها شر (١) .

وقد تمثلت خطورة تلك القلعة وحاكمها ابن عطاش في انهم كانوا يبعثون برجل اعمى على قارعة الطريق فينادى مستعطفا قلوب المارة اللهم ارحم من يقود الاعمى الى داره داخل هذا الزقاق . فيتقدم اليه الضحية بصدق يريد فعل الخير . وهناك داخل الزقاق تتلقفه ايدي القتل من الاسماعيليين فيجهزون عليه (٢) . وهذه ربما كانت احدى ، اساليبهم المختلفة في جذب اكبر عدد من شعب اصفهان الى صفوفهم خوفا من شرهم .

اتسع نفوذ الاسماعيليه النزاريه على اشرقتك من بلاد فارس واصفهان فاستولوا عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٦ م . على عدد كبير من القلاع التي لعبت دورا هاما في تاريخ تلك الاقاليم (٣) . فطيس ، تلك التي استولوا عليها في منتصف الثاني من القرن الخامس — الحادى عشر الميلادى — وقد تعرضت تلك القلعة فيما بعد لهجوم خطير من جيش

١) تلبيس ابليس ص ١٠

المنتظم ج ٩ ص ١٢١

الكامل ج ١٠ ص ١٠٩

١) ابن الجوزى

٢) ابن الجوزى

ابن الاثير

٣) د . سعيد عاشور الحركة للصليبيه ج ١ ص ٥٥١

السلطان سنجر السلجوقي ، فخر ب بعض حصنها (١) . وهي تعرف بطبس الثمر لكثرة ما بها من اشجار النخيل (٢) . وذلك تيسيرا لهما عن طبس العناب لكثرة ما بها من الكروم والتي اسمها القرص . طبس مستيان (٣) . وقلعة فهستان (٤) . وكان سبب ملكهم اياها انهم كان قد بقي فيها بقايا من بنى سيمجور امرا خراسان ايام السمانانية وكان قد بقي من نسلهم رجل يقال له " ابن المنور " وكان رئيسا مطاعا في قومه . فلما ولي كلسارغ فهستان ساد ظلمه وعنفه بالمجتمع . ثم انه تناول فاراد اغتصاب اخت لابن المنور بغير حل . فما كان منه الا ان التجأ للاسماعيلية فحرضهم ضد كلسارغ فهستان فحاربوه واستولوا على القلعة (٥) . وهنا يبدو واضحا تشوق الاسماعيلية لمساعدة من يخطب ودهم على الفور مصلحتهم الذاتية . وقد كان لاستيلائهم على اقليم فهستان اهمية كبرى حيث كان من اغنى الاقاليم بمنتجاته الزراعية فضلا عما كان يحويه من قلاع منبعه اهمها : ترشيز وميكال واهيكاك ومجاهد اباد واتشكاه ومعناها بيت النار وقد حاول رئيس الاقليم محاربتهم

-
- | | |
|-----------------|--|
| (١) الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ٢٢ |
| (٢) المقدس | احسن التقاسيم ص ٢٤ |
| (٣) لسترنج | بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٠٠ |
| (٤) ابوالفدا | المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ٢٢٥ |
| | Sykes: A Hist. of Persia Vol. II. P. 109 |
| (٥) ابن خلدون | المعبر ج ٤ ص ٩٤ |

والقضاء عليهم ولكنه فهل امام ضراوتهم (١) . فظلوا كذلك حتى
دهمتهم حملات هولاكو العسكرية فاستولى على ما يقرب من سبعين
قلعة من قلاعهم (٢) .

ومن بين ما استولوا عليه من القلاع والحصون " خورخوسف " و
وزوزن وقابن وتون وبعض الاطراف المجاوزة لها (٣) . ثم امتدت -
ايدىهم الى قلعة وسنمكوه وهى قريبه من ابررجت ، وكانوا قد ملكوها
حوالى عام ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م . ومع الناس اذهم (٤) . الا ان هذه
القلعة سرعان ما سقطت فى يد السلاجقه على عهد السلطان بركياروق ،
الذى جعل عليها من حاصرها حوالى ثمانية اشهر فاخذت منهم عام
٤٨٩ هـ / ١٠٩٥ م وقتل كل من بها من اخرهم (٥) .

كذلك استولوا على قلعة خالتجان (٦) . هى تقع على مسافة
خمسة فراسخ من اصفهان (٧) . وكانت تحت يد مؤيد الملك بن نظام

-
- | | |
|--------------------------------------|---|
| (١) لسترنج | بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٩٤ |
| (٢) لسترنج | بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٩٥ |
| (٣) ابن الاثير | الكامل فى التاريخ ج ١٠ ص ١١٠ |
| | Sykes: A Hist. of persia Vol. II.P. 109 |
| (٤) ابوالفدا | المختصر ج ٢ ص ٢٢٥ |
| (٥) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١١٠ |
| (٦) ذكرها المقرئى تحت اسم "قلعة جان" | اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٢٤ |
| (٧) ابن خلدون | العبر ج ٤ ص ٩٥ |

الملك فانتقلت الى " جاولى سقاو " فولى امرها لاحد الاتراك الذى وقع فريسه لاحتيال بعض النجارين الاسماعيليين . فبدأ احتلاله بهديه جميلة عبارة عن " جارية فارسية " وفرس ومركب (١) . ولزمه حتى وثق فيه وسلم اليه مفاتيح القلعة . فاقام النجار حفلا لذلك التركى واصحابه . فساقهم الخمر وفاسكرهم . وعليه قام بطلب ابن عتاش الذى اسرع اليه فى جماعة من اصحابه فسلم لهم القلعة دون ما عناء ولا مشقة (٢) . فاستولوا عليها بعد ما اتوا على جميع من فيها بالقتل فيما عدا ذلك التركى الذى استطاع الافلات من مصيره المحتوم (٣) . وكثيرا ما كان رجال هذه القلعة ينزلون الى الاسواق فينهبون ما فيها . وقد تمكنوا فى بعض الاحيان من قطع الطرق بين فارس وخورستان (٤) .

زيعتبر استيلاء ابن عتاش على تلك القلاع بمثابة خطوه خطيرة وجريئة للاستيلاء على قلاع اخرى اكتر اهمية واعظم خطرا من ناحية ، ومن ناحية اخرى لبيسط نفوذه على كل اهالى اصفهسان وليفرض عليهم الكثير من الاتاوات المختلفة . فاستولى بعد ذلك على قلعة

-
- | | |
|----------------|-----------------------------|
| (١) ابن الجوزى | المنتظم ج ٩ ص ١٢١ |
| (٢) ابن الجوزى | المنتظم ج ٩ ص ١٢٢ |
| (٣) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١١٠ |
| (٤) ابن الجوزى | المنتظم ج ٩ ص ١٢٢ |
| لسترنج | بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٠٥ |

استوناوند التي تقع بين الري وامد • وذلك بعد ان تغلب هو واصحابه على متوليها وقتلوه^(١) • ثم استمروا في مسيرتهم نحو الاتسيلة على مسـ العديـ من القلاع • فملك ابو الفتوح ابن اخت الحسن بن الصباح قلعه اردهن^(٢) • ثم احتلوا قلعة كردكوه وهي احدى قلاع اصفهان المنبعه والتي عرفت بالقلعة المقبية " دزكبدان"^(٣) • كذلك لمسـ^(٤) فقلعة الناظر بخوزستان والطنبور حيث اخذها ابو حمزة الاسكاف^(٥) كما انهـ استولوا على قلعة خلادخان التي تقع بين فارس وخوزستان واقاموا بها فترة غير قصيرة يقطعون الطريق ويبشون الرعب حتى فتحها عضد الدولة بن بويه واعمل القتل فيمن بها^(٦) • فلما تولى فخرالدوله البويهى الحكم اقطعها للامير " اشرف لم يدع الاسماعيليون يقلت من ايديهم فاستولوا عليها بعد مناوشات^(٧) •

-
- (١) ابن خلدون العبرج ٤ ص ٩٥
 (٢) ابوالفدا المختصر ج ٢ ص ٢٢٦
 (٣) لسترنج بلد تن الخلافة الشرقية ص ٤٠٥
 (٤) دائرة المعارف الاسلاميه مجلد ٤ ص ١٨٩
 (٥) هو اخذ الدعاة الذين وفدوا الى مصر ليبدروا في الدعوة ثم عـاد ليعمل داعيه للاسماعيليه في تلك البلاد • ابن خلدون / العبرج ٤ ص ١٥
 وكان من اهل ارجان كما ذكر نفس المصدر •
 (٦) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١١١
 (٧) لسترنج بلدان الخلافة الشرقية ص ٤١٢

أما عن الدور الهام الذى لعبته هذه القلاع ، فإنه يتمثل فى —
تحديد العلاقات بين الاسماعيين وبين اقرانهم من السلاجقة وغيرهم
فتوالت ضربات الغدائيين على من ناصبهم العدا ، مهما كان موقعه .
كما كان فى استيلائهم على كل هذه القلاع والحصن بهذه الشرعة
العجيبه خطورة على الدولة الحاكم . مما ادى بالسلاجقة الى ضرورة
موقفهم منهم وان كان قد اده الشجع فى كثير من الاحايين طبقا لما
تمليه او تفرضه المصلحة الذاتية لكل من الفريقين .

وكانت البداية مع ملكشاه ووزيره ناه الملك (١) . ويعتقد ان
كانت هناك روابط او صداقة تربط الحسن بن الصباح بكل من الوزير
نظام الملك والشاعر عمر الخيام (٢) . حتى ليقال ان ثلاثتهم تزايلوا فى
المدرسة (٣) . ولوان لص المؤرخين يرى عكس ذلك لفارق السن بينهم (٤)
وانما الذى نستطيع تاكيده هو معاصرتهم لبعض فى اواخر عهد النظام
الملك بالحكم . ويجدر بنا قبل ان ننقل لطخوة اخرى ، ان نلقى بعض
الاضواء على قصة نظام الملك والحسن بن الصباح وثالثهما الشاعر عمر
الخيام .

(١) Guyard: Un grand maitre. P. 18

(٢) مصطفى غالب تاريخ الدعوة الاسماعيليه ص ١٩٠

(٣) عمر ابن النصر قلعة الموت ص ٢٢

(٤) Runciman: A Hist. of The crusades. Vol. II. P. 120.

(٤) براون تاريخ الادب فى ايران ج ٢ ص ٢١٨

Sykes: A Hist. of Persia Vol. II. P. 106

فاما النظام الملك فقد ولسد في مدينة طوس عام ١١٢/٤٠٨ م^(١) لذلك يعرف بنظام الملك ابن الحسن بن اسحق الطوسي^(٢) . وقد نال قسطا كبيرا من التعليم رغم الفاقة التي مر بها حتى ولد احدى الوظائف الكتابية بمدينة بلخ لدى حاكمها " على بن شاذان " الذي وليها من قبل جفري بيك^(٣) . وفيما يبدو ان نظام الملك حاز اعجاب جفري بيك لدرجه انه حينما ادركه الوفاء اوصى به ابنه البارسلان فاتخذ منه فيما بعد وزيرا له^(٤) . فتولى الوزارة لالبارسلان ثم لابنه السلطان ملكشاه من بعده حتى ادركته السنيه عام ٤٨٥ هـ ١٠٩٢ م^(٥) . واستمر في الوزارة لالبارسلان وولده ملك شاه تسقا متتاليا تسعا وعشرين سنة^(٦)

اما الحسن بن الصباح فانه ولد في مدينة الري . لكن لم يستدل على تاريخ ميلاده بعد^(٧) . تلقى العلوم الدينيه فبرز في اصول

-
- | | |
|----------------|---|
| (١) السمرقندي | جهار مقالہ ص ١٥٧ - ١٥٨ |
| (٢) ابن الجوزي | المنتظم ج ٨ ص ٢٣٤ |
| (٣) ابن الجوزي | المنتظم ج ٩ ص ٦٤ |
| (٤) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٧١ |
| (٥) ابوالفدا | المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ٢١٢ |
| (٦) ابن الجوزي | Guyard: Un grand maitre ; P. 18
المنتظم ج ٩ ص ٦٤ |
| (٧) السمرقندي | جهار مقالہ ص ٢٥٨ |
| | Runciman. A Hist. of the crusades Vol. III. P. 102 |

المذهب الاسماعيلي حتى كانت قصته المشهورة لينتهيه به الامر بالاستيلاء على قلعه الموت عام ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م . وظل يعمل بها فنى خدمة امامه المستنصر ثم ابنه نزار من بعده حتى وثقته منيته عام ٥١٨هـ / ١١٢٢م (١) .

واما الشا عر عمر الخيام فانه ولد في مدينة نيسابور عام ٤٤٥ / ١٠٤٤ وقد برع في علوم الفلسفة والرياضيات . وكان السلطان ملكشاه قد بنى موصده الجديد عام ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م (٢) . فاستخدم الخيام ضمن من استخدمهم من اعيان المنجمين - اى الفلكيين - لوضع تقويم جديد (٣) . وقد اسفر عمل الخيام عن الاخذ بتاريخ جديد يسد ييدا في العاشر من رمضان عام ٤٨١ هـ - الخامس عشر من شهر مارس عام ١٠٧٩م . وقد عرف هذا بالتقويم الجلالى نسبة الى جلال الدين ملكشاه (٤) . وبلغ من دقته ان الخطأ فيه لا يتعدى يوما واحدا كسل خمسة الاف سنة ، لدرجة ان المؤرخين الاوربيين اعترفوا بانه فان في دقته الجريجوزى الاوربى دقة وضبطا (٥) . وقد كان عمر الخيام -

-
- | | |
|----------------|----------------------------------|
| (١) ابن العماد | شفوات الذهب ج ٤ ص ٥٨ |
| (٢) ابن كثير | الهداية والنهاية ج ٢ ص ١١١ |
| (٣) السمرقندى | جهاز مقاله ص ٦٩ - ١٦٠ |
| (٤) ابوالفدا | المختصر ج ٢ ص ٢٠١ |
| (٤) ا ح . | تراث فلوس ص ٣٨٩ |
| (٥) بروكلمان | تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ١٣١ |

لسعة اطلاعه ورفعة ثقافته — من اقرب المقربين لنظام الملك^(١) . فنشأت بينهما صداقة عريضة^(٢) . وكان يمكن لابن الصباح ان يكون معهما على هذا المستوى لولا انخراطه في صفوف الاسماعيليين .

كانت الموت ضمن القلاع التي تقع في اقليم رودبار^(٣) . اما شاه دز فكان موقفها اصفهان حيث مقر السلطان ملكشاه^(٤) . وعلى ذلك لم يقف وكان السلطان ملكشاه على خطر اسماعيليه الالموت الابعد ان مات نائبه على ذلك الاقليم " التونتاش " فتولى ذلك الوالى من جانبه محاولة تاديب الحسن بن الصباح واعوانه . فهاجم الموت على عهد ملكشاه اكثر من مرة ولكن دون جدوى^(٥) . وذلك بسبب التفاف اهالى الالموت حول زعيمهم ابن الصباح وعلى وجه الخصوص فيها على البقاء في الالموت وبعد هم بالنصر ماداموا صامدين في قلعتهم . فتمكن ابن الصباح بفضل تلك الحيلة من المحافظة على الروح المعنوية العالية لاهل قلعته فظلوا ملتفين حوله . بالاضافة الى ذلك فقد لعب الحظ دوره في خدمة الاسماعيليه ونصرهم فمات حاكم الاقليم وهنا وضحت صورتهم امام ملكشاه^(٦) .

-
- (١) براون تاريخ الادب في ايران ج ٢ ص ٢٢٠
 (٢) كرسنوفر دوسن تكوين اوربا ص ٢٠١
 Sykes : A Hist of Persia. Vol. II. P. 137
 (٣) رشيد الدين الهمذاني جامع التواريخ ج ١ ص ٢٥٥
 (٤) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ١٠٩ — ١١٠
 (٥) د . طه شرف النزاريه ص ١٣٠
 (٦) د . طه شرف النزاريه ص ١٣٠

وتحدثنا المصادر المختلفة ان بداية ظهورهم على مسرح الحياة العامة كان على عهد ملكشاه جلال الدولة (١) . حينما اجتمع منهم ثمانية عشر رجلا فاقاموا صلاة العيد في يساوه على انفراد وفي عزله تافسه عن المجتمع الاسلامي العام . وكان ذلك على حد تعبير ابن الاثير " اول اجتماع لهم (٢) . ولما فطن اليهم الشحنة " اخذهم وحبسهم ثم اطلقهم (٣) . ثم نبهوا الاذان اليهم حينما دعوا مؤذنا من اهل سستوه الى مذهبهم فابى فخافوه ان يتم عليهم غارده قتيلا (٤) . وكان هذا اول ضحايا الاسماعيلية في اصفهان . واول دم اواقوه (٤) . كما كانت جريمتهم مع قافلة قاين اكبر العوامل للفت نظر الحكام اليهم .

ذلك ان اول ملتقاهم كان في اول موضع غلبوا عليه عند بلدة قاين حيث كان متقدمه على مذهبهم . فاجتمعوا عنده وازدادت قوتهم بمواءارته اياهم فحدث ان اجتازت بهم قافلة عظيمة فسى طريقها من كرمان الى قاين فخرج عليها جماعة منهم فاقوا على اهل القفل جميعا ، فلم ينج منهم احد سوى رجل تركمانى . فلما وصل

-
- | | |
|------------------|-------------------|
| (١) ابن خلدون | العبرج ٤ ص ٩٥٩ |
| (٢) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٠٨ |
| (٣) ابن الجوزى | المنتظم ج ٩ ص ١٢٠ |
| (٤) ابن الجوزى | تلبيس ابليس ص ١١٠ |

الى قاين اخبر اهلها بالامر . فتسارع الناس بقيادة القاضي المركامنى
لمحاربتهم والقضاء عليهم فعجزوا عن ذلك (١) . ويبدو ان هذه
كانت اول حادثة بعد مقتل المؤذن تشير الى خطورتهم فى
تلك الاقاليم .

نظام الملك والاسماعيلية :

=====

كان يلى السلطنة فى تلك الاونة لسلطان المسلجوقى ملكشاه الذى تولى الامراثر وفاة والده الب ارسلان فى ربيع الاول عام ٤٦٥ هـ (١) . نوفمبر عام ١٠٧٣ م . تما مهام الوزارة فقد تولاهما من قبله وزيره نظام الملك الذى اجمعت المصادر المختلفة على انه كان من اعظم وزراء الدولة الاسلامية على الاطلاق (٢) . وكان وزير صدق يكرم العلماء ، والفقهاء (٣) . ومما لاشك فيه ان مدرسته النظاميه فى بغداد الستى كانت من اعظم واشهر مدارس ذلك العصر (٤) . وفروعها المختلفة فى بلاد المغرب ، فضلا عما اقمه من المساجد والرباطات والوقوف عليها (٥) اكبر دليل على صدق مدجاء فى مصادر ذلك العصر (٦) . ويقتله عدمت الدنيا واحدها الذى لم ترر مثله (٧) .

-
- | | |
|--------------------|--|
| (١) ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٠٩ |
| (٢) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٤ |
| (٣) ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٢ ص ٩٠ |
| (٤) ابن جبير | رحلة ابن جبير ص ٢٠٥ |
| (٥) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٧٢ |
| ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٤٠ |
| (٦) ابو شامة | الروضتين ج ١ ص ٢٥ |
| (٧) ابن الاثير | التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٩ |

ولقد اختلف المؤرخون حول قضية اختيال نظام الملك . فابن الجوزى وابن الاثير يلقيان التهمة على الاسماعيليه النزاريه ، وان كانا لم يوضحا كنه الفئه التى ينتمى اليها القاتل الاعلى ضوء ما جاء فى اقوال الاسماعيليين انفسهم معترفين بمسئوليتهم نحو قتل نظام الملك . قتلوا نجارا فقتلناه به . (١) .

ذلك انه لما ذاع امرهم وخشى الناس باسهم بما ارتكبوه نحو القافلة وقتلهم المؤذن . اخذ انظام الملك فى تتبعهم (٢) . وكان هو اول من نبه السلطان بخطرهم على ملكه (٣) فامر باجراء التحقيق اللازم للوقوف على المتهم الحقيقى . فوقعت التهمة على نجار يدعى طاهر . فكان الجزء القتل والتمثيل بجثته (٤) . فكان ذلك اول قتل منهم . ونساء عليه - كما اتفق الراى العام - لم ينوان الاسماعيليون فى الثار لقتيلهم . وعلى الفور حثوا بفدائى اظهروا التحايل والاستعانة بنظام الملك حسنى

-
- | | |
|------------------|----------------------------------|
| (١) ابن الجوزى | المنتظم ج ٩ ص ١٢٠ |
| ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٠٩ |
| (٢) سيد امير على | مختصر تاريخ العرب ص ٢٢٩ |
| (٣) بروكلمان | تاريخ الشعوب الاسلاميه ج ٢ ص ١٣٦ |
| (٤) ابن الجوزى | تلبيس ابليس ص ١١٠ |

قرب منه فطعنه طعنة قاتله اودت بحياته (١) . ولكن اصحاب انظام الملك لم يتركوا فرصه للمقاتل فلحقوا به فقتلوه انتقاما لوزيرهم (٢) . وهذه رواية كل من ابن الجوزى وابن الاثير فى مصع نظام الملك . وان كان ابن الاثير يرى سببا اخر غير ذلك . وهو ان نظام الملك كان قد بعث بعسكر الى الموت اثر الاستيلاء ابن الصباح عليها . تحضروه فيها واخذوا عليه الطرف فضاقت ذمعه بالحسر فارسل من قتل نظام الملك (٣)

على ان هناك بعض مؤرخى العصور الوسطى من حرصوا على تميع الموقف بالنسبة للاسماعيليين . فصاحب المختصر والبداية والنهاية يلقيان تبعية الجريه على السلطان ملكشاه نفسه . وهما يرجعان دواعى مصع نظام الملك الى الوحشه التى وقعت بينه وبين سيده . فبعد ان يسردا الرواية الماثوره عن طريقة اغتياله نجد هما يضيقان مانصه . وكان قتله بتدبير من السلطان ملكشاه (٤) . كما يؤكد ذلك ما جاء فى تاريخ آل سلجوق

-
- | | |
|--------------------|-----------------------------|
| (١) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبيه ج ١ ص ٥٥٤ |
| (٢) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٠٩ |
| (٣) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١١٠ |
| (٤) ابو الفدا | المختصر ج ٢ ص ٢١٢ |
| ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٤١ |

للبنداوى ودول الاسلام الذهبى (١) . فقد اوضحنا سبب اقدام ملكشاه
على تلك الجريمة التكرار . .

وكان ان مل ملكشاه طول مدته فى الحكم واستطالته لمكانته .
حيث وزير الملك الب ارسلان وولده ملكشاه تسعا وعشرين سنة (٢) .
فانفذ اليه يوما " تاج الملك " — وهو واحد — الذين اوغروا صدر
السلطان ضده (٣) . ارسله برسالة ووكل على نظمه بعين من اكابر
دولته وعلى اسهم الامير (يلبرد) احد كبار شخصيات البلاط السلجوقى
وذلك حتى يبالغ الامير تاج الملك فى ابلاغها (٤) . وقد جاء فى رسالة
السلطان لوزيره انك استوليت على ملكى وقسمت ممالكى على اولادك ،
واعهارك والممالك : فكانك لى فى الملك شريك (٥) . ثم يستمر ملكشاه
فى خطابه متسائلا " اتريد ان امر برفع دواة الوزارة من بين يدىك
واخلص الناس من استطالتك . (٦) .

-
- | | |
|--------------------|----------------------------|
| (١) البغدادى | تاريخ ال سلجوق ج ص ٥٨ |
| الذهبى | دول الاسلام ج ٢ ص ١٣ |
| (٢) ابن خلكان | نوات الاعيان ج ٢ ص ١٤٠ |
| (٣) ناصر بن الحسين | اخبار لدولة السلجوقية ص ٦٧ |
| (٤) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٧١ |
| (٥) البنندارى | تاريخ ال سلجوق ص ٥٩ |
| (٦) ابن الجوزى | المنتظم ج ٩ ص ٦٧ |
| البنندارى | تاريخ ال سلجوق ص ٥٩ |

لم يبال نظام الملك بما جاء في رسالة السلطان . وكان جوابه عليها جواب الواثق بنفسه المعترف بكرامته . قولوا للسلطان كانك اليوم عرفت انني في الملك ساهمك وفي الدولة مقاسمك وان دولتي مقترنة بتاجك . فمتى رفعتها ومتى سلبتها سلب^(١) . ثم يضيف الى ذلك موضحا مآثره على السلطان . ان كنت ما علمت اني شريكك في الملك فاعلم فانك ما نلت هذا الامر بتدبيرى وراى^(٢) . وكان النظام قد وطد لمكشاه .

فصار الامر كله اليه وليس للسلطان الا التخت والصيد فبقى على هذا عشرين سنة^(٣) . الا انه مما يؤخذ على نظام الملك انه نسي او تناسى ان السلاجقة انما اخذوا ملكهم بحد السيف . فتعين عليهم ان يرفضوا كل شور او انتقاضه ضد هم مهما كان مصدرها حتى ولو كانت من وزيرهم الاول نظام الملك .

والواقع كان لا بد ان تشور تائثرة ملكشاه ارد وزيره هذا فازداد غيظه واستشاطه ، وكان ما جرى على نظام الملك من الاغتيال تجاوزا من السلطان مضرا واموا مبيتا مدبرا^(٤) . وقد اكسد

(١) البندارى تاريخ ال سلجوق ص ٦١

(٢) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٧١

(٣) ابن الجوزى المنتظم ج ٩ ص ٦٥

(٤) البتدارى تاريخ ال سلجوق ص ٥٩

صاحب الروضتين ذلك (١) . وفيما يفدوان نظام الملك كان يتميز بكبرياء
وتبه يفوقان الحد (٢) . فوقع التدبير عليه حتى تم عليه من الثقل ما تم (٣)

ومما يؤكد ذلك ويزيد من وضوح الامر انضمام الممالك للنظاميه
لهركياروق ضد زون ابيه ترکان خاتون التي شنت عليه حربا ضاربه بمساعدة
تاج الملك . لف، الذكر للاحتفاظ بعرض الامبراطورية لابنها محمود (٤)
فما كان من ممالك نظام الملك الا ان انضموا الى هركياروق ففتكهم . وا
بجيش ترکان خاتون (٥) . ثم قتلوا تاج الملك شرقتله بالرغم من شفاعه
السلطان هركياروق فيه (٦) . وفيما يبدو انه كان بين كل من نظام
الملك وترکان خاتون وتاج الملك كراهية . ذلك ان ترکان خاتون اراد
ملكناه ارادت ان تحتفظ بالعرش لابنها محمود . فطلبت الى السلطان
ان ينص على ولدها محمود فتناه نظام الملك عن رابة هفتشوا من النظام

- | | |
|-----------------------|---------------------------|
| (١) ابو شامه | الروضتين ج ١ ص ٢٦ |
| (٢) ابن لبيك الدوادار | كنز الدرر ج ٦ ص ٣٩٤ — ٣٩٥ |
| (٣) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٢١ |
| (٤) د — سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ١١٠ |
| (٥) ابو الفدا | المختصر ج ٢ ص ٢١٣ |
| (٦) البندارى | تاريخ ال سلجوق ص ٥٩ |

تثبيطا عن مرادهم (١) . فضلا عن ذلك فانه يفهم من سياق احداث هذه القصة ان تاج الملك كان عاملا رئيسيا في اغتيال نظام الملك . يوضح ابن الجوزى ذلك " فما زال السلطان (٢) . فيقال انه الف عليه بمواطاة تاج الملك ابن الخنائم من قتله (٣)

وعليه فانه يتبين مما سبق توضيحه ان قصة اغتيال الاسماعيليين للنظام مضطربة اشد الاضطراب . وربما تكون هذه التهمة قد حبكت حولهم حتى تسام من ذكرهم النفوس ولينفى ملكشاه التهمة عن نفسه . وقد ساعدة الحظان كان القاتل من الديالة (٤) . وقد شكل هؤلاء عنصرا اساسيا في المجتمع لاسماعيلى فى تلك الفترة بفضل انخراط قبلية " شبانكاره " التى عرفها ابن الاثير " بالشوانكاره " (٥) — فى صفوف الاسماعيليين مما اعطاهم دفعه قويه نحو تحقيق اهدافهم فى تلك الاقاليم . (٦) .

-
- (١) ابن الجوزى المنتظم ج ٩ ص ٦٨
 - (٢) اضافة يقتضيها سياق الكلام " الباحث "
 - (٣) ابن الجوزى المنتظم ٩٠ ص ٦٧
 - (٤) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٣٩
 - (٥) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٣٦٢
 - (٦) لسترنج بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٢٥
- د . السيد محمد العزاوى فرقة النزارية ص ٢٢٠

اما فيما يختص بادعاء الاسماعيليين قتلهم نظام الملك لقولهم
" قتلتم منا نجارا وقتلنا به نظام الملك " فيمكننا القول بان ذلك ربما
كان تمويهها او دعاية لهم ليرهبهم حكام الاقاليم والامصار المحيطة
بقلاعهم من ناحية ، ومن ناحية اخرى ليشوا العرب في صفوف
اولئك الذين وقفوا لهم بالمرصاد . ولا بأس من ان تلصق بهم تهمة
كبره فترد مكيد حاكم اوجيار . وبما لاشك فيه انه على اشر
ذلك " استفحل امرهم باصفهان وآل الامرا الى انهم كانوا يسرقسون
الانسان فيقتلونهم ويلقونه في بحر . فكان الانسان اذا دنا وقفت
العصر ولم بعد الى منزله يثسوا منه ، وفتش الناس المواضع . فوجدوا
امراة في دار لا تبرح فوق حصير فازلوها فوجدوا تحت الحصر اربعين
قتيلا ، فقتلوا المرأة واخربوا الدار " (١) .

سيفان اوضحنا ان الحسن بن الصباح كان قد عقد المسنم
على تكوين دولة اسماعيلية في بلاد فارس واصفهان . وقد رتب الامور
على اساس انتقال امامه المستنصر الى قاعدة ملكه الجديد في المشرق
ولكن القدر لم يحقق له ما ربه . ففي الاونة التي هم فيها بتنفيذ خطته
هذه وافاه النبا بوفاة المستنصر في القاهرة (٢) . ثم وقف فيها بعد على

(١) ابن الجوزي المنتظم ج ٩ ص ١٢٠ - ١٢١

(٢) د . محمد كامل حسين طائفة الاسماعيلية ص ٧١

اسباب الخلاف القائم في حاضرة الاسماعيليين بين ابناء المستنصر (١)
فالمستنصر على بالله الابن الاصغر للمستنصر اعلن تنصيبه في منصب الاماميه
بمساعدة صهره الافضل بن بدر الجمالي الذي حقد على نزار (٢)
وفضلا عن ذلك فان نزارا قد لقي حتفه على يد اخيه ووزيره الافضل
عقب هزيمته والقبض عليه مع رفيقه الفتكين في الاسكندرية (٣) . ذلك
في الوقت الذي يرى بعض كتاب الاسماعيليه ان نزارا ليقول ، وانما
هرب الى سجلماسه فاستقر هناك حتى بعث اليه ابن الصباح
من حضرة الى الموت ليتولى امر الدعوة الجديدة التي كان قد
اسسها في الاموات (٤) . الا ان الثابت ان نزارا قتل فعلا بانفساق
اقوال كل المؤرخين . وربما يكون الاسماعيلون قد بنوا افتراض بقائه
على قيد الحياء وهروبه الى سجلماسه — رغم قطع الراى بموته — اعمالا
بمبدأ الغيبة او التقيمه التي انفود بها انصتهم الاوائل والتي آمن بها
الاسماعيليون انفسهم وباركوها فيما بينهم .

-
- (١) ذكر المرحوم د . حسن ابراهيم — تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٧٢ — ان
الحسن بن الصباح كان موجودا في مصر حال وفاة المستنصر . الا اننا
تختلف معه في الراى ، فالثابت ان الحسن بن الصباح غادر مصر قبل
وفاة المستنصر بفترة طويلة . ودليلنا على ذلك انه لم يغادر قلمسة
الموت منذ ان استولى عليها عام ٤٨٣ / ١١٠٩ .
- (٢) د . سعيد عاشور مصر في العصور الوسطى ص ٢٠٨
- (٣) المقرئى الخطط ج ١ ص ١٥٥
- (٤) مصطفى غالب تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ١٨١ — ١٨٣

وإنما عليه فقد حدد موت المستنصر بالله ثم مقتل ابنه نزار مسن بعده عام ٤٨٨ / ١٠٩٥ د ور الحسن بن الصباح في قيادة المجتمع الاسماعيلي النزاری في بلاد فارس واصفهان ثم في بلاد الشام فيما بعد . ومن ثم أصبح ابن الصباح هو القائد والمشرح والداعي الاول ، وهو الحجة لهذه الفرقة الجديدة التي عرفت فيما بعد الاسماعيلية او الصباحية او التعليمية او الباطنية^(١) . وذلك تمييزا لها عن الاسماعيلية المتعلوية في مصر^(٢) .

بيان مذهب الباطنية ص ٥

(١) الديلي

(٢) Ivanow. Studies in Early Pers. Ism. P. 26

انتقال الدعوة الى بلاد الشام :

تبين مما سبق عرضه ، الدور الذى لعبه النزاریون فى بلاد فارس واصفهان لاثبات مكانتهم وتثبيت اقدامهم وسط العالم السنى المتعصب ضدهم . انما الذى يهمنا فى هذا المجال هو امتداد النشاط — الاسماعيلى النزارى الى بلاد الشام . والمعروف ان هذه البلاد كانت مهد الاسماعيليه الاول ، والتى خرجت منها الى بلاد اليمن ثم بلاد المغرب منذ ان كانت سلمية المقر الرسمى للامام عبيد الله المهدى والائمة من قبله وذلك قبل انتهاء دور الستر^(١) . وقد استطاع الاسماعيليون مد نفوذهم الى بلاد الشام وازداد نفوذهم فى بقاعه عقب موت السلطان محمد بن ملشكاه عام ٥١٢ هـ ١١١٨ م . وهو الذى كان قد احس بخطرهم فبدأ يتخذ من الاجراءات الكفيلة للقضاء عليهم — والاستيلاء على حصونهم وقلاعهم الجبلية الحصينة . (٢) .

فقد استطاع ان يستولى على حصن شاه دزعام ١١٠٦/٥٠٠^(٣) وكان لاستيلائه عليه اكبر الاثر فى نفوس المسلمين السنيين الذين ناصبوا اسماعيلية الموت العدا . الظاهر . يدل على ذلك كتاب البشورى الذى بعث به فور الفتح الى الخليفة العباسى المستنصر بالله ٥١٢ هـ /

(١) ايفانوف سيرة جعفر الحاجب ص ١١١

(٢) Sykes: A Hist. of Persia. Vol. II. P. 120

(٣) ابن الفلانس ذيل تاريخ دمشق ص ١٥١

١١١٨م^(١) . وان كان قد عجز في نفس الوقت عن الاستيلاء على قلعة الموت لمناعتها من ناحية وبعبءها حاضره الحكم من ناحية أخرى . وكان يمكنه الاستيلاء على العديد من حصونهم لولا ان ادرته منيته عام ٥١٢ هـ / ١١١٨م فتوقف بذلك تنفيذ مشروعاته الى حين^(٢) .

وعلى ذلك فقد حانت الفرصه للاسماعيليين — فلم يتهاونوا فسي انتهازها لقتوية حالهم بحيث لم ينقض على موته غير بعيدة حتى انقضوا بواسطة القوة او الخديعه او الرشوة على العديد من قلاع الشام مثل القدموس وبانياس وقلعة مصياف وغيرها من القلاع والحصون الشاميه الهامه^(٣) . واستطاعوا ان يصيفوها الى ممتلكاتهم في فارس واصفهان التي شملت العديد من قلاعهم .

وكان امتداد نشاطهم الى بلاد الشام منذ بداية القرن الخامس الهجري — الحادي عشر الميلادي — على يد الحكيم المنجم اول داعية لهم بالشام^(٤) . فاقام بها الدعوة ووطد اركانها واستطاع بسبب موقف رضوان الذي كان يقربهم وينتصر بهم^(٥) . اقامة دار دعوة

(١) ابن القلانسي ذيل تاريخ دمشق ص ١٥٢ — ١٥٦

(٢) براون

(٣) د . سعيد عاشور تاريخ الادب في ايران ج ٢ ص ١٩٤

الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٢

(٤) ابن القلانسي ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٦

(٥) د — سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ٣٥

انبثقت منها المبادئ الاسماعيلية وخرجت منها جيوش الدعوات
والفداوية الى دمشق وحمص وعزاز وفاميه وغيرها من بلاد الشام لتقف
على قدم وساق مع الحكم السلجوقي . احيانا معه وحيانا ضده .

اما عن الدور الذى قام به الاسماعيليون فى بلاد الشام فانه يقتسم
الى قسمين : الاول وهى مقاومة المذهب السنى والعمل على لفتك
بزعمائه اما الثانى غير مقاومة الصليبيين وقتل بعض زعمائهم وتحالفهم
معهم احيانا .

الا انه مما يؤسف له ان السهام التى كانوا بها ضرباتهم لكل
من الفريقين كانت واحدة . فلم يفرقوا فى تحقيق اهدافهم تلك بين فئة
واخرى (١) . ويجدر بنا قبل ان تنتقل لهذا الموضوع ان نشير الى
موقف المستعلوية فى مصر من النزارية فى بلاد الشام .

(١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٣

موقف المستعولية في مصر من النزارية في بلاد الشام :

وكان ان تصارع كل من المستعولية والنزارية حول احقه كل من اماميهما في تولي الامامة بعد المستنصر ذلك ان الامر بن المستعلى الذي ولي الخلافة اثر موت ابيه المستعلى ولم يتجاوز عمره خمس سنوات وشهر وبعض ايام^(١) . ورث تركه كثقله بالاعباء . ففي مصر جثم على صدره وزيره الافضل بن بدر الجمالي الذي استبد بالسلطة دون الخليفة منذ عهد المستعلى^(٢) . فوضع عليه الامر باحكام الله المبيدي من قتله^(٣) . هذا عن مصر . اما في بلاد الشام . . . في حلب ودمشق فقد تطلع النزاريون الى اليم الذي يحقق املم في الاطاحة بالخلافة لمستعولية في مصر والشام .

لذلك تعين على الامران يحدد موقفه لامن الخطرين . وكان ان انتهى من ريقه الافضل في مصر . اما عن النزاريه فكان عليه ان يصدر سجلا يحدد فيه بطلان امامه : نزار ويدحض اقوال انصاره . فكان

-
- (١) ابن ميسر تاريخ مصر ج ٢ ص ٤٠
(٢) يلاحظ ان علاقة الامر بالافضل كانت سيئة جدا . وذلك على عكس ما كان على عهد ابيه المستعلى . فقد حظى الافضل عنده بالحوطه الكبرى فكان هو — كما نعتة المستعلى — السيد الاجل الافضل اميسر الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين السجلات المستنصرية : ص ١٤٧ .
(٣) الذهبي دول الاسلام ج ٢ ص ٤٢ .

السجل الامرى الذى عرف فى المجال السياسى الاسماعيلى .
بالسهدايه الامريه فى ابطال الدعوة النزارية ^(١) . وقد اعتبر الامران ،
من خرج من اتباع نزار على الدعوة فقد صد عن حدود الله . وتناول على
الولاية وتحكم فى الامامه ونهذ عهد الايمان وراء ظهره ^(٢) . كما
انهم بذلك العمل هبطوا من مرتبه الايمان الخاصة الى رتبة الغواية
العامة ^(٣) . وقد اتهمهم السجل المذكور بانهم قالوا بامانة نزار : دون
دليل واضح هدادهم ولانص جلى قادهم الى ذلك ^(٤) .

هذا . . . ويستمر فى سجله فيشتشهد ^(٥) . انه قد اجمع جميع
من يمسب الى الدعوة الهادييه على صحة النص فى الامامه وفساد
الاختيار واتوا بما يؤيده كمن البراهين الواضحة والقضايا الصارمه .
وذلك ان الاختيار لا يصح الا بحصول شرائط فى التحيز والمتحيز ^(٦) .
ولقد صدر ذلك السجل يوحى من المامون وزير الامر الجديد الذى
وزرك فى عام ٥١٥ هـ / ١٢١١ م . ^(٧) .

(١) اصف فيظى الرسالة الموسومة بالهدايه الامريه

٣ - ٣٦

(٢) د - جمال الشيال مجموعة الوثائق الفاطميه ص ٢٠٦

(٣) اصف فيظى الهدايه الامريه ص ٤

(٤) د - جمال الشيال مجموعة الوثائق الفاطميه ص ٢٠٩

(٥) لم يذكر تاريخ صدور هذه الوثيقة ولكنه استنتاجا . شوال عام ٥١٦ هـ

ديسمبر ١٢٣١ م . د - جمال الشيال : مجموعة الوثائق الفاطميه ص ٢٠٣

(٦) د - جمال الشيال مجموعة الوثائق الفاطميه ص ٢٠٩

(٧) د - سعيد عاشور مصر فى العصور الوسطى ص ٢٠٥ - ٢٠٧

وكيفما كان الامر فانه بتصنيفه ذلك الشجل يدافع فيه عن وجهة نظره في الامامه . فيقيم الدلائل على امامة ابيه المستعلي . كما انه يبين لنا مدى الخصومه التي كانت مستحكمة بين الفريقين . حتى ان الخليفة لم يكتف بما بصنفه دعائه بل تصدر بنفسه للدفاع وحمل رلواء القلم ^(١) . وكانت كراهته للنزاريه معروفة بشكل ملحوظ لدرجة انه احسن استقبال الذي حمل راس بهرام الى القاهرة فيما بعد وخلق عليه ^(٢) .

اما النزارية ، فانهم يرجعون السبب الى الافضل الذي كان صاحب الامر في مصر عند موت المستنصر بالله وهو المستحون على ملكته والجند جنده كما ان غلمان ابيه لم يعرفوا سواء . وكان نزار — كما اوضح المقرئى — لما يرى من غلبه الافضل على الدولة يتكلم بهما بلغه فينكره . فلم امامات المستنصر بالله والافضل متخوف من شر نزار اقام احمد المستعلي لانه زوج اهته . ولانه صغير ^(٣) .

(١) على عبد الوليد الذخيرة في الحقيقة ص ٨

(٢) لرنارد لويس الدعوة الجديده ص ١٢٤

(٣) المقرئى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٨٧

ولقد حاول الحسن بن الصباح الانتقام لامامه
نزار بارسال فرقه من عنده لقتل الامر والمأمون بعد ان
تخلصا من الافضل (١) . ولكن المأمون استطاع
القضاء على كل المحاولات ا بن الصباح بنظام التفتيش
الدقيق الذى وضعه للبحث عن كل باطنى يصل من
الموت فامتنع لذلك الباطنية مما كانوا قد عزموا عليه
من الفتك بالامر وبالمأمون لكفرهم عن دخول البلد (٢)
وكان المأمون قد عين من القصاد الجواسيس واصحاب
الخبر فى كل قطر (٣) . فاذا خرج الباطنى من
قلاع الموت لاتزال اخباره ترد عليه شيئا فشيئا منذ خروجه
من مكانه حتى يرد مدينة بلبيس التى اعتبرت بمثابة
محط لتفتيش كل من يريد القاهرة من التجار والفساد
وغيرهم من الوافدين على البلاد فيسير اليه من
ينقض عليه من فى مكانه الذى نزل فيه ويأتيه به فيقتله (٤)
وقد كان هذا العمل معدودا من عظيم الحزم (٥) .

- | | |
|-------------|------------------------|
| (١) المقرئى | اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٠٨ |
| (٢) المقرئى | اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٠٨ |
| (٣) المقرئى | اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٠٩ |
| (٤) المقرئى | اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٠٩ |
| (٥) المقرئى | اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٠٩ |

الفصل الثانی

الفصل الثانى

الاسماعيليه والقوى الاسلاميه فى بلاد الشام فى القرنين

الثانى عشر والثالث عشر

— —

الحاله السياسيه فى بلاد الشام اواخر عهد المستنصر •
البساسيرى والدعوه الاسماعيليه فى بغداد • الحكم العباسى واثرة •
نشر الدعوه فى الشام والعراق • فشل ثورة البساسيرى ومقتله • الاسماعيليه
والسلاجقه • البارسلان ونظام الملك والتوسع السلجوقى فى بلاد الشام •
موقعة مائركزت واثرها فى التفوق السلجوقى على الاسماعيليه فى بلاد
الشام • ملكشاه ومحاوله فتح مصر • فشله فى ذلك • الصراع الاسماعيلى
السلجوقى حول دمشق وحلب وبيت المقدس • تتشمس سمرقند سلاجقه
الشام • مقتله واثرة فى تقسيم ملكه • كيف كان سلاجقه الشام عاملا اساسيا
فى نشر النفوذ الاسماعيلى • حلب كمركز جديد وهام للاسماعيليه •
القرايطه والاسماعيليون فى بلاد الشام • الحسن بن الصباح واقليم الشام •
ابو طاهر الصايغ فى بلاد الشام • الحكيم المنجم ودوره فى حلب • الامير
رضوان واسماعيليه مصر • اثر الاسماعيليه فى الحياه السياسيه والاجتماعيه
والاقتصاديه فى حلب • الاغتيالات اغتيال جناح الدوله واثرة • • ابسو
الفتح السرمينى • اغتيال خلف بن ملاعب ونتائجه • موقف اهل حلب من
الاسماعيليه • الاسماعيليه واغتيال مودود • رأى حول ذلك • الاسماعيليه
واغتيال آق سنقر البرسقى واسبابه • اسماعيليه حلب والتاجر المشرقسى
الخجندى • ثوره حلب ضد الاسماعيليه • اغتيال الرئيس ابن بسديس •

الاسماعيليون في دمشق طغتكين والاسماعيليه • المؤامرات الاسماعيليه
حول دمشق • بهرام الاستراباذي واصحاب وادي التيم • ابو الوفاء
الاسماعيلي يتولى قضاء دمشق • الاسماعيليون وحسن بن نياس • الوزير
المزدغاني واسباب انضمامه للاسماعيليه • مذبحه دمشق ومحاولة اغتيال
تاج السلوك بوري • الاسماعيليون في بغداد • اغتيال الخليفة
المسترشد • اغتيال الراشد • تعاون اسماعيلي عباسي •

الاسماعيليه والسلاجقه في بلاد الشام حتى موت المستنصر :

السلاجقة قبيلة من الاترك الغز أخذ نفوذهم في الأزد يناد
منذ عهد بغرلبك الذي كان له اكبر الأثر في جمع صفوفهم وبسط نفوذهم
على جهات واسعة من الدولة الاسلاميه • (١) شملت مرو ، ونيسابور
وكرمان وأذربيجان وطبرستان وخراسان وأخيرا للعراق وبلاد الشام (٢) •

وكانت ثورة البساسيري ضد الخليفة القائم بأمر الله العباسي
سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م • سببا في توثيق الروابط السياسية بين طغرلبك
والخليفة (٣) • وذلك بسبب استنجاد الخليفة بطغرلبك ضد البساسيري
بسبب الفحشه التي وقعت بينه وبين الخليفة وشكوى الأتراك

(١) د • سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ٧٨ — ٧٩ •

(٢) د • جمال سرور النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ص ٥٩
King: The knights Hospitallers ; PL L3

(٣) البنسداري تاريخ آل سلجوق ص ١٣
Huart: Hist, des Arabes . Tome I. P. 354

منه . (١) وكان أن أطلق رئيس الرؤساء عبارته فيه وذكر قبيل افعاله وأنسه
 كاتب المصريين بالطاعة وخلع ما كان عليه من طاعة العباسيين " (٢) .
 فترتب على ذلك أن فتح باب بغداد على مصراعيه أمام حكام السلاجقة (٣) .
 فسار طغرلبيك وقضى على فتنة البساسيري . (٤) بعد أن كان قد " أحضر
 القضاء وجماعة من الوجوه والاعيان والأشراف وأخذ عليهم البيعة
 لصاحب مصر المستنصر الفاطمي " (٥) حدث ذلك في صفر عام ٤٥٠ هـ مارس
 ١٠٥٨ م .

فضلا عن ذلك فانه أعلن في جامع المنصور في يوم الجمعة ١٣ من
 ذي القعدة عام ٤٥٠ هـ / ١ يناير ١٠٥٩ م " الأذان بحسبى على خيبر
 العمل " (٦) . كما أنه استطاع أن يضرب نقودا " سهاها المستنصره وكان
 عليها من فرد جانب لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله — على
 ولى الله ومن الجانب الآخر عبد الله ووليه الامام ابو تميم معد المستنصر
 بالله أمير المؤمنين " (٧) . فاعاد طغرلبيك الخطبة للخليفة العباسي عام

- | | | |
|-----|-----------------|--|
| (١) | المؤيد في الدين | سيرة المؤيد ص ١٨٣ |
| (٢) | ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٢ ص ٦٦ |
| (٣) | ابن طباطبا | الفخرى في الآداب السلطانية ص ٢١١ |
| (٤) | ابن الاثير | الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٣٢٦ — ٣٢٨ |
| | ابن العبري | تاريخ مختصر الدول ص ١٨٤ |
| (٥) | ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٢ ص ٨٠ |
| (٦) | ابن الجوزي | المنتظم ج ٨ ص ١٩٢ |
| | | Hurt: Hist . des Arabes . Tome I. P. 354 |
| (٧) | لبغى الجوزي | المنتظم ج ٨ ص ١٩٦ |

٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م وقتل البساسيري^(١) . فكان ثمن ذلك أن استأثر طغرل بك بالسلطة في بغداد . فأصبح الخليفة العباسي لقمة سائغة في فم السلاجقة . وعلى حد تعبير النسوي " اقتضى الأمر تحكم بنسبي سلجوقي في بغداد " ^(٢) . كما أن سقوط بغداد في يد السلاجقة كان افنتاحا واسعا لتحقيق حلمهم نحو الاستيلاء على بلاد الشام . وكان ذلك أملا يراود طغرل بك ثم ابن أخيه الب أرسلان من بعده ، والذي تسولى الحكم فى الثامن من رمضان عام ٤٥٥ هـ ^(٣) ٤ سبتمبر ١٠٦٣ م .

وكان أن لعب الب أرسلان مع وزيره نظام الملك أهم الأدوار فى رسم السياسة السلجوقية وتحدد أهدافها القريبة والبعيدة . فأتق رأيهما على ضرورة بسط نفوذ الدولة على مناطق جديدة لتتسع وقعتها ويعلموا شأنها ^(٤) ويستدل على ذلك من رد نظام الملك على كتاب ملكشاه السابق الإشارة اليه فى الفصل الأول " فأنى قدت الأمور اليه وجمعت الكلمة عليه وفتحت له الأمصار القريبة والبعيدة ، وأطاعه القاصى والدانى " ^(٥) . ذلك فى الوقت الذى كانوا يراقبون عن كثب نفوذ بنى بويه وعلمو شأنهم فى بلاد فارس وكرمان والعراق . وفيما يهدو أن السلاجقة تطلعوا الى فتح البساسير

-
- | | |
|--------------------------|------------------------------|
| (١) د . سعيد عاشور | مصر فى العصور الوسطى ص ٢٣٦ |
| (٢) النسوي | سيرة السلطان جلال الدين ص ٥٠ |
| (٣) ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٢ ص ٩٠ |
| (٤) د . عبد النعيم حسنين | سلاجقة ايران والعراق ص ٥١ |
| (٥) ابن الأثير | الكامل ج ١٠ ص ٧١ |

المسيحية المجاورة لهم (١) . كما انهم تطلعوا أكثر الى اسقاط الخلافة الاسماعيلية في مصر وتوحيد العالم الاسلامي تحت راية الخلافة العباسية السنية ، في ظل نفوذهم . والواقع كان عصرهم — بعد عصر صدر الاسلام — أول من تنبه الى ضرورة توحيد الامة الاسلامية .

وكيفما كان الامر فقد تقاسم السلاجقة في العراق والروم في آسيا الصغرى والاسماعيليون في مصر الصراع على امتلاك بلاد الشام في تلك الآونة (٢) . فلم يكسب الب ارسلان ينتهي من مشاكله الداخليه حتى توجه بجيوشه الى البلاد المسيحية المجاورة وعلى رأسها ارمينيا . ففرد عليه الامبراطور رومانوس الرابع بالتوجه على رأس جيش كبير للاستيلاء على حلب التي كانت تخضع حينذاك لنفسه الحكم المصري (٣) . ولكن السب ارسلان الذي كان قد تطلع بكل ما أوتي من قوة الى امتلاك بلاد الشام ، لم يقف مكتوف الايدي فاسرع على رأس جيشه متوجها الى تلك البلاد عام ٤٦٣هـ / ١٠٧١م . ليلتقي برومانوس الرابع امبراطور الدولة البيزنطية — عندما تركزت مساء الجمعة الموافق ٢٦ من رجب عام ٤٦٣هـ — ٢٦ من ابريل ١٠٧١م في موقعة دارت فيها الدوائر على القائد

- | | |
|-----------------------|-----------------------------------|
| (١) ابن ابيك الدوادار | كنز الدرر ج ٦ ص ٣٩٢ |
| (٢) ابن كثير | البدایه والنهایه ج ١٢ ص ١٠٠-١٠١ |
| (٣) سيدو | تاريخ العرب العام ص ٢٢٠ |
| البنداری | تاريخ ال سلجوق ص ٣٥ |
| (٤) ابن العبري | تاريخ مختصر الدول ص ١٨٢-١٨٨ |
| د . جمال سرور | النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ص ٦٠ |

البيزنطى (١) " فأنهزم الروم وقتل منهم مالا يحصى حتى امتلأت الأرض بجثث القتلى وأسرى ملك الروم " (٢) . بعد ان انقض من حوله معظم أنصاره (٣) .

ولقد أثبتت ما تركزت على انها جد يرة بتثبيت اقدام السلاجقة فى بلاد الشام . كما ان انتصارهم السريع والحاسم فى تلك الموقعة دفعهم بشده ، وثبات الى التوسع على حساب من جاورهم من الدول الاسلامية والمسيحية على السواء . حتى ان بعض المؤرخين الأوربيين اعتبر ان ذلك كان من اهم الاسباب الرئيسيه والمباشرة لوقوع الحرب الصليبيه الأولى (٤) . وعليه فقد تعين حينئذ على محمود بن صالح بن مرداس حاكم حلب ان يذعن لقوة السلاجقة ويعترف بسلطانهم . فأقام الخطبه لخليفة بغداد القائم بأمر الله بدلا من خليفة مصر المستنصر بالله الاسماعيلى (٥) .

لم يكتف ملكشاه الذى تولى الأمر بعد موت أبيه فى ربيع الأول ٤٦٥ هـ نوفمبر ١٠٧٣ م بما بيده من البلاد الشرقية (٦) . فوجه جيشه بقيادة أتمز

-
- | | | |
|-----|-------------------|---|
| (١) | د . سعيد عاشور | الحركة الصليبيه ج ١ ص ٨٨ |
| (٢) | ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٢٢ - ٢٣ |
| (٣) | ابن ابى الدوادارى | كنز الدرر ج ٦ ص ٣٩٤ - ٣٩٥ |
| (٤) | | ykes: A Hist. of Persia . Vol. II. P. 103-104 |
| (٥) | المقرئزى | السلوك ج ١ ص ٣٣ |
| (٦) | ابن الاثير | خطط الشام ج ١ ص ٢٦٢ - ٢٦٣ |
| | | الكامل ج ١٠ ص ٢٥ |

بن أوف الخوازمي * ويلقب بالمعظم ، وكان أول من استعاد بلاد الشام من
أيدي الفاطميين وأزال الأذان منها بحسب على خير العمل بعد أن كان
يؤذن به على منابر دمشق وسائر الشام مائة وست وستين ^(١) ، وكان ذلك
في ذي الحجة ٤٦٨ هـ — يولييه ١٠٢٦ م ^(٢) . فاستطاع أن يستولي أولاً على
الرملة وسيت المقدس عام ٤٦٤ هـ / ١٠٢١ م ^(٣) . وكان قد بذل جهداً كبيراً
في فتح دمشق من قبل بسبب قوة حاميتها الاسماعيلية ^(٤) . فشدد عليها
الحصار أكثر من مرة حتى تمكن من فتحها ^(٥) . وقد رحب أهالي دمشق
المتعصبين لسنيتهم بذلك الفتح ^(٦) . كما أنهم عملوا على تعزيزه وتثبيتهم .
وكانت دمشق كما وصفها مؤرخها ابن القلانص " أموية الطابع " ^(٧) .

والواقع أن فتح دمشق أعطى ملكشاه دفعة قوية للمسير نحو مصر والعمل
على فتحها للقضاء على الخلافة الاسماعيلية . فما كان منه إلا أن وجه قائده
أتسز التركمانى على رأس حملة كبيرة لفتحها عام ٤٦٩ هـ / ١٠٢٦ م ^(٨) . وبالرغم

-
- | | | |
|-----|----------------|--|
| (١) | ابن كثير | البدایه والنهایة ج ١٢ ص ١١٢-١١٣ |
| (٢) | د . جمال سرور | النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام ص ٦٠ |
| | | Huart: A Hist. des Arabes. Tome I P. 353 |
| (٣) | ابن العبري | تاریخ مختصر الدول ص ١٨٥ |
| | | King: The Knights Hospitallers. P. 13 |
| | | " يلاحظ أن الأثير ذكرها فى حوادث عام ٤٦٣ هـ " الكامل ج ١٠ ص ٢٥ |
| (٤) | ابن الأثير | الكامل ج ١٠ ص ٢٣ |
| (٥) | د . سعيد عاشور | مصر فى العصور الوسطى ص ٢٣١ |
| (٦) | ابن خلدون | المعبر ج ٤ ص ٦٥ |
| (٧) | ابن القلانص | ذیل تاریخ دمشق ص ١٢ |
| (٨) | د . سعيد عاشور | مصر فى العصور الوسطى ص ٢٣٢ |

من أنه استطاع التوغل فى الأراضى المصريه حتى كان قاب قوسين أو أدنى من مدينة القاهرة فانه فشل فى الاستيلاء عليها او النيل منها لاستماتة المصريين بقياده بدر الجمالى فى الدفاع عنها (١) . فارتد أتنز الى بلاد الشام " منهزما فى نفر طليل متسن عسكرة " (٢) . وعليه فلم يعاوده التفكير فى غزو مصر مرة أخرى . واكتفى ملكشاه بضرورة اتخاذ كل الوسائل اللازمة لتأمين فتوحاته فى الاراضى الشاميه وانتزاع ما يمكن انتزاعه من يد أعدائه الاسماعيليين .

وترتب على هزيمة السلاجقة على مشارف القاهرة اعلان بعض المدن الشاميه الكبرى كحلب مثلا ولاءها مرة أخرى للخليفة الاسماعيلى فى مصر (٣) فتعين على تاج الدوله تتش الذى تولى أمر البلاد الشاميه — بنى على امر ملكشاه — ان يتوجه عام ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م على الفور الى حلب ليردها الى منطقة نفوذ (٤) . وعلى ذلك انتهز الاسماعيليون فى مصر فرصة انشغال تتش امام حلب فاسرع بدر الجمالى بانفاذ نصر الدوله على رأس جيش مصرى كبير لاعادة دمشق الى حظيرة المصريين (٥) . فلما عجز حاكمها أتنز عن مجابهة الموقف سارع بالاستغاثه بقتش الذى أسرع بالموده اليها

-
- | | | |
|-----|----------------|-----------------------------------|
| (١) | ابن ميسر | تاريخ مصر ج ٢ ص ٣٥ |
| | ابن كثير | البدایه والنهایه ج ١٢ ص ١١٦ |
| (٢) | ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٣٥ — ٣٦ |
| (٣) | د . جمال سرور | النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام ص ٦٢ |
| (٤) | د . جميد عاشور | الحركة الصليبيه ج ١ ص ١٠٥ |
| (٥) | ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٣٨ |

ليجد جيش الاسماعيليين قد رحل عنها اثر ساعه باقتراب تتش^(١).
 قد دخلها تتش عام ٤٧١هـ / ١٠٧٨م دخول الظافرين^(٢) . فاتخذها
 مقرا له ، بل واسس فيها دولة سلاجقة الشام^(٣) . ولم يلبث أن قبض على
 حاكمها اتسز وقتله بسبب تعاونه في الدفاع عنها^(٤) . وان كان ابن
 كثير قد ترجع اقدام تتش على قتله لأنه " لم يركب لتلقيه فأمر بقتله
 فقتل لساعته " ^(٥) . وصار هو يتولى بمفرده جميع الامور في بلاد الشام
 " فأحسن السيرة في أهله وعدل فيهم " ^(٦) . واذا ما اخذنا قول ابن كثير
 في مقتل اتسز قضية مسلمة ، فان ذلك يعزز اتهام ملكشاه بقتل وزيره
 نظام الملك من قبل حينما تطاول عليه . ويعزز من جانب آخر رأينا في
 ان السلاجقة لم يقبلوا جهادنة من يعانينهم أو يحط من قدرهم .
 لم يقف الاسماعيليون في مصر مكتوفي الايدي أمام اقتطاع
 السلاجقة لأهم اجزاء دولتهم في بلاد الشام . فعمل بدر الجمالي
 على استرداد ما يمكن استرداده منها . فسار في عام ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م
 في جيش آخر الى دمشق ما يستردها من تاج الدولة تتش^(٧) . فحاصرها

- | | | |
|-----|----------------------|-----------------------------------|
| (١) | د . جمال سرور | النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ص ٦٢ |
| (٢) | د . سعيد عاشور | مصر في العصور الوسطى ص ٢٣٢ |
| (٣) | المقريزي | اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٢٠ |
| (٤) | الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ٥ |
| (٥) | د . عبد النعيم حسنين | سلاجقة ايران والعراق ص ٦٤ |
| (٦) | ابن خلكان | وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٦٤ |
| (٧) | ابن كثير | البداه والنهائيه ج ١٢ ص ١١٩ |
| | ابن الأثير | الكامل ج ١٠ ص ٣٨ |
| | ابو الفدا | المختصر ج ٢ ص ١٩٤ |

حصاراً شديداً ودارت وهي الحرب بينهما . فلما تبين له عدم امكان التغلب على تتش قرر العودة الى مصر ^(١) . الا ان ذلك لم يفت فسي عضده . فأعاد الكرة لاستعادة نفوذه على الشام . فتمكن عام ٤٨٢ هـ / ١٠٨٩ م من الاستيلاء على سواحله ^(٢) . فاستولى على صرور من اولاد القاضي عين الدولة بن ابي عقيل ، وعلى صيدا ثم على عكسا وجبيل " فملكوها وأصلحوا احوالها وقرروا قواعدها واستعمل أمير الجيوش عليها الامراء والعمال " ^(٣) . ولكن السلاجقة ردوا عليه بالمثل اذ حدث عام (٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م قرر السلطان ملكشاه بالاتفاق مع اخيه تاج الدولة تتش واقنوده قسيم الدولة أقسقر الاستيلاء على بعض ممتلكات الخيفة المقتنصر بالله ^(٤) . فاستولى على حصن وقلعتي عرفة ، وفاميه ^(٥) .

بيد أن سحر الانتصار الذي تحقق لتتش في بلاد الشام على عهد ملكشاه اطعمه في أملاك اقرانه من السلاجقة . فتطلع الى امتلاك بلاد الجزيرة وفارس والعراق ^(٦) . فما ادى الى وقوع الخلاف

- | | |
|--------------------|-----------------------------------|
| (١) ابن الأثير | الكامل ج ١٠ ص ٤٩ |
| (٢) د . سعيد عاشور | مصر في العصور الوسطى ص ٢٣٢ |
| (٣) ابن الأثير | الكامل ج ١٠ ص ٦٠ |
| (٤) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ١٠٨ |
| (٥) د . جمال سرور | النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ص ٦٣ |
| (٦) ابن كثير | الهداية والنهاية ج ١٢ ص ١٤٨ |

بينه وبين ابن اخيه بركياروق عام ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م . السدي عـ
 الاسماعيليون من شأنهم في عهد (١) حتى اتهم بركياروق بمشايعتهم
 ويأنه يد الاسمايليين الاول في بلاد فارس واصفهان . كما اتهم بذلك
 ايضا بعض سلاجقة كرمان (٢) . وأما الاسمايلية فكثروا بالعراق
 واصفهان واستنصروا وملكوا القلاع لاشتغال الاخوه محمد وبركسيا روق
 وسنجر بالقتال على الملك (٣) . ومن هنا نستطيع الوقوف على مدى
 الدور الذي لعبه الاسمايليون في التلاعب بمقادير امور دولة من اعظم
 الدول الاسلاميه التي ظهرت في بلاد الشرق في عصره الوسيط . . .
 الا وهي الامبراطوريه السلجوقيه .

وكيفما كان الأمر فقد ادى مقتل تتش في حرب عـ
 ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م الى اقتسام ملكه في بلاد الشام بين ولديه رضوان
 ودقاق (٤) . فاخص رضوان ٤٨٨ - ٥٠٧ هـ = ١٠٩٥ - ١١٣ بحلب .
 لها دقاق ٤٨٨ - ٤٩٢ هـ = ١٠٩٥ - ١١٠٣ . فكان نصيبه
 دمشق (٥) . ولكن الخلاف لم يلبث أن دب بينهما عام ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م .

- | | | |
|-----|------------|--|
| (١) | ابن خلكان | وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٦٤ |
| (٢) | البنداري | تاريخ آل سلجوق ص ٦٣ |
| (٣) | الذهبي | Sykes: A Hist. of Persia Vol. II. P. 119 |
| (٤) | ابن الجوزي | دول الاسلام ج ٢ ص ٢٣ |
| | ابن الاثير | المنتظم ج ٩ ص ٨٧ |
| | البنداري | الكامل ج ١٠ ص ٨٤ - ٨٥ |
| | ابن كثير | تاريخ آل سلجوق ص ٨٥ |
| (٥) | | البداه والنهايه ج ١٢ ص ١٤٨ - ١٥٠ |

فطمع كل منهما في ملك الآخر • فاراد رضوان الاستيلاء على دمشق الا أنه عجز أمام حصانتها • فرد عليه دقاق يمثل فعلته هذه • فسار لمهاجمة حلب وحصار اخيه • فالتقى الجيشان في معركة عنيفة عند قنسرين^(١) • وعلى اثر انتهاء الحرب بينهما بهزيمة دقاق اتفقا على اقامة الخطبته باسميهما في دمشق " على ان يخطب لرضوان قبل دقاق^(٢) •

اذ من هذا العرض نفهم ان بلاد الشام ظلت ميدانا واسعا تتصارع على مسرحه القوى الاسماعيلية مع القوى السلجوقية حتى نهايته عهد المنتصر بالله الاسماعيلى على وجه التقريب • ذلك العصر الذى شهد أحداثا جساما تغيرت لها معالم التاريخ الاسلامى على مستوى الصعيد العربى كله فى منطقة تربعت على قلب العالم • وكانت لا تزال مصدر الالهام لمختلف الحضارات الانسانية •

اما تلك الاحداث فتتمثل أولا فى موت المستنصر الاسماعيلى وما ترتب على ذلك من انشقاق خطير فى البلاط الاسماعيلى وفى صفوف الدعوة • وقد سبق لنا بحث دوافعه واسبابه وما ترتب عليه من نتائج وآثار • وثانيهما ظهور الحسن بن الصباح الذى قاد الفرقة الاسماعيلية النزارية والتي لعبت دورا هاما فى تاريخ العالم الاسلامى فى فارس

-
- | | | |
|-----|---------------|-----------------------------------|
| (١) | الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ١٩ |
| (٢) | ابن الأثير | الكامل ج ١٠ ص ٩٣ |
| | د • جمال سرور | النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام ص ٦٤ |

وأصفهان ومصر وبلاد الشام . أما ثالثها وهو الأهم فهو ذلك الغزو الأوربي الخطير لبلاد الشرق الاسلامي والمتمثل في الحروب الصليبية ، وما ترتب عليها من تغييرات شاملة في القوى الحاكمة ، وما لعبته من دور خطير في تشكيل الرقعة السياسية لخريطة الشرق العربي زهاء قرنين من الزمان أو أكثر .

الاسماعيليون يتخذون حلب مركزا جديدا لهم :

أوضحنا فيما سبق أن مدينة سلمية من بلاد الشام كانت هي المقر الأول للدعوة الاسماعيلية السرية . فمنها خرج دعائهم الذي إضراف العالم الاسلامي حتى استقر بهم الامر في بلاد المغرب على عهد خليفتهم الاول عبيد الله المهدي ليقيم هناك لأول مرة في التاريخ خلافة اسماعيلية فتية اندفعت فيما بعد بكل قوتها لتغزو الكثير من الامصار الاسلاميه وغير الاسلاميه وعلى رأسها مصر وبلاد الشام (١) .

كذلك شهدت بلاد الشام في غضون ذلك العصر حركات القرامطة الذين اعترفوا — الى حين — بسلطان الاسماعيليين (٢) . حتى ليعتقد كثير من الباحثين ان القرامطة فرع من الاسماعيليين (٣) . ولكن

(١) د . سعيد عاشور مصر في العصور الوسطى ص ١٨٢-١٨٥

(٢) ثابت بن سنان تاريخ اخبار القرامطة ص ١٣-١٤

(٣) د . محمد يحيى الهاشمي الامام الصادق ص ٦٩

القرامطة في حقيقة امرهم ليسوا الا فئة من المنشقين على الحكم العباسي اتخذوا الاسماعيلية مذهباً لدولتهم التي اقاموها في البحرين ليستمدوا منها العون والقوة ضد الخلافة العباسية التابعة على حدودهم في بغداد . ذلك في الوقت الذي نجد بعض احكام القرامطة قد نوا للخلافة العباسية في اواخر عهدهم بالحكم^(١) وذلك مما يدعم رأينا في ان القرامطة ليسوا فرعا من الاسماعيليين ولا الاسماعيلية كانوا من القرامطة .

ومهما يكن من امر فان الاسماعيلية لم تجد فرصة في بلاد الشام الا وانتهازتها لتثبيت دعائم حكمها او لبث مبادئها ضد الحكم السني القائم في البلاد . ولا يغيب عن فكرنا انه عندما ملك للاسماعليون مصر عام (٣٥٨ هـ - ٩٦٩ م) ولوا وجههم شطر بلاد الشام ليقفوا على المدى القريب او البعيد على حدود عدوتهم اللدود بغداد^(٢) . وقد تيسر لهم ذلك فدخلوها على عهد البساسيري عام ٤٥٠ هـ / ١٠٥٩ م ، واقامت دعوتهم بها ورفعت راياتهم حوالى عام تقريبا^(٣) . الامر السني ترتب عليه فرار الخليفة القائم بامر الله العباسي الى قرش بن سدران^(٤) .

-
- | | | |
|-----|------------------------|----------------------------------|
| (١) | ثابت بن سنان | تاريخ اخبار القرامطة ص ١٠٤ - ١٠٦ |
| | ابو الفدا | المختصر ج ٢ ص ١١٢ - ١١٨ |
| (٢) | د . سيد اسماعيل الكاشف | مصر في عصر الاخشيديين ص ١٢٩ |
| (٣) | المؤيد في الدين | سيدة المؤيد ص ٤٠ |
| (٤) | ابو الفدا | المختصر ج ٢ ص ١٤٦ |

ما ساعد البساسيري على الانقضاء على قصر الخلافة " فسيرت شهابه
وعمامته وغير ذلك من الاموال الى مصر " (١) . وقد ظلت هذه الأشياء
بها حتى استولى عليها صلاح الدين يوسف بن ايوب فبعث بها الى
الخليفة المستفي . (٢) .

كذلك استطاعوا التأثير في حكام الموصل من قبل . فخطب
معتد الدولة ابو المنيع قرواش بن مقلد للحاكم بامر الله الاسماعيلى
بالموصل والانبار وقصر ابن هبيرة والمدائن (٣) . وكان ذلك على عهد
القادر بالله العباسى . كما استطاع الظاهر لاغازدين الله الاسماعيلى
عام ٤٤٥ هـ / ١٠٣٣ م بث دعائه ببغداد عند اختلاف الانراك بها
فكثرت دعائه هناك واستجاب لهم خلق كثير (٤) . ومن هنا أصبح
للالسماعيليين اتباع ومستجيبون في مختلف ارجاء الشام . بالاضافة الى
ذلك فقد مر الحسن بن الصباح حال فراره من مصر بلاد الشام والعراق
واستطاع الاقامة في مدينته حلب فدعا الى مذهب امامه الاسماعيلى (٥) .

-
- | | | |
|-----|--------------------|------------------------|
| (١) | المقرئى | الخطط ج ١ ص ٣٥٥ |
| (٢) | المقرئى | الخطط ج ١ ص ٣٥٥ |
| (٣) | ابن ابيك الدوادارى | كنز الدرر ج ٦ ص ٢٨٣ |
| | ابو الفدا | المختصر ج ٢ ص ١٤٧ |
| (٤) | المقرئى | الخطط ج ٢ ص ٣٥٤ |
| (٥) | د . محمد كامل حسين | طائفة الاسماعيليه ص ٩٢ |
- Defremery: Essai sut L'Hist. des Isma. P. 67

وعليه فقد اخذت المبادئ والمقائيد الاسماعيلية تقوى وتنتشر
فى بلاد الشام كلها واتت الاسماعيليين فرصه او بدرت لهم بادرة .

بالاضافة الى ذلك كله فقد كانت بلاد الشام فى ذلك العصر
منقسمة الى امارات صغيرة متنازعه فيما بينها وتشاحنه متباغضه بسبب
مطامع الأمراء واحقادهم . فرضوان بحكم مدينه حلب ويسيطر عليه زوج
امه الامير جناح الدوله صاحب حمص . ودقاق يحكم دمشق ويدبر اموره
ايضا اتايكه وزوج امه طفتكين . وباغيسيان يحكم انطاكيه وتقام الخطبه
فى دمشق وانطاكيه باسم رضوان قبل اسمى اصحابهما . وعلى ذلك فسان
كل هذه الامور اوجدت جفوه خطيره فيما بينهم جيميسا . الامير
الذى سهل على دعاة الاسماعيلية التغلغل فى صفوفهم وثبتت اقدامهم
فى بلاط كل منهم على قدر الامكان .

هذا . . ويبدو ان اقليم الشام كان قد وضع من قبل فى اعتبار
ابن الصباح — المؤسس الاول للنزاريه ^(١) — ومدينه حلب بالذات . لأنها
تعتبر من اهم مدن الشام . ولأن ملك الشام يحصل بها " فمن ملك حلب
استظهر على بلاد الشرق " ^(٢) . لذلك لاضرر ان يركز الاسماعيليون
اهتماماتهم لامتلاكها والسيطرة عليها . او على اقل تقدير اخضاع

Browne: A Lit. Hist. of Persia. Vol. 408 .P. (١)
Lewis: Assassins of Syria .P. 577

(٢) ابو شامه البروضين ج ١ ص ٤٧

حكامها لنفوذ دعوتهم وكان اقليم الشام — على ما نعتقد — يخضع من الناحية الروحية لاحد الدعاة الثلاثة الذين ولاهم ابن الصباح امر الدعوة . وقد تولى ابو طاهر الدعوة في الاراضى الشامية ^(١) . فأخذ يبتدع دعاته فى تلك البلاد دون ان يحدد لمقامة مكانا بعينه . حتى وفد على حلب رجل يعرف بالحكيم المنجم أسعد . او كما اسماء ابن القلانص " بالحكيم المنجم الباطنى " . وقد ذكر نفس المؤرخ أنه كان صد يقا للملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب ^(٢) . وهو اول من أظهر مذهب الباطنية فى حلب والشام ^(٣) . فحسن لرضوان مذهب العلويين المصريين ، واثته رسل المصريين يدعونه الى طاعتهم ببذلوا له المال وانقاذ العساكر اليه ليملك دمشق ^(٤) . الامر الذى ترتب عليه اقامة الخطبة للخليفة المستعلى فى حلب عام ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م بمسدة اربع جمع ^(٥) . ثم اعادها للخليفة المستظهر العباسى ثم للسلطان برکيا روقم لنفسه ^(٦) .

- | | | |
|-----|----------------|-----------------------------|
| (١) | سبط ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٨ |
| (٢) | ابن القلانص | ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٤ |
| (٣) | سبط ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ٤ |
| | ابو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٦٩ |
| (٤) | ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٥٣ |
| (٥) | ابن كثير | البدایه والنهایه ج ١٢ ص ١٥٤ |
| (٦) | د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ١١٧ |

وهلى الواقع لقد كان ذلك الاضطراب السياسى فى البلد من دواعى تسهيل مهمة الحكيم المنجم . وكان سبب ذلك — على حد قول المقرئى مؤكداً ما جاء فى تاريخ ابن الأثير — أن الامير رضوان انما قصد من ذلك ان يستعين بعساكر مصر على اخذ دمشق من أخيه دقاق . الا ان انكار الامير سقمان بن ارتق على رضوان عمله هذا اعاده الى صوابه فأعاد الخطبه لخليفة بغداد . وقد اضاف المقرئى قائلا " فكان مدة الخطبه للمستعلى اربعة أشهر " (١). بينما يؤكد ابن الاثير وابو الفدا بانها " كانت لاربعة جمع " (٢) .

اذا والحال كذلك ، كان لابد ان يستحوذ الحكيم المنجم على افكار رضوان وان يسيطر عليه بدهائه ومكره (٣). فكان أن وسوس له ان اخاه بهرام وصهره جناح الدوله يتآمران عليه ، وانهما يريدان انتزاع حلب منه . كما زين له ان يستعد لملاقاة جموعهما ووعد الحكيم بمساعدة الموت . وفعلا ارسل الاسماعيليون فى بلاد الشام السى الامير رضوان يعدونه بكل مساعدته كذلك فقد تمادوا فى اغرائهم اياه فلقبوه بالسلطان (٤). فظن الامير رضوان — جهلا منه — انه لا يسد وان

(١) المقرئى
اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٩
Grousset: Hist. des Croisades. Vol. I. P.146

(٢) ابن الاثير
الكامل ج ١٠ ص ٩٣
ابو الفدا
المختصر ج ٢ ص ٢١٠
(٣) فيليب حتى
تاريخ العرب ج ٢ ص ٥٣٨
(٤) د . محمد كامل حسين
طائفة الاسماعيليه ص ٩٣

يجي' يوم يتولى هو الاماره عليهم • وقد وصفه ابن العدين بقوله
 " واستمال الحكيم رضوان الى الباطنيه جدا وظهر مذهبهم في
 حلب وشايغهم رضوان وحفظ جانبهم وصار لهم بحلب الجناه
 العظيم والقدره الزائده • وصارت لهم دار دعوة بحلب في ايامه •
 وكاتبه الملوك في امرهم فلم يلتفت ولم يرجع عنهم " (١) • وعلى ذلك فقد
 " عظم شايغهم وصار كل من يجنى جناية منهم منعوه وحرسوه وكاتبوا
 الملوك في امره حتى يخلصوه • فكثرت بذلك اتباعهم واشتهر امرهم •
 واشتدت شوكتهم وصار الرجل منهم يلقي الرجل من غيرهم فينزعه عنه
 ثيابه ولا يقدر على الامتناع منه ولا يجد ناصرا • ويلقى احدهم
 المراء والصبي في الطريق فيقبضه ويذهب به اتي شاء • ولا يقدر احد
 على استخلاصه " (٢) •

من هذا العرض السريح يتبين ان الاسماعيليين استطاعوا فساد
 العلاقات بين رضوان وبين اقرانه من الملوك والامراء السلاجقه
 وولاتهم في بلاد الشام (٣) • وعليه فقد غدت هذه البلاد مسرحا
 لعمليات الاغتيال على غرار ما حدث في بلاد الشرق • • • فـ
 فارس واصفهان •

(١) ابن العدين زبدة الحلب ج ٢ ص ١٤٥
 Guyard: Un Grand Maître. P. 27

(٢) ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ج ١ ص ٧١ مخطوط

(٣) د • سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ٣١٣ - ٣١٥

وكان أن ساءت العلاقات فعلا بين الامير رضوان وصهره جناح الدولة الامر الذي اوقع بينهما ما يشبه الحرب (١) . حيث سار جناح الدولة عام ٤٩٦ هـ - ١٠٢٠ م الى سرمين فالتقى بعسكر رضوان فهزمهم . فقرر رضوان في كثير من جنده . في الوقت الذي اسر جناح الدولة الوزير ابا الفضل بن الموصول مع فريق منهم وحصلهم الى حمص (٢) . ولكنه فشل في العثور على الحكيم النجم الذي كان قد رافق رضوان ففى حملته هذه حيث فر منهم عند محاولتهم القبض عليه . ومرجع ذلك - كما افاد ابن العديم - انه كانت في نفس جناح الدولة هتات من صهره رضوان منذ ان استنجد به الأخير بعد هزيمة الاثارب في شعبان عام ٤٩٢ هـ يونيه عام ١٠٩٩ م . وكان قد توجه رضوان على الفور الى حمص " مستنجدا بجناح الدولة فأجابته " (٣) . فعاد الى حلب ومعه جناح الدولة . قدخل رضوان مدينته دون ان يلتفت الى جناح الدولة الذي رابط بظا هر حلب تلبية لنجدته . ولما لم يعره رضوان اى اهتمام اضطر أسفا للرجوع الى حمص متحملا مشاق الرحلة . وقد دبر في نفسه أمرا .

(١) ابن الأثير . P. 27 . Gyar Guyard: Un Grand Maître . الكامل ج ١٠ ص ٩٣

(٢) ابن العديم زبداء الحلب ج ٢ ص ١٤٥

(٣) ابن العديم زبداء الحلب ج ٢ ص ١٤٤

وكان من الطبيعي ان ينتقم الاسماعيليون لانفسهم ولحليفهم
 رضوان من عدوه . وهنا كان لابد للخنجر ان يتحدث ليوجد جوا
 اخر من رعب الباطنية في بلاد الشام . فذهبوا على الفور حملة لاغتيال
 جناح الدولة للخلاص منه . فانتظروه في جامع حمص حتى نزل من
 القلعة لصلاة الجمعة الثانية والعشرين من شهر رجب عام ٤٩٥ هـ مايو
 عام ١٠٢٢ م (١) . وكان يحيط به خواصه واصحابه مزودين بسلاحهم .
 وبالرغم من كل ذلك فانه لم يكن يستقر في موضع مصلاه حتى وثب عليه
 ثلاثة من الباطنية (٢) . " وكان معهم شيخ كبير يدعون ويأتمرون بأوامره " (٣).
 وكان ذلك الشيخ — فيما يبدو — فائذا لتلك المجموعة من الفداوية .
 ومن الغريب انهم كانوا جميعا مرتدين ذى الصوفية أو " زى الزهاد " .
 فانقضوا على جناح الدولة بخناجرهم فاردوه قتيلا فضلا عن ذلك فانهم
 قتلوا جماعة من رفاقه بالمسجد (٤) . فكان جناح الدولة هذا أول
 ضحية للفداوية في بلاد الشام (٥) . ويعزو ابن العديم — الذى كثيرا
 ماتحامل على الاسماعيليه — أن قتله " كان بأمر رضوان ورضا " (٦) . وهو

- | | |
|------------------------|--|
| (١) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٣٥٧ |
| (٢) سبط ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ٤ |
| (٣) ابن القلانسي | Guyard : Un Grand Maître . P. 27 |
| (٤) ابن القلانسي | ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٢ |
| (٥) د . محمد كامل حسين | ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٢ |
| (٦) ابن العديم | طائفة الاسماعيليه ص ١٩٤ |
| | Runicman: A Hist. of The Crusades. Vol.11P.120 |
| | زبدة الحلب ج ٢ ص ١٤٦ |

السدي وصف " بأنه كان يستعين بالباطنية في كثير من أموره لقلبة دينه " (١) . بل كان هو الأداة التي استخدمها الباطنية لتنفيذ أغراضهم على عهد في بلاد الشام (٢) .

يعتبر اغتيال جناح الدولة بداية طور جديد من أطوار التاريخ الاسماعيلى في بلاد الشام . إذ ان الذى جنى ثمار تلك الجريمة النكراء هم الصليبيون وحدهم (٣) . فقد كان جناح الدولة — كما وصفه الكثير من المؤرخين — مجاهدا شجاعا يشار الحروب بنفسه . وكان يعد المعركة لطرد هم من بعض الحصون حول طرابلس (٤) . ذلك ان ريموند صاحب انطرسوس كان قد فشل فى هجومه الاول على طرابلس لأخذها من صاحبها فخر الملك بن عمار عام ٤٩٥هـ / ١٠٢٠م (٥) . فعاد السلي انطرسوس لرسم خطه لحملة قادمة . فضلا عما قام به من توطيد مركزه فى الجهات المجاورة الانطرسوس " حيف فتحها وقتل من بها — من المسلمين " (٦) . فخرج فى ربيع عام ٤٩٥هـ / ١٠٢٠م للاستيلاء على

- | | |
|------------------------------------|---------------------------|
| (١) ابن الأثير | الكامل ج ١٠ ص ١٢٥ |
| (٢) Guyard : Un Grand Maître . P27 | |
| (٣) سبط ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ٣—٤ |
| د . طه شرف | النزاريه ص ١٨١ |
| (٤) ابو الفسدا | المختصر ج ٢ ص ٢٢٦ |
| (٥) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٣٥٥ |
| (٦) ابن الأثير | الكامل ج ١٠ ص ١٢٠ |

القبعة حتى يتمكن من عزل طرابلس كذلك ليمد أملاكه الى نهـــــــر
العاصي . غير ان كل محاولاته باءت فاشله (١) . ذلك في الوقت الذي
استطاع ان يحاصر حصن الاكراد الذي كان قد استولى عليه عام ٤٩٣هـ /
١٠٩٩م الا ان جناح الدولة استرد منه على الفور (٢) وبناء عليه فقد
تعيين على جناح الدولة ان يهب لتطهير المنطقة . ولكن مصرعه على يد
الغداوية في هذه الظروف الحرجة ، جاء مخيبا لآماله وآمال المسلمين (٣) .
فضلا عن ذلك فقد تعرضت حمص نفسها لفارات ريموند على أثر وقوع
هذا الحادث الحزين " فنازل حمص وحصر أهلها وملك أعمالها " (٤) .
" فصالحه أهلها على مال ورحمى عنها " (٥) .

وهكذا وقفت حمص في مفترق الطرق لتحديد من يكون صاحبها
بعد الفجيرة الكبرى . فارتفع صوت زوجه : أم رضوان في جانب ابنها
صاحب حلب ولكن سرعان ما خفت ذلك الصوت امام اصوات الذين خافوه
من أهلها حيث " كره المقدمون ذلك وخافوه لسوء رأيهم فيه " (٦) .

- | | | |
|-----|----------------|---------------------------------|
| (١) | ابن الأثير | الكامل ج ١٠ ص ١٢١ |
| (٢) | د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٣٥٢ — ٣٥٨ |
| (٣) | د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٣٥٩ |
| (٤) | ابن الأثير | الكامل ج ١٠ ص ١٢٠ |
| (٥) | سبط ابن الجوزي | البراقة ج ٨ ص ٤ |
| | الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ٢٥ |
| (٦) | ابن العديم | زبدة الحلب ج ٢ ص ١٤٧ |

فنادوا بأخيه ، لتصبح حصن من نصيب دقاق صاحب دمشق الذي اسرع اليها على الفور واحسن الى اهلها (١) . كما انه اتخذ من الاجراءات ما يكفل نقل اهل جناح الدولة الى دمشق معززين ومكرمين (٢) . وبعد ذلك سلم البلد الى اتابكه طفتكين . ويحدثنا ابن العديم ان الحكيم المنجم مات بعد ذلك بحوالى أربعة وعشرين يوما (٣) . بينما نجد أن ابن القلانس وأبا المحاسن يؤكدان بأنه مات بعد مقتل جلنار الدولة بأربعة عشرة يوما (٤) . كما يقال انه قتل (٥) . على أية حال فإن الغموض حاط بشخص الحكيم المنجم ، فلم تسعفنا المصادر بحقيقة ما جرى له .

وتولى ابو طاهر بعد موت الحكيم المنجم امر الدعوة في حلب اى أصبحت على عهد هـ قلب الاسماعيلية النابغ في بلاد الشام (٦) . كان ابو طاهر اكثر جراءة واعظم اقدا ما من سلفه . كما كان على جانب كبير من النفوذ والسلطان عند حليفه رضوان (٧) . وقد تقاسم ابو طاهر زعامة العالم الاسماعيلي في بلاد الشام مع زميل له يعرف بابي الفتح

- | | |
|--|---------------------------|
| (١) الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ٢٥ |
| (٢) سبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ٤ |
| (٣) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٣٥٩ |
| (٤) ابن العديم | زبدة الحلب ج ٢ ص ١٤٧ |
| (٥) ابن القلانس | ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٢ |
| (٦) ابو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٦٩ |
| (٧) Grousset: Hist. des Croisades. Vol. PL. 478 | |
| (٨) ابن القلانس | ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٩ |
| Runicman: A Hist. of the Crusades. Vol. II. P. 120 | |

السرميني الذي اتخذ من سربين كرمات له حيث تولى القضاء بها . وفي الواقع فقد لعب كل منهما دورا خطيرا في تنشئة تلك الجماعة في حلب^(١) . لكن يلاحظ ان الامير رضوان لم يستمر في مؤازرته او احتضانه للباطنية بصفة مستمرة . فقد ساء موقفه امام السلطان محمد بن ملكشاه ، وبلغه حوالي عام ٥٠١ هـ / ١٠٧٠ م ما ذكر به لمشايخه الاسماعيليه وأنسه لعن لذلك في مجلس السلطان . فما كان منه — مدارة لموقفه — ألا أن يرأب الغنائم شقيق ابي الفتح السرميني والذي اشترك في قتل خلف بن ملاعب بالخروج من حلب فيمن معه . فانسل وخرج في جماعة من اصحابه بعد ان قتل الكثيرون منهم^(٢) .

وكان ان لقي خلف بن ملاعب مصير جناح الدولة . وكما لها كان قد تولى امر حصص . وان اختلفت ظروف ومواقع الاحداث وكان ابن ملاعب متوليا لامر حصص من قبل . الا ان رجاله أساءوا معاملته أهلها فضلا عن قطعهم الطرق على الناس من المسافرين والرحالة والتجار . ولما كان ذلك العمل قد أساء الى تتش بن الب ارسلان صاحب دمشق وحلب ووالد كل من رضوان ودقاق ، فانه توجه الى حصص ليحدد موقفه من ابن ملاعب فحضره فانتصر عليه^(٣) . وبذلك استطاع ان يستولى على البلد عام

-
- (١) د . طه شرف النزاريه ص ١٨٦
 (٢) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ١٥٣
 (٣) لم تكن هذه الاسباب فحسب هي التي دعت تتش للاستيلاء على حصص بل من بينها ومن أهلها هو اعلان خلف بن ملاعب الخطبه في البلد للخليفه المستنصر بالله الاسماعيلى : ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٣٠

٤٨٥ هـ / ١٠٩٣ م (١) . فتقلبت يابن ملاعب الاحوال حتى دخل مصر على عهد الخليفة المستعلى بالله (٢) . ولما كان اهل فاميه قد اعتنقوا مذهب الاسماعيليين ، فقد قدم وفد منهم الى القاهرة يريد ان يجهز اليهم من يلى امرهم . فوقع الاختيار على خلف بن ملاعب وكان ذلك عام ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م (٣) .

بيد ان الامور لم تستقر بينه وبين السرميني قاضى فاميه — النزارى (٤) . فضلا عن ذلك فقد ساءت سيرته من جديد وعمست القوضى مما دفع انصاره ورجاله الى العودة للسلب والنهب " فقطعوا الطرق واخافوا السبل وانضم اليهم كل مفسد " (٥) . فانفق القاضى وجماعة من اهلها وكاتبوا الامير رضوان صاحب حلب — الذى اعتبر فى نظر كل المؤرخين انه عضد الاسماعيلية الاول (٦) . — ليرسل اليهم جماعة للتخلص منه (٧) . وبناء عليه اى كل من رضوان وابى طاهر الدعوة فارسلوا

- | | | |
|-----|----------------|---|
| (١) | ابو الفدا | المختصر ج ٢ ص ٢١٢ |
| (٢) | ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٤٢ |
| (٣) | ابن العديم | زبدة الحلب ج ٢ ص ١٢٢ |
| | المقريزى | اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٨ |
| (٤) | سبط ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ١٦ |
| | | Grousset: Hist. des Croisades. Vol. P. 424 |
| (٥) | الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ٢٨ |
| (٦) | ابو المحاسن | النجم الزاهرة ج * ص ١١٢ |
| | | Grousset: Hist. des Croisades. Vol. I. P. 424 |
| (٧) | ابو الفدا | المختصر فى اخبار البشر ج ٢ ص ٢٣١ |

اليهم من استطاع الاجهاز على ابي ملاعب بقتله مع بعض اولاده وكسان ذلك في رجب عام ٤٩٩ هـ مارس عام ١٠٦٠ م (١) . وعلى الفور " نأدوا بشعار الملك رضوان " (٢) . وفي هذا ما يؤيد اشتراك رضوان الفعلي في تدبير جرائم الاغتيال هذه . وفي غمار المعركة الدامية التي حدثت بين انصار كل من الفريقين استطاع ابيه " مصبح " أن يفر الى شيزر ليقبض هناك فترة من الوقت (٣) . ثم لم يرحل بعد ذلك للاستجداد بقتكـرد الذي اسرع الى قاميه ليجنى هو الآخر ثمار ما قترفه الاسماعيليون وليستولى عليها بدوره (٤) . وكان مصرع خلف بن ملاعب هذا ثاني الجرائم الباطنية في بلاد الشام . وعلى اثر امتلاك تانكرد لقاميه في الحزم عام ٥٠٠ هـ سبتمبر عام ١٠٦٠ م قتل ابي الفتح السرميني ضمن بعض أنصاره (٥) .

- | | | |
|-----|--|---|
| (١) | ابن ميسر | تاريخ مصر ج ٢ ص ٤١ |
| | المقريزي | اتعاط الحنف ج ٣ ص ٣٦ |
| | وقد صور | Grousset ان عدد الذين انفذوا لهذا |
| | الغرض كان حوالى ثلاثمائة فدأى . وقد تزينوا بزي الفرسان | |
| | متظاهرين بانهم نجوا من احدى الغزوات الحربية ، فـلـاذوا | |
| | بالفرار الى حصن اقاميه لقريه منهم | Grousset : Histse ;
des Croisades. I. P. 424 |
| (٢) | ابن القلانص | ذيل تاريخ دمشق ص ١٥٠ |
| (٣) | ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٤٣ الذهبي ٢٨/٢ |
| (٤) | د . سعيد عاشور | الحركة الصليبيه ج ١ ص ٤١٢ |
| (٥) | سبط ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ١٧ ابن العديم ١٥٢/٢ |

على أنه لم يكن معنى أن الأمير رضوان أو عز اليهم بترك حلب
على أنه القى بهم في بحر الظلمات . فقد كانوا لا يزالون ساعده الأيمن
في حفظ بلده ضد الطامعين فيه . دليل ذلك أنه استعان بهم فحسى
حراسة قلعة حلب ضد اطماع مودود وأحمد بل قواد محمد بن ملكشاه
الذي كان قد بعث بهما نجده لاهل الشام من اغارات الصليبيين (١) .
حدث ذلك عندما وقع حصن الاغارب . وهو من أعمال حلب . في يد
تاتكرود عام ٥٠٤ هـ - ١١٠ م عقب استيلائه على فاميه (٢) .
ما ترتب عليه ضعف الجبهة الحلبية ضعفا ملحوظا . فاستغل تاتكرود
هذه الفرصة فطلب الى رضوان الافراج عن أسرى الأرمن
الذين وقعوا في قبضته عند اغارته على انطاكية عام ٥٠٤ هـ / ١١٠ م مع
أسرى آخرين من الفرنج (٣) . فأذن رضوان لطلبه في بادئ الأمر . مما
أدى بتاتكرود الى الاسترسال في طلباته وفرض شخصه على
رضوان " فصالحهم الملك رضوان صاحب حلب على اثنين وثلاثين السف
دينار وغيرها من الخيل والثياب " (٤) . كما صالحهم صاحب شيزر على
قطيعة عشرة آلاف دينار (٥) . وصالحهم صاحب حماه . على الكردي .

(١) ابن الأثير الكامل ج ١٠ ص ١٧٠
Rn Runciman: A Hist. of the Crusades. Vol. II.
P. 121

(٢) ابن الوردي تاريخ ابن الوردي ج ٢ ص ٢٠
(٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٤١٩ - ٤٢٠
(٤) ابن الأثير الكامل ج ١٠ ص ١٧٠
(٥) ابن العديم زبدة حلب ج ٢ ص ١٥٧

على الفى دينار (١) . كما دخل امير صور فى عقد الصلح " على شىء " (٢) . وبعد ذلك بمثابة استسلام مشين من رضوان والامراء الذين ذهبوا مذهبه .

وكان ان ترتب على ذلك ان ضاق الحلبيون ذرعا بكل هذه التصرفات فضلا عن ذلك فقد ضعفت حاله الاقتصاديه فى حلب بسبب كثرة الفتن الاسماعيليه وتلاعبهم بشئون الحكم " واقبالهم على احراق الاسواق وبيوت التجاره والتي كانت احدى الجوائح التي اصابته بسبب واهلها " (٣) . الامر الذى ادى بهم الى الاستغاثه بالسلطه الحاكمه فى بغداد لتتخذهم من نير العذاب الذى وقعوا تحت وطاته . فساد وقدمتهم مستغربين على الفرنج " (٤) . فلما وصلوا بغداد اجتمع بهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم . فقصدوا جامع السلطان مستغيثين . فكثرت الضجيج وبطلت الجمعة (٥) . فضلا عن كسرهم المنبر (٦) . امام ذلك كان لابد وأن تلبى بغداد دعوة الجهاد (٧) فجهز السلطان محمد بن ملكشاه فى

-
- | | | |
|-----|--|--|
| (١) | ابو الفدا | المختصر ج ٢ ص ٢٣٦ |
| (٢) | الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ٣٢ : وقد اوضح |
| | ابو الفدا | ان امير شيزر صالحهم على اربعة الاف دينار وصالحهم |
| | اهل صور على | سبعة الاف دينار : المختصر ٢/٢٣٦ . |
| (٣) | ابو شامه | الروضتين ج ٢ ص ١٦ |
| (٤) | ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٧٠ |
| (٥) | الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ٣٢ |
| (٦) | ابن القلانسي | ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٤ |
| | Grousset: Hist. des Croisades. Vol. II. P. 461 | |
| (٧) | ابن كثير | البدایه والنهایه ج ١٢ ص ١٢٣ |

لواخر عام ٥٤٠ هـ / ١١١١ م • جيشا للذب عنهم ^(١) . فكان اول من وصل
مودود بن التوتاش اتاك الموصل بعسكره الى شيختان • " ووصل أحمد
يل الكردي في عسكر ضخم " ^(٢) . فلاتفه جوسلين بمال وهدية وأن
يبدل له الكون معه والميل اليه فاجابه الى ذلك على كراهية من باقى
الامراء ^(٣) . الا ان الاتاك مردود استطاع فى تلك الاثناء فتح تل
قراد وبعض الحصون • ذلك فى الوقت الذى اتفق وصوله مع وصول
أحمد ييل الكردي وسقمان القطيبي • فعبروا الى الشام ^(٤) • وعلى الفور
نزلوا الى تل باشر فحاصروها حتى اشرفت على الوقوع فى أيديهم ولكنهم
رحلوا عنها ^(٥) • نتيجة لتأطى أحمد ييل مع جوسلين وموت سقمان على
الطريق •

وقد حدث فى ذلك الوقت ان وردة رسالة الملك رضوان الى
مودود وأحمد ييل " اننى قد تلفت وأريد الرحيل من حلب فهايروا الى
الرحيل " ^(٦) فحسن لهم أحمد ييل الرحيل عنها بعد ان اشرفوا على

- | | |
|--------------------|-----------------------------|
| (١) د • سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٣١٦ |
| (٢) ابن الاثير | الدولة الاتاكية ص ١٧ |
| ابن العديم | زبدة الحلب ج ٢ ص ١٢٥ |
| (٣) ابن القلانص | ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٥ |
| (٤) ابن كثير | البداهة والنهاية ج ١٢ ص ١٧٣ |
| ابو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٠١ |
| (٥) ابن العديم | زبدة الحلب ج ٢ ص ١٥٩ |
| (٦) ابن العديم | زبدة الحلب ج ٢ ص ١٥٩ |

أخذها • ولما وصلوا إلى حلب " أغلق رضوان أبواب البلد ولم يجتمع بهم " (١) ، وأخذ إلى القلعة رهائن عنده من أهلها لئلا يسلموها (٢) . كما أنه " رتب قوما من الجند والباطنية الذين في خدمته لحفظ سور البلد ومنع الحلبيين من الصعود إليه " (٣) . وفي ذلك دلالة واضحة على أنه كان للأسماعيليين في حلب من السطوة والقوة والمنعة ما يستطيعون معه التدخل في شئون حلب حتى في أخرج اللحظات مما انعكست آثاره السيئة على الجيش الزاحف فيما بعد • فقد أدى وقوفهم بجانب رضوان أن خرج على الصف العربي وتحالف مع تانكرد Tancred ضد الغزاة من المسلمين (٤) . ولو أننا نلتمس له عذرا في تصرفه هذا بسبب أنهم عندما نزلوا على حلب " عاشوا في بلادها وفعلوا أقبح من فعل الفرنج " (٥) .

لم يكن رضوان هو الذي خشى جيش مودود فحسب بل خافسة طفتكين صاحب دمشق أيضا • ذلك أنه " لما رأى كثرة عسكره خاف أن يأخذ منه دمشق " (٦) . إذا والحال كذلك كان لابد أن تفشل تلك الحملة

- | | | |
|-----|----------------|----------------------------------|
| (١) | أبو الفدا | المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ٢٣٦ |
| (٢) | سبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٦ |
| (٣) | ابن العديم | زبدة الحلب ج ٢ ص ١٥٩ |
| (٤) | د • سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٤٦٣ |
| (٥) | سبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٦ |
| (٦) | ابن الأثير | الدولة الاتاكية ص ١٧ |
- () Grousset: Hist: des Croisades . Vol. I. P. 462

أخذها • ولما وصلوا الى حلب " أغلق رضوان ابواب البلد ولم يجتمع بهم ^(١) • وأخذ الى القلعة رهائن عنده من أهلها لئلا يسلموها ^(٢) • كما انه " رتب قوما من الجند والبادانيين الذين في خدمته لحفظ سور البلد ومنع الحلبيين من الصعود اليه ^(٣) — وفي ذلك دلالة واضحة على انه كان للاسماعيليين في حلب من السطوة والقوة والمنع ما يستطيعون معه التدخل في شئون حلب حتى في اخرج اللحظات مما انعكست اثاره السيئة على الجيش الزاحف فيما بعد • فقد ادى وقوفهم بجانب رضوان ان خرج على الصف العربي وتحالف مع تانكر ضد الفزاة من المسلمين ^(٤) • ولو اننا نلتصق له عذرا في تصرفه هذا بسبب انهم عندما نزلوا على حلب • عاشوا في بلادها وفعلوا اقبح من فعل الفرنج ^(٥) •

المختصر في اخبار لشرح ج ٢ ص ٢٣٦

مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٦

زبدة حلب ج ٢ ص ١٥٩

الحركة الصليبية ج ١ ص ٤٦٣

مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٦

(١) ابو الفدا

(٢) سبط ابن الجوزي

(٣) ابن العديم

(٤) د • سعيد عاشور

(٥) سبط ابن الجوزي

لم يكن رضوان هو الذي خشي جيش مودود فحسب بل حافة
ظغتكين صاحب دمشق ايضا . ذلك انه " لما رأى كثرة عسكره خاف
ان ياخذ منه دمشق (١) . اذا والحال كذلك كلن لابد ان تفشل
تلك الحملة بسبب عدم اخلاص رضوان صاحب حلب وظغتكين صاحب
دمشق (٢) . واختلفوا ورجعوا فبئس ما فعلوا لانهم طمعوا في المسلمين
عسكر الفرنج (٣) . فعاد مودود الى الموصل (٤) . حتى كانت عام
٥٠٧ هـ / ١١٣ م حينما اختلف ظغتكين وبلدوين الاول
حول صور (٥) . فاستنجد ظغتكين - الذي تولى امر دمشق
بعد وفاة صاحبها - بقاء عام ٤٩٧ هـ / ١٠٤١ م (٦) . فلبى مودود عيسى
الغورداعى الجهاد (٧) . فعبر الفرات عند منتصف المحرم ٥٠٧ هـ
يونيو ١١١٣ م ليلتقى بطغتكين وبعض جيوش السلاجقة على طبرية
في المحرم عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م (٨) وعلى اثر معركة ضاربه انزل فيها
المسلمون الهزيمة بجيش بلدوين
طغتكين الى دمشق (٩) . ذلك بعد ان قرر تسريح بقية الجيوش
للراحة على امل العودة للغزو والجهاد في الربيع القادم (١٠) .

- | | |
|--------------------|-----------------------------------|
| (١) ابن الاثير | الدولة الاتابكية ص ١٧ |
| (٢) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٧١ - ١٧٢ |
| (٣) الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ٣٣ |
| (٤) ابوالفدا | المختصر ج ٢ ص ٢٣٦ |
| (٥) سبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٢ |
| (٦) ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٦٣ - ١٦٤ |
| (٧) الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ٣٤ |
| (٨) ابن القلانسي | ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٥ |
| (٩) سبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٢ |
| (١٠) ابن الاثير | التاريخ الباهر ص ١٩ |
- Grousset: Hist. des Croisades Vol. I. P. 484-485

وهناك في دمشق يضع القدر نهاية ذلك المجاهد الكبير . فقد
 وشب عليه احد الباطنية . جاءه في زى سائل فطلب منه شيئا فاعطاه (١)
 فلما اقترب منه طعنه طعنه نكراء اثناء صلاة الجمعة الموافق السادس
 والعشرين من ربيع الاخر عام ٥٠٢ هـ العاشر من اكتوبر عام ١١١٣م
 اودت بحياته (٢) . ويقف الجمع في صحن المسجد مبهم وشتين مما
 حدث . وتدور حبائل الاتهام حول طغتكين بان له يدا في ذلك
 ولكن كما هي العادة لم يخل الجرم منه فـ . وكان . . . صاحب
 المرأة . . . ف قيل ان الباطنية بالشام خافوه فقتلوه (٣) . وقيل بل خافه
 طغتكين فوضع عليه من قتله (٤) . وعلى كل فان الراي العام الاسلامي
 فيما عدا صاحب المرأة اتهم طغتكين اتهاما صريحا بالتدبير لقتله (٥) .
 وكان امر على الفور باحراق جثته (٦) . اما صاحب المرأة فانه ينفي
 هذه التهمة عن طغتكين نفيا قاطعا . وذكر بعضهم ان اتاك خفاف
 منه فوضع عليه من قتله . وليس بصحيح . فان طغتكين كان احسب
 الناس اليه وحزن عليه حزنا لم يجزئه احد وشق شوقه عليه وجلوس فسي

- | | |
|--------------------|---|
| (١) ابن كثير | البداية والنهاية ج ٢ ص ١٧٣ . |
| (٢) ابن القلائس | ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٧ |
| | Grousset. Hist. des Croisades. Vol. I. P. 485 |
| (٣) ابن خلكان | وفيات الاعيان ج ١ ص ٢١٨ - ٢١٩ |
| (٤) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٧٤ |
| ابو الفدا | المختصر ج ٢ ص ٢٣٧ - |
| (٥) ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٧٦ |
| (٦) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٣٢٣ |

عزائه سبعة ايام • وتصدق عنه بمال جزيل^(١) • وقد حدد المؤرخ عينه
هوية القاش بانه كان رجلا من بين الناس لا يؤبه له ولا يحتقل به •
فقرب من مودود كأنه يدعوه ويتصدق منه فلزم ببند قبائه وضربه بخنجر
اسفل سرته ضربتين احدهما نفذت الى حاصرته واخرى الى فخذه^(٢) •

اما فيما يختص بقطع رقبة القاتل • فقد اوضح اكثر من مؤرخ ان
سيوف المحيطين بمودود اخذته من كل جانب^(٣) • وقطع راسه
ليعرف شخصه فما عرف واضرمت له نار فلقى فيها^(٤) • واذا اشارت
اصابع الاتهام الى طغتكين • فمرجع ذلك ان طغتكين كان قد
عد اخطوات وقت الكائنة واحاط به اصحابه^(٥) وكان لاغتياله رخصة
سمعت اصداؤها في الاوساط السلبية • • فبعث يديهم

يسخر من اقدام المسلمين على اغتيال زعمائهم في اشد الاوقات حرجا
فكتب الى طغتكين ان امه قتلت عميدها غي يوم عيدها في بيت

-
- | | |
|--------------------|--|
| (١) شبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ٥١ — القباء : هو القفطان |
| (٢) شبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ٥١ |
| (٣) ابو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٠٢ |
| (٤) ابن القلانسي | ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٢ |
| (٥) ابن القلانسي | ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٢ |
| شبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ٥١ |

معبودها لتحقيق على الله ان يبيدها (١) . وقد افاضت المصادر المختلفة في ترديد هذه العبارة مما يدل على انها كانت مشارحة يث الاوساط الاسلامية . ويقتل مودود تخلص الفرنج من عدو وخطير كان له الشأن للاعظم في كل حربه او تعامله لا معهم .

وكما افاد الفرنج من اغتيال كل من جناح للدولة صاحب حص ، وخلف بن ملاعب صاحب فاميه . فقد افادوا ايضا من قتل مودود . فقد ترتب على مضربه ان ارتقى طغتكين في احضانهم (٢) . والدليل على ذلك معاهدة الصلح التي وقعت بينه وبين بلدوين عام ٥٠٨ هـ / ١١٤٤ م (٣) . حتى وصفه المؤرخون بانه " خلع طاعة السلطان وعاضد الفرنج (٤) . وما ذلك كله الا ليامن كل منهما جانبا الاخر (٥) . وان كان ذلك لا يمنع انه قلق لمقتل مودود . (٦)

-
- | | |
|--------------------|--|
| (١) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٢٥ |
| (٢) سبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ١٥ |
| (٢) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٣٢٣ |
| (٣) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٢٢ |
| (٤) الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ٣٢ |
| (٥) د . حسين مؤنس | " يلاحظ ان من اهم الاسباب التي دعت الى عقد معاهدة صلح مع بلدون ، هو ان السلطان ملكشاه نفسه . نسب اليه قتل مودود فاراد الامتناع به لابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ١٢٢ .
نور الدين ص ١٣٥ |
| (٦) سبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٨ |

كذلك اقبل الباطنية على اغتيال زعيم اسلامي اخر كان على
درجة كبيرة من الخطورة والمكانة السياسية والعسكرية والاجتماعية
في مجتمع هواشد ما يكون بحاجة الى امثاله من القادة الاقذاز —
الا وهواق سنقوا البرسقى صاحب الموصل وحلب^(١) . وكان البوسقى
قد انضم الى طغتكين بناء على استنجاد شمس الخواص صاحب
دفتيه في صفر عام ٥٢٠ هـ / مارس عام ١٢٦ م ضد الامير بونوس — ز
Pons صاحب طرابلس^(٢) . فخرج البوسقى من الموصل الى
بلاد الشام ليتجه مباشرة الى انطاكية . فحاصر حصن الارب . فاستولى
على اجزاء منه في جمادى الاخرة (يولييه) من نفس العام^(٣) . ولكنه
استجاب للهدنة التي طلبها بلدون Baldwin فانسحب من
حصن الانارب على ان يرحل عن هذا الموضع ويتفقوا على " ما كانوا
عليه في العام الخالي^(٤) . فعاد الى الموصل ليعد الموقع اخر من
مواقع الجهاد ضد الصليبيين^(٥) . ولكن الباطنية لا كانوا في انتظاره
ليستقبلوه بسكاكينهم وخناجرهم ، وفي زى الزهاد ايضا^(٦) . وفي

-
- (١) ابن الاثير شذرات الذهب ج ٤ ص ٦١
(٢) Grousset: Hist. des Croisades. Vol. I. P. 629
(٣) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٢٢٤
(٤) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٣٢
(٥) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٤٨ — ٢٤٩
(٦) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٣٢ — ٢٣٣
Grousset: Hist. des Croisades. Vol. I. P. 642
(٧) نصت الهدنة المنوه عنها والتي وقعت بين البرسقى والفرنج على
ان يناصفهم جبل الساق وغيره مما كان بايدي الفرنج وكان ذلك عام
٥١٩ هـ / ١٢٥ م . ابن العديم : زبدة الحلب ٢ / ٢٣١ .
(٨) سبط ابن الجوزي مرآة الزمان ج ٨ ص ١١٢

جامع الموصل حيث كان يؤدى صلاة الجمعة العشرين من ذى القعدة
عام ٥٢٠ هـ ٧ ديسمبر عام ١٢٦١ م ، غار دوده قتيلاً . وقيل كان
مصرعه فى التاسع من ذى القعدة (٢) . وفى قول آخر فى الثامن منه (٣) .
وعلى كل فان اغتياله وافقيهم د خوله الموصل (٤) .

ولما كان البوسقى يسيطر بجانب الموصل على حلب والتمى تولى
امرها بناء على طلب اهلها (٥) . وكان الفرنج قد حاصرها فى ذى -
الحجة ٥١٨ هـ يناير ١١٢٥ م ليستولوا عليها ، فكانت اهلها بعد
ان " قلت الافوات عندهم واشرفوا على الهلاك ، فسار اليهم فى
عسكره وجنده (٦) . فخرج الفرنج الى مغادرتها " فسلمها اليه اهلها
لذلك فان البلد اعترض لمقتله ، فضلا عن انه تعرض لهجوم صليبي
من جانب بوهنمد الثانى اميرانطاكيا
وجوسليني امير الرها (٨) . والغريب ان البوسقى
كان قد احترز من الباطنية بالرجال والسلاح والجند رايه (٩) .

- | | |
|--------------------|--|
| (١) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ص ٢٦٢ |
| (٢) ابن خلكان | وفيات الاعيان ج ١ ص ٢١٩ |
| (٣) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٢٢٥ |
| (٤) ابن القلانسي | ذيل تاريخ دمشق ج ٢ ص ٢١٤ |
| ابن القديم | زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٣٤ |
| (٥) ابن العديم | Grousset: Hist. des Croisades. P. Vol. I. P. 644 |
| (٦) ابن الاثير | زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٣٠ |
| (٧) سبط ابن الجوزى | الكامل ج ١٠ ص ٢٢١ - ٢٢٢ |
| (٨) د . سعيد عاشور | مرآة الزمان ج ٨ ص ١١٤ |
| (٩) سبط ابن الجوزى | الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٦١ - ٥٦٣ |
| ابو المحاسن | مرآة الزمان ج ٨ ص ١١٦ |
| | التجوم الزمان ج ٥ ص ٢٣٠ |

ولقد نال البوسقى اعجاب اكثر من مؤرخ • فقد وصفه ابو الفدا
بانه كان شجاعا دينا حسن السيرة من خيار الولاة (١) • والدليل على
تدينه انه راي فى تلك الليلة فيما يرى النائم عدة كلاب ثاروايه " فقتل
بعضها ونال منه الباقي ماداده (٢) • فلما قص رؤياه على اصحابه اشاروا
عليه بترك الخروج من داره بعض ايام • لكنه ردهم بقوله " لا اترك
الجمعة لشيء ابدا (٣) • وكان من عادته ان يحضر الجمعة مع العامة
فى المسجد • فوقع ما كان قد راه ليلة البارحة • ويقال انه قتل بيده
ثلاثة من قاتليه (٤) • كما انه كان عادلا فى الرعيه • وكان على حد تعبير
صاحبى المرات والنجوم الزاهرة فقد نال احترام الخلفاء والملوك على
السوءاء (٥) • وقد اتهم الوزير الدركزى بالتدبير لقتله على يد انصاره
من الباطنية " فجعل به مصاب المسلمين (٦) •

المختصر ج ٢ ص ٢٣٨

الكامل ج ١٠ ص ٢٢٥

زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٣٥

الكامل ج ١٠ ص ٢٢٥

مرآة الزمان ج ٨ ص ١٢٦

النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٣٠

تاريخ ال سلجوق ص ١٣٢

(١) ابو الفدا

(٢) ابن الاثير

(٣) ابن العديم

(٤) ابن الاثير

(٥) سبط ابن الجوزى

ابو المحاسن

(٦) البندارى

وكانت هذه ذروة الماساء التي وضت قواد امراء المسلمين في تلك الوقت اذ نتج عن تخوفهم من بعض وترصد هم لبعض وجود ثغرات خطيرة وعديده بل وعميقة استطاع الاسماعيليون والصليبيون على السواء النفاذ منها لنيل اغراضهم وتحقيق اهدافهم المتعددة الجوانب والاهداف (١).

وبما يثبت سيطرة الاسماعيليين على الامير رضوان وتدخلهم ، تدخلا مباشرا في شئون بلاده وتلاعبهم بامورها ما حدث مع التاجر المشرقي المعروف وبابي حرب عيسى بن زيد بن محمد الخجندی الذي قدم الى حلب في غضون شهر ربيع الاول عام ٥٠٥ هـ = سبتمبر عام ١١٠٠ م ، ومعه حوالي خمسمائة حمل من اصناف المتاجر الشرقية المختلفة (٢) . وكان ذلك الرجل شديد الكراهية للباطنية (٣) . وقد صحبه في تلك الرحلة من خراسان احد الباطنية ويدعى احمد بن نصر الرازي كان قد قتل اخ له بواسطة رجال الخجندی في الثورة التي قام بها ضد هم الفقيه الشافعي ابو القاسم مسعود محمد الخجندی — باصفهان عام ٤٩٤ هـ / ١١٠٣ م (٤) . وفور دخولهم حلب اتصل احمد

-
- | | |
|--------------------|------------------------------|
| (١) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٣٢٣ |
| (٢) ابنن الفرات | تاريخ الدول والملوك ج ١ ص ٥٨ |
| (٣) ابن العديم | زبدة الحلب ج ٢ ص ١٦٢ |
| (٤) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٠٩ |

بابى طاهر الصانع رئيس الباطنية فيها والذي كان متمكنا من
صاحبها برى من اى تهمة فى شأنه . ان هو معروف بكراهيته ،
وبغضه لهم (١) . وعلى العادة سار رضوان فى غيبه نحو تشجيع
الباطنية طمعا فى مال التاجر . فبعث غلمانا يتوكلون به . كذلك
سير ابو طاهر معهم جماعه من اصحابه حاشيه . انه باحمد بن نصر
الرازى الباطنى ينقض عليه فى جماعه من اصحاب ابى طاهر . لكنه لم
يستطيع تنفيذ جريمته كامله لبقظه حاميه التاجر الذين وثبوا عليه
فاردوه قتيلا فى جماعه من موافقيه (٢) .

وقد ادت تلك الجريمة الفاشله الى انفجار ثورة شعبية - اده
ضد الاسماعيليه فى الببد . كما انه بيدوان ابا حرب هذا - يحكم
مركزه الاقتصادى - كان معروفا لكل ملوك وامراء الشام حيث ابلغهم
جميعا بكل ما وقع له فى قلب " فتوافر رسلهم الى رضوان ينكرون
عليه . فانكر وحلف انه لم يكن له فى هذا الرجل نية . (٣) .

ومهما يكن من امر فان الوضع لم يستمر بالنسبة لهم فى حلب ،
فقد قضى عليهم قضاء شبه ميرما على عهد ابنه الب ارسلان السدى
تولى الحكم عقب وفاة والده رضوان عام ٥٠٢ هـ / ١١١٣ م (٤) .
وذلك حينما دفعه السلطان محمد بن ملكشاه الى ذلك (٥) . وكان

- | | |
|--------------------|------------------------------|
| (١) ابن الفرات | تاريخ الدول والملوك ج ١ ص ٥٨ |
| لويس | الدعوة الجديدة ص ١١٩ |
| (٢) ابن العديم | زبدية الحلب ج ٢ ص ١٦٢ |
| (٣) ابن العديم | زبدية الحلب ج ٢ ص ١٦٣ |
| برنادو لويس | الدعوة الجديدة ص ١١٩ |
| (٤) ابن القلانيس | ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٩ - ١٩١ |
| ابن ابيك الد وادرى | كنز الدرر ج ٦ ص ٤٧٧ |
| (٥) ابو المحاسن | النجم الزاهرة ج ٥ ص ٢٠٦ |

السلطان محمد قد بيت النية للقضاء عليهم منذ ان كتب اليه اخوه
سنجر . ان هؤلاء لا يبقون على ولا عليك والواجب قلعهم من الارض
وابادتهم (١) . فكانت مذبحة حلب .

وكان الرئيس ابن بديع صاحب الشرطة في حلب الدور الاكبر
في اذكاء نار الثورة ضدّهم . فقد اتفق رايه مع لما جاء في كتاب محمد بن
ملكشاه لابن اخيه الب ارسلان . وكان والدك يخالفني في الباطنية وانت
ولدي فاحب ان تقتلهم (٢) . ذلك في نفس الوقت الذي " اشار
اليديع رئيس حلب على لؤلؤ والصبي يقتل كل من في حلب منهم —
واغلق دار الدعوة (٣) . فاتفق الرايان على تنفيذ مخططيهما ضدّ
الاسماعيلية (٤) . فتم القبض على ابي طاهر وقتله . كما قتل اسماعيل
الداعي وبعض كبارهم (٥) . كذلك تم القبض على زهاء مائتى نفس منهم
وسجن بعضهم واستغنى اموالهم (٦) . وفي نفس الوقت هرب منهم
جماعة فثقروا في البلاد (٧) . اما ابراهيم الداعي ففر هاربا من
القلعة الى شيرز (٨) .

- | | |
|--|---------------------------|
| (١) سبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٢ |
| (٢) ابن العديم | زبد حلب ج ٢ ص ١٦٨ |
| (٣) سبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٧ |
| Grousset: Hist des Croisades. Vol. I. P. 478-479 | |
| (٥) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٤٢٢ |
| (٦) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٧٥ |
| (٧) سبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٨ |
| (٨) ابن القلائس | ذيل تاريخ دمشق ص ١٩٠ |

ولكنه بالرغم من وقوع تلك المذبحة الخطيرة ، فانهم ظلوا مصدر خطر في المنطقة . كما انهم ظلوا محتفظين ببعض من تماسكهم في بعض اطراف حلب . وكعادتهم لم يتهاونوا في اخذ الثار . فتربصوا بابن البديع ليسقوه من نفس الكاس التي شربوا واساقعهم منها .

بيد ان الحظ كان قد لعب معهم دورا هاما في ذلك . فقد نجس عن استنجاد الب ارسلان بطغتكين اتاك دمشق لحفظ الامور في حلب تغييرات شامله في القيادات الرئيسية فيها ^(١) . وكان من اهم نتائجها القبض على الرئيس ابن ابيديع وايداعه السجن . ولكن لم يلبث ان افرج عنه اثر محاولة الانتحار في سجنه ^(٢) . فخرج مع اهله في قطيع من الليل قاصدا مالكا ابن اسلم صاحب قلعه جعبر ليتوجه من هناك الى ايلغازي فيطلب اليه المتوسط في عودته الى حلب التي كان قد ساءت حالها . وعلى طريق معبره الفرات ترمى له ثلاثة من الباطنية . فوثب عليه رجلان منهم فطعناه بخناجيهما طعنات عدة . ولكنهما قتلا بيد اثنين من اولاده المرافقين له . كما اقتل ابن بديع واحد اولاده وجرح اخر ^(٣) .

ذيل تاريخ دمشق ص ١٩١

زبد حلب ج ص ١٢٠

زبد حلب ج ٢ ص ١٨٦

(١) ابن القلانص

(٢) ابن العديم

(٣) ابن العديم

والذى يلفت النظر فى ذلك الموضوع هو تخطيط الاسماعيليه
له تخطيطا دقيقا ومحكنا . اذ انه عندما حمل الابن الجريح السى
القلعه كان فى انتظاره من القداويه من وشب عليه فارداه قتيلا (١)
فلما القى القبض عليه انتحر على الفور بالقاء نفسه فى نخله من حراسه
فى الفرات (٢) . وكان من عادة شيخ الجبل ان يبعث الى اعدائه
بثلاثة من فدائيه بحيث اذا فشل احدهم ادى الاخران المهمه
على اكمل وجه (٣) . وقد اتهم الاصفهاني الوزير الدركزنى ايضا
بالمشاركة فى التحريض على قتله (٤) . ونستطيع تعليل اقدام الاسماعيلى
على الانتحار بانه كان يقصد اخفاء اسرار الجريمه ودوافعها من ناحية
وحتى لا يقع تحت طائلة تعذيب الحكام او استجوابهم من ناحية اخرى ،
وحتى لا يكشف سر من حوله من الاسماعيليين .

ومن الغريب ان يتخذ الباطنيه وزراء السلاجقه وامرائهم مطيه
يحققون عليها اغراضهم فى النفاذ الى اعماق الحكم والحكام (٥) . مثال

(١) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ١٨٧
Grousset: Hist. des Croisades. Vol. P.P. 480
(٢) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ١٨٧

برناد وليوس الدعوة الجديدة ص ١٢٠ - ١٢١

(٣) Browne: A Lit. Hist. of Persia. Vol. I.P. 209 - 210

(٤) البندارى تاريخ ال سلجوق ص ١٣٢

(٥) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج (ص ٥٥٠ - ٥٥١)

ذلك اتخاذهم الوزير الدركزىنى طريقا الى بلاط السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه واخيه السلطان طغر بك من بعده^(١) . وفيما يسدوا انهم تبادلوا المنافع .

فلستعان بهم الوزير الدركزىنى للاخلاص من بعض من خشى ياسهم . فمثلا قتلوا — بوحى منهم — عم الكاتب العماد الاصفهاني احمد بن حامد بن محمد ابو نصر المستوفى المعروف بالعزيرز وقد قبض عليه في سلطنه محمود بن محمد بن ملكشاه . وكان صديق الوزير الدركزىنى فحبسه بقلعه تكرت . فما زال محبوسا حتى مات محمود واجلس الدركزىنى اخاه طغر بك في السلطنة^(٢) . فاعز للسلطان الجديد بقتله . فخنق خنقا وقيل سم وقيل دخل عليه قوم من الباطنية فقتلوه^(٣) وكان ربك بالمرصاد فقد وصى الواشى بالدركزىنى عند طغر بك فامر به فصلب بعد اربعين يوما من قتل العزيز^(٤) . وهذا الامر دل على شىء انما يدس على ان الباطنية استطاعوا ان يلعبوا بكل مخرات الامور في تلك الفترة من تاريخ الدولة الاسلامية .

تاريخ تل سلجوق ص ١٣١

مرآة الزمان ج ٨ ص ١٤٠

مرآة الزمان ج ٨ ص ١٤٠

مرآة الزمان ج ٨ ص ١٤٠

(١) البندارى

(٢) سبط ابن الجوزى

(٣) سبط ابن الجوزى

(٤) سبط ابن الجوزى

لم يكن هناك يد لاسماعيليه حلب بعد تلك الحوادث الداميه
من الفرار الى معقل اخر اكثر امانا واعم استقرارا . فهرب اكثرهم الى
شيزر (١) . وقد سبقهم اليها الداعي ابراهيم بن اسماعيل العجمي (٢) .
وكان من كبار دعاة حلب على عهد لملك رضوان (٣) . وقد استطاع
ابراهيم هذا ان يجمع فلول الاسماعيليين من اهالي حلب وقاميه وسرمين
ومعرة النعمان ومعرة مصرين وغيرها (٤) . وقد بدا واضحا من تجمعهم
في شيزر محاولة الاستيلاء على قلعتها (٥) . غير انهم فشلوا فسي
خطتهم فطردوا من المدينة بعد ان قتل منهم عدد غير قليل (٦)
فرجع بعضهم الى حلب بزعامة الداعي ابي محمد من دماج الذي
ربطته صداقه عريقه بالامير بلغازي اتقاء لشركهم حيث كانوا يقتلون
كل من خالفهم وقصد من يتمسك بهم (٧) .

-
- | | |
|---|--|
| (١) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبيه ج (ص ٤٢٢ — ٤٢٣ |
| (٢) مصطفى غالب | سنان راشد الدين ص ٩١ |
| (٣) د . Grousset: Hist. des Croisades: Vol. I. P. 479 | |
| (٤) مصطفى غالب | سنان راشد الدين ص ٩٢ |
| (٥) اسامه بن منقذ | د . طه شرف : النزاريه ص ١٩٨ |
| (٦) د . سعيد عاشور | كتاب الاعتبار ص ١٥٩ — ٢٦٠ |
| (٧) ابن الاثير | الحركة الصليبيه ج ١ ص ٤٢٣
الكامل ج ١٠ ص ٢٢٥ |

وهناك في حلب استطاع ابو محمد ان يوثر على صديقه ايلغازى
فتنازل لهم عن قلعة الشريق حوالى عام ٥١٣ هـ / ١١١٩ م (١) .
وبناد عليه تمكن الاسماعيليون من استعادة قوتهم من جديد في حلب
وفى غيرها . فاخذوا يمارسون جرائم القتل والتهديد على نطاق واسع .
حتى جاء بك بن بهرام من ارشق الى بلاد الشام فى ذى القعدة
عام ٥١٨ ديسمبر عام ١٢٢٤ م . فقبض على نائب بهرام داعى الباطنية
فى حلب وامر باخراجهم منها فباعوا اموالهم ورحالهم وخرجوا منها (٢) .

(٢) د . محمد كامل حسين طائفة الاسماعيلية ص ٩٦

(٢) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ٢١٦

الاسماعيليون في دمشق :

لم تضعف قوة الاسماعيليين بما اصابهم في حلب • بل حدث
عكس ذلك على اثر دخول الداعي بهرام الاسترأبادي بلاد الشام
حوالى عام ٥٢٠ هـ / ١٢٦٦ م • فاستطاع بما عرف منه من المهارة
وحسن التدبير وسرعة الحيلة ان يتصل بالامير طغتكين صاحب دمشق
وان يكون من اصحاب الخطوة عند (١) فاكرم لاتقاء شره وشر جماعته
وجعلت له الرعاية وتاكده بالعناية (٢) • وقد وصف كل من ابن القلانيس
وصاحب المراءى حال بهرام في تلك الاونة بانه استفحل امره وعظم
خطبه في حلب والشام وهو على غاية من الاستتار احد شخصه حتى
صار في دمشق وتبعه • خلق كثير من الجهال وسفهاء العوام والفلاحين (٣)
فاتفق مع طغتكين في ندى القعدة عام ٥٢٠ هـ نوفمبر ١٢٦٦ م • على ان —
يتنازل للاسماعيليين عن قلعه بانياس (٤) • وهى التى لعبت في ظل
الاسماعيليين دورا خطيرا في تحديد علاقاتهم بسكان المنطقة على مختلف
عقائدهم ومذاهبهم (٥) • وسرعان ما غدت بانياس حصنا ياوى اليه ومعتقلا
يحتس به ويعتمد عليه (٦) •

- | | |
|--------------------|---|
| (١) د • سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٦ |
| (٢) ابن القلانيس | ذيل تاريخ دمشق ص ٢١٥ |
| (٣) ابن القلانيس | نيسل تاريخ دمشق ص ٢١٥ |
| (٤) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٢٢٥ |
| (٥) برنارد ولويس | Grousset: Hist. des Croisades. Vol. I. P. 659 |
| (٦) د • سعيد عاشور | الدعوة الجلية ص ١٢١ |
| | الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٧ |

وكان سبب ذلك حسب تعبير صاحب المراه ان "طغتين كان قد مخافه فدان بطاعه الناس له فالتمس معقلا ياوى اليه وملجأ يعتمد عليه فاعطاه بانياس في ذى القعدة ، فاجتمع اليه اوباشه ورعاؤه وسفهاؤه وعظمت بهم المصيبة وجلست بهم المحنة وضائق صدور العلماء وارباب الدين واهل السنه . ولم يتجاسروا على الكلام خوفا من شرهم وقتلهم من يعاندهم بحيث لا ينكر عليهم سلطان ولا وزيره ولا مقدم ولا امير (١) . فضلا عن ذلك فانه ترتب على تسليمهم خصن بانياس ان سلم اليهم ابن محرز حصن القدموس (٢) . وفيما بيد وكان ذلك على سبيل المجاملة جريا على ما فعله طغتيين ووزيره . او ان شئت : فقل هو الخوف .

والواقع كان ذلك العمل من جانب طغتيين مدعاة لاستمرارهم في فرض شخصيتهم عليه فتدخلوا تدخلا مباشرا في شئون دمشق فسمى اهم مرافقها حساسيه . فاستطاع الداعي اسماعيل العجمي الذي ، تولى امر الدعوة بعد مقتل الداعي بهرام على يد الدروز عام ٥٢٢هـ / ١٢٨١م ان يؤثر في حكام دمشق فولى احد ابعاده المعروف بابسى

مرآة الزمان ج ٨ ص ١١٨ — ١١٩

مرآة الزمان ج ٨ ص ١٣٠

معجم الانساب ج ١ ص ٦١

(١) سبط ابن الجوزى

(٢) سبط ابن الجوزى

زامباور

إلوفاً وظيفته قاضي قضاة دمشق^(١) . قفوى امره علا شأنه وكثرا ابتاعه
وقام بدمشقه فصار المستولى على من بها من المسلمين وحكمه أكثر من حكم
صاحبها تاج الملوك^(٢) . وقد أدى ذلك إلى عواقب وخيمة من أهمها
إعدام الوزير المزدعاني ساعدهم الأول ثم من بعده ٠٠٠٠ مذبحة
دمشق

ويرجع دسببه مقتل بهرام الاسترابلدي إلى أنه كان قد قتل
يرق بن جندل " أحد مقدمي ولدي التيم حيث عاش أصحاب مذاهب
مختلفة من القصيرية والدروز وغيرهم^(٣) . لغير سبب حمل عليه ولا جناية
دعته^(٤) . فضلا عن ذلك فإنه جمع حشدا كبيرا من الاسماعيليين وهاجم
ديارهم للنيل منها . وعلى اثر معركة ضاربه بين الطرفين في غضون
عام ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م انهزم الاسماعيليون وقتل بهرام الا فقطع راسه
ويده بعد تقطيعه بالسيوف والسكاكين^(٥) . ولم يقتصر الامر على ذلك
بل ارسل الدروز راسه وفي ذلك دلالة على ان مصر المستعلوية كانت
لاتزال تتربص بالدوائر بالنزاريه حيثما حلوا ركا بهم . كما يدل من ناحية
اخرى على ان الدروز كانوا على علاقة طيبة بالمصريين اكثر من اخوانهم
النزاريه .

- | | |
|--------------------|----------------------------|
| ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٢٣٤ |
| د . محمد كامل حسين | طائفة الاسماعيليه ص ١٩٧ |
| (٢) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٢٣٤ |
| (٣) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٢٣٤ |
| (٤) ابن القلانيس | ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢١ |
| (٥) ابن القلانيس | ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٠ — ٢٢١ |

ولقد ترتب على تعيين الداعي ابي الوفا في وظيفة قضاء دمشق ان حدثت سوءا مرات خطيرة . وكان من اهمهما تلك التي دارت بين الاسماعيليين والصليبيين حول تسليم دمشق للصليبيين في مقابل استيلاء الاسماعيليين على صور^(١) . وكان عندهم في ذلك — كما يقال الوزير لمزدغانى^(٢) . حيث كانت له اليد الرئيسيه في تلك الاحداث^(٣) فكان مصيره الاعدام واهرام النار في جثته^(٤) . كما علق راسه على احد ابواب قلعة دمشق^(٥) .

ذلك ان ابا على طاهر بن سعد المزدغانى وزير تاج الملوك يروى كان اعانهم . على الايغال في هذا الضلال معونه بالغ فيها لما تقرر بينه وبين بهرام الداعي من المؤازرة والمعاودة^(٦) . كما ان تاج

- | | |
|--------------------|---------------------------|
| (١) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبيه ج ١ ص ٥٥٨ |
| (٢) ابن القلانسى | ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٢ |
| (٣) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبيه ج ١ ص ٥٥٨ |
| (٤) ابن القلانسى | ذيل تاريخ دمشق ص ٣٢٣ |
| (٥) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبيه ج ١ ص ٥٥٩ |
| (٦) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبيه ج ١ ص ٥٥٩ |
| (٧) ابن العماد | شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٧ |
| (٨) ابن القلانسى | ذيل تاريخ دمشق ج ٢٢١ |

الملوك بوري تتبع الاسماعيليين في دمشق وعليه فقد قامت مذبحة دمشق في رمضان ٥٢٣ هـ سبتمبر ١١٢٩ م ، على غرار ما حدث معهم في حلب " فذبح منهم حوالي ستة الاف شخص (١) . وفي قول اخر " عشرة الاف (٢) . كما علف رؤوس كبارهم على باب القلعة (٣) . كذلك تم القبض في تلك الثورة على غلام ابي طاهر المعروف بشاذي الخادم . فصلب ومعه نفر غير قليل على شرفات دمشق (٤) .

هذا . . . وقد كان لكل من الحاجب يوسف بن فيروز شحنة دمشق والرئيس الوجيه ثقه الملك ابي الذواد مفرج بن الحسن الصوفى الذى اتهمه ابو المحاسن بانه كان سببا في انتماء المزدعاني السحسى الاسماعيليه خوفا منه لعداوة كانت بينهما (٥) . السيد الطولى فى القضاء عليهم . ذلك انهما اتفقا . على قتل الوزير المزدعاني (٦) .

(١) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٢٣٤

King: The Knights Hospitallers. P. 80

- | | |
|--------------------|-----------------------------|
| (٢) سبط ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ١٣٠ |
| (٣) ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٠٠ |
| (٤) ابن القلانص | ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٣ |
| (٥) ابن المحاسن | النجو " الزاهرة ج ٥ ص ٢٣٥ |
| (٦) سبط ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ١٣٠ |
| (٧) سبط ابن الجوزى | مرآة الزمان ج |

لانه كما اتهموه بذلك — كان يكاتبهم ويمارتهم خوفا من بنى الصوفى (١)
لذلك كله تعين عليهما — التحرز والاحتياط من اغتيال من يندب اليهما
من باطنيه الموت مقرر الباطنية بلبس الحديد والاستكثار من الحفظ
حولهما بالسلاح • الوافر العتيد (٢) • وقد لعب ابن الصوفى دورا هاما
في ذلك • الدليل ان يرى كان قد اعتقله من قبل • فعلم ان الصواب
معه في تتبع الباطنية فاطلقه ورده الى الرياسة (٣) • وقد ثبت بذلك
عداوته للمزدعاتى •

وعليه فانا نستطيع القول ان قتل المزدعاتى كان — فى المقام الاول
نتيجة مؤامرات خطيره حاكها حوله سادة دمشق قبل ان يكون نتيجة
تحالفه مع الاسماعيليين • فلولا العداوة التى وزعت بينه وبين كل من
الحاجب يوسف بن فيروز وابن الصوفى لما ارتقى فى احضان الباطنية •
الامر الذى اعطى الاسماعيليين المحدثين الحق فى ان يقتدوا دعوى
تحالف اجدادهم مع الصليبيين ضد دمشق • وحجتهم فى ذلك الاعتداء

(١) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ١٣٠

(٢) ابن القلانص ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٤

Grousset: Hist. des Croisades. Vol. I. P. 661

(٣) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ١٤٣

الذى قام به بلدوين الثانى Baldwin II — طرف الاتفاق
الآخر — على بانياس اثر فشله فى تنفيذ مخططه على دمشق (١) .
فلوان — وذلك رايهم — تحالفا تم بينهما لما كانت النتيجة السيئة
التي حاقت باسماعيليه بانياس بعد (٢) . وان كان ذلك لا يعتبر — فى
رايتا — تبريرا — منطقيا بسبب ان بلدوين الثانى Baldwin II
ما كان يهمه من اتفاقيته مع الاسماعيليين الا القضاء على قوة دمشق
ثم — وليس ذلك ببعيد — بعيد الكرة على اسماعيليتها فيخلص
منهم . اما وانه قد فشل فى الاولى فكان لا يد ان ينتقم لنفسه حتى
ولو من حلفائه . وذلك لكى لا يكون كالذى رجع يخفى حنين . وعموما
فقد استطاعت دمشق التخلص من كان بها من الاسماعيليين وراح الله
الشام منهم (٣) .

لكن ليس معنى ذلك ان الباطنية ظلوا مصدر خطر مستمر
بالنسبة له دمشق . فقد كانوا فى بعض الاحايين عوناً لبني جلدتهم
المسلمين ضد اطماع الفرنج . يدلنا على ذلك اشتراكهم فى الدفاع
عنها — جنباً الى جنب — مع اخوانهم السنيين عندما حاول بلدوين
الثانى ملك بيت المقدس غزوها عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م . (٤) .

-
- (١) Runciman : A Hist or the Geusades. Pol. II. P. 1791180
(٢) مصطفى غالب سنان راشد الدين ص ١٠٦
(٣) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٠٠
(٤) ابن القلانيس ذيل تاريخ دمشق ص ٢١٣ — ٢١٤

لم يترك الاسماعيليون مذبحه دمشق التى قتلوا فيها شـرـ
قتله ذبحا ورضا بالاحجار وبالسيوف^(١) . فضلا عن صلب منهم على
اسرارها — تمردون ان يكون تاج الملوك بروى يشطى نارها او يشرب
من مرفها . وكان على الموت ان تحدد موثقها منه . فبيتوا له امرا .
وما اوسع حيلتهم التى حار فى تحليلها الباحثون . اختاروا من بين
عناصرهم الفداويه رجلين من الخراسانية^(٢) . استطاعا ان ينخرطـا
بحيله عجيبه — وهى البحث عن عمل يرتزان منه فى صفوف المرتبين
لحفظ ركاب بورى^(٣) . ثم بعد ان اصبحا موضع ثقته وثقة من حوله
تربصا به . حتى واثقتهم فرصتهم يوم الخميس لخمس خلون من شهر
جمادى الاخره عام ٥٢٥ هـ السابع من مايو عام ١٣١ م . فانها الاعليه
ضربا احدهما بسيفه والاخر بسكين فى حاضرتـه^(٤) . فلم يكـد بورى يتجـه
لـهما حتى القى بنفسه على لقور عن فرسه ، فادركهما حراسه فاتـسـول
عليهما بسيوفهم فتم القضاء عليهما^(٥) . وبالرغم مما بذل من محاولات
عده لعلاجه فانه مات متأثر بجراحه فى يوم الاثنين الحادى والعشرين
من شهر رجب عام ٥١٦ هـ ٦ يونيو عام ١٣٢ م^(٦) . كما يقال انهم

-
- (١) سبط ابن الجوزى
مرآة الزمان ج ٨ ص ١٣٠
- (٢) د . سعيد عاشور
الحركة الصليبية ج ٢ ص ٥٦٠
- (٣) ابن القلانـس
ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٠
- (٤) Runciman: A Hist. of the The Crusades. Vol. II. P. 174
سبط ابن الجوزى
مرآة الزمان ج ٨ ص ١٤٢
- (٥) ابن الاثير
الكامل ج ١٠ ص ٢٣٩
- (٦) ابن العماد
شذرات الذهب ج ٤ ص ٧٨
- Runciman: A Hist. of the Crusades. Vol. II. P. 196

قتلوا ابنه شمس المملوك فيما بعد في ربيع الآخر عام ٥٢٩ هـ يناير عام
١١٣٥ م^(١) . بوعى من امه . وكان قد كاتب زنكى ليسلم اليه مدينة
دمشق . فخافته الامراء وامه فهيأت من قتله^(٢) . ذلك في الوقت الذى
وجد صاحب النجوم يوضح ان اهل دمشق هم الذين كاتبوا زنكى
بالسير اليهم لسوء سيرته فيهم ومصادرته الناس واخذة موالهم فضلا عن
سفكه الدماء^(٣) .

-
- | | |
|-----------------|--------------------------------|
| (١) ابو الفدا | المختصر ج ٣ ص ٩ |
| (٢) الذهبى | دول الاسلام ج ٢ ص ٥٠ - ٥١ |
| (٣) ابو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٥٥ - ٢٥٦ |

الاسماعيليون والخلافة والعبائيه في بغداد :

ولم يقف نشاط الاسماعيليه عند حد اغتيال الامراء او الوزراء او فقهاء القوم فحسب ، بل تعداد الى اغتيال الخلفاء انفسهم .
فقد اقدموا على اغتيال الخليفة المسترشد بالله في ذى القعدة عام ٥٢٨ هـ اغسطس عام ١١٣٥ (١) . ثم الحقوا ابنه الراشد بالله ففى السابع والعشرين من رمضان عام ٥٣٢ هـ الثامن شهر يونيه ١١٣٨ م (٢) .

وترجع اسباب مقتل الخليفه المسترشد بالله الى العداوة — المستحكمة بينه بين الإسماعيليين بسبب موقفه منهم . ذلك انه كان قد نعى لعلم بغداد في شعبان عام ٥١٨ هـ / سبتمبر ١١٢٤ م .
ان فئة من الباطنية وصلوا من خراسان ودمشق وقد ندبوا لقتل اعيان الدولة من الوزراء الفقهاء وغيرهم فانكشف امرهم فصلب البعض وغرق البعض (٣) .

ونعتقد انه كان لهم انصار في بغداد . فقد غمز على ابن ايسوب

- (١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٣ ص ٥٧٢
- (٢) ابن الاثير التاريخ الباهر ص ٥٣ — ٥٤
- (٣) ذكر الأربلى في خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٧٤ — ٢٧٥ ان الراشد بالله لما عارض في خلعه من الخلافة واطهر التمسك ببيعه الناس له والمطالبه بموجبها . استمر بعد ذلك في الموصل حتى رجب عام ٥٣١ هـ مارس عام ١١٣٧ م . ثم خرج منها الى كابل فقصد مراغه حيث زاره براهيه المسترشد بالله . ثم سار بعد ذلك الى اصفهان حيث اقام بها بعض الوقت . فمرض هناك فمات في السابع من رمضان عام ٥٣٢ هـ .

(٣) ابن الجوزى المنتظم ج ٩ ص ٢٥٠

قاضى عكبر • فنبهت دارة فوجد فيها اجره منهم "١" وينتهى الامر بالانتقام من الخليفة • وذلك بتعاون الاسماعيلية مع كل من السلطانين سنجر ومسعود فيفتكون به (٢) • وقد كان اتهم كل من سنجر ومسعود في هذه الجريمة واضحا ومحققا (٣)

ويلاحظ رغم ذلك ان الاسماعيليين لم يقفوا جامدين حيال الخلافة العباسية طوال قيامهم بالموت • وانما حدث تقارب كان له الاثر البالغ في قيام تخالف عسكرى فيما بينهما استطاع ان يحقق انتصارا كبيرا على بعض المنشقين عليها •

وكانت البداية عندما فوجئت بغداد عام ٦٠٨ هـ / ٢١٢ م برسول يأتي من طرف شيخ الجبل جلال الدين حسن صاحب الالموت — الذي لقب فيما بعد بالمسلم الجديد (٤) • يحمل الى الخليفة الناصر

-
- | | |
|--------------------|--|
| (١) سبط ابن الجوزى | المرآة ج ٨ ص ١١٣ |
| (٢) الاربلى | خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٢٣ |
| (٣) الذهبى | دول الاسلام ج ٢ ص ٥٠ |
| | Huart: Hist. des Arabes, Tome III.P. 354 |
| (٤) براون | تاريخ الادب في ايران ج ٢ ص ٥٧٨ |
| د. طه شرف | النزاريه ص ٢٢٣ |
| | Sykes: A Hist of Persia. Vol. II.P.182 |

لدين الله ان مقدمتهم جلال الدين اظهر الانتقال من فعل المحرمات واستحلالها وامر باقامة الصلاة والشرايع الاسلامية ببلادهم من خراسان والشام^(١) . كما انهم تبرأوا من الباطنية وبنوا المساجد والجوامع وقد اقيمت الجمعة والجماعات عندهم وصاموا رمضان^(٢) . فضلا عن ذلك فانهم التزموا بهذهب الشافعي رحمه الله^(٣) . وقد كان لذلك النبأ اعظم الاثر واسعده في نفس الخليفة والناس الامر الذي شجع جلال الدين على ان يبعث بوالدته للحج فاكملت ببغداد اكراما عظيما وكذلك بطريق مكة^(٤) .

والواقع ان ذلك كان من العوامل التي قاربت بين الاسماعيليين والعباسيين " فارسل الخليفة الناصر لدين الله الى جلال الدين يطلب اليه مساعدة اوزيك في حربه ضد منكل واستقرت بينهم القاعدة على ان يكون للخليفة بعض البلاد ولاوزيك بعضها ويعطى جلال الدين بعضها وترتب على انتصارهم ان اوفى الخليفة بعهده .

الكامل ج ١٢ ص ١١٥

مرآة الزمان ج ٨ ص ٥٥٥

الكامل ج ١٢ ص ١١٥

الكامل ج ١٢ ص ١١٥

المختصر ج ٣ ص ١٢٠

(١) ابن الاثير

(٢) سبط ابن الجوزي

(٣) ابن واصل

(٤) ابن الاثير

ابو الفدا

فاعطى جلال الدين ملك الاسماعيلية من البلاد ما كان قد
اتفق عليه في الحلف المشترك •

لكن هذا لا يمنع من اتهامهم بافساد عقائد المسلمين زمانا
غير قصير فضلا عن فتكهم بكثير من العلماء والوزراء والصالحين • الامر
الذى جعل الكثيرين من مختلف طوائف القوم غير متفقين معهم في الراى
ولا راضين عن سلوكهم •

(١) ابن الاثير

(٢) الافغانى

الكامل ج ١٢ ص ١١٨

الرد على الدهرين ص ٤٠

” الفصل الثالث ”

”الفصل الثالث”

الاسماعيلية والقوى الصليبية فى بلاد الشام
فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر

بلاد الشام بين غزوين • الاسماعيلي من الشرق والصليبي من الغرب
التوسع الصليبي فى بلاد الشام • موقف الاسماعيلية من الخطر الصليبي •
عوامل التحالف بين الاسماعيلية والصليبيين • الخلافة العباسية والخطر الصليبي
فى الشام • الترحيب بالغزو الصليبي فى بلاد الشام ومناقشه حول اسباب
ذلك • فتح بيت المقدس وموقف الاسماعيلية من ذلك • الحملات الاسماعيلية
على بلاد الشام وفشلها • استيلاء الصليبيين على مدن الشام الساحلية ودور
الاسماعيلية فى ذلك • حصن بانياس واهمية سقوطه فى يد الصليبيين • شيخ
الباطنية على بن وفاء وتحالفه مع ريموند بواتيه ضد نور الدين • نور الدين
وفتح مصر • الصراع النورى الاسماعيلي الصليبي حول مصر • تحالف راشد
الدين سنان وعمورى ضد نور الدين • اغتيال رسل المفاوضات الاسماعيلية
الصليبية على مشارف طرابلس • اتهام راشد الدين سنان بقبول اعتناق المسيحية
ورأى الاغتيالات • اغتيال ريموند الثانى أمير طرابلس • اغتيال كونراد مونفرات^١
ومناقشه ورأى حول ذلك • صلح الرملة وخضوع الاسماعيلية لصالح الديين
الاسماعيلية والاستتار به • الاسماعيلية بعد سنان وعلاقاتهم بالصليبيين اغتيال
ريموند الابن الاكبر ليوهمند الرابع واثره • العلاقات الاسماعيلية الايوبية ضد
الصليبيين • اغتيال البرت بطريرك بيت المقدس • موقف البابوية من الاسماعيلية
نتيجة لذلك •

شاء القدر أن تتعرض بلاد الشام مع نهاية القرن الرابع الهجرى —
 الحادى عشر الميلادى — لغزوين خطيرين • تضافر كل منهما مع الاخر
 احيانا بطريق مباشر أو غير مباشر للفتك بالمجتمع الاسلامى فى المنطقة أو —
 اختلافنا احيانا اخرى ليفتك كل منهما بالآخر • هذا مع اختلافهما من حيث
 الدين والجنس والعقيدة • فاذا كانت الفروسية الاوربية قد تمثلت بكل معانيها
 فى الغزو الصليبي ، فان التسلسل الاسماعيلى كان غزوا سياسيا مذهبيا
 اجتماعيا من الدرجة الاولى •

فمن الموت خرجت جموع الدعاة والفداوية لتؤسس فى بلاد الشام دولة
 اسماعيلية أو شبه دولة يهابها الكبير والصغير ويحسب لها قبل التعامل معها
 الف حساب • ومن أواسط أوروبا خرجت جحافل الصليبيين لتؤسس هى الاخرى
 فى نفس البلاد وفى نفس الوقت امارات او ممالك لاتينية صليبية يهابها الكبير
 والصغير أيضا ويحسب لها قبل التعامل معها الف حساب وحساب (١) •

فأما الاسماعيلية ، فقد كان لضعف السلطة السلجوقية الحاكمة فى
 بلاد فارس وبلاد الشام وتناحرها فيما بينها على كراسى الحكم — خاصة بعد
 عهد ملكشاه — أكبر العوامل الرئيسية التى ساعدتهم على رسوخ اقدامهم
 وبت مبادئهم بسرعة لم يشدها التاريخ من قبل • فأستطاعوا بحكمة وروية
 أو بخدعة وورشة التغلغل فى صفوف السلاجقة بصورة أوقعت فيما بينهم الخلاف
 أكثر وأكثر (٢) • وعمقت لعوامل الانهيار السياسى والاجتماعى والاقتصادى •

(١) د • سعيد طشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٥

(٢) البندارى — تاريخ آل سلجوق ص ٧ ، ٩١

Sykes: A Hist . of Persia. vol. II. P.115

الامر الذى كان له أسوأ الاثر فى انهيار الجبهة السلجوقية فى آسيا الصغرى وفى بلاد الشام أمام الغزو الصليبي الضارى^(١) . ذلك بعد أن " كانوا قبل عروض الرهن لعقائد المسلمين وطرخوا الفساد على أخلاقهم فى قلق لا يستقر لهم أمن على حياتهم وهم فى بلادهم خوفاً من عادية المسلمين^(٢) . وقد احتل^(٣) الاسماعيليون منطقة جبل السماق غرب حلب ، وامتدت قلاعهم حتى اقليم طرابلس

أما عن الصليبيين فقد كان لضعف الجبهة الاسلامية نفسها وتفككها أسرا الاثر أيضا فى استقبال ذلك الغزو دون مقاومة أو بمقاومة لاتذكر بـل وفى الترحيب به أحيانا ليكون عوناً على القضاء على بعض الحكام المسلمين لصالح البعض الآخر^(٤) . وظلت المنطقة العربية تروح تحت نير الاستعمار الصليبي الاوربي ردحا من الزمن يقارب المائتى عام أو يزيد حتى هيا الله سبحانه للمسلمين من يجمع شملهم ويوحد كلمتهم ليتفخوا على قلب رجل واحد فيطيحون بذلك الخطر الجاثم على صدر الامة الى أعماق البحر الى ماغير رجعة^(٥) .

(١) Sykes: A Hist. of Persia. Vol. II.P.115

(٢) الافغانى الرد على الدهريين ص ٤٢ — ٤٣

(٣) Le Strange: Palestine under Moslems . P. 81

(٤) سيدىو تاريخ العرب العام ص ٢٢٥

Grousset: Hist. des croisés. Vol. I.P.125

(٥) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٨٣ — ١١٨٤

ولتعود قلاع العروة من جديد مراكز يشع منها نور الحضارة الاسلاميه وتزفر
عليها اعلام النصر •

وكان لتفاهم كل من الامبراطور ميخائيل السابع
والبابا جريجورى السابع على غزو الارض العربية الاسلامية
فى بلاد الشام أثره فى خروج الحملة الصليبيه الاولى التى مهدت لبعث
حملات صليبيه اخرى بلغت ثمان حملات (١) •

هذا ••••• وكان بيت المقدس أملا يراود خيال اباطره القسطنطينية
منذ خرجت اليه لأول مرة ٧١٠ بمراطوره هيلينا أم قسطنطين للحج عام ٣٢٨م—
وزعمت انها اكتشفت الصليب الحقيقى • مما دعاها الى اقامة جدار حول
ماصورته بالقبر المقدس بالقرب من كنيسة القيامة ومنذئذ عرفت وحملات الحج
المسيحية طريقها الى بيت المقدس (٢) •

هذا الى أن يلبوات الكنيسة الغربية طالما تافحت نفوسهم الى ضم
الكنيسة الشرقية تحت حوزتهم لتوحيد كلمة المسيحية فى الشرق والغرب (٣)
وكان ذلك فى الوقت الذى أخذ الضعف يدب فى صفوف المسلمين فى بلاد—
الشام • الامر الذى كان له أسوأ الاثر على الكيان الاسلامى فى تلك المنطقة
ومما ساعد بطريق مباشر على نجاح الصليبيين فى التغلغل فى تلك البلاد وعلى
اقامة كيان لانفسهم استمر قائما فوق الارض العربية زهاء قرنين او يزيد وذلك
على الرغم من الجهود الجبارة التى بذلها سلاجقة الروم والشام لوقف تيار
الغزو الصليبي (٤) •

(١) د • سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١٥٢

(٢) التقريرى الخطط ج ١ ص ٢٦٦

Sykes: A Hist. of Persia . vol. II. P. 113

وباستيلاء الصليبيين على انطاكية عام ٩١١ هـ (١٠٩٧ م) حدث تغيير خطير في موازين القوى في شمال بلاد الشام^(١) مما شجع الصليبيين على الاتجاه فورا نحو للجنوب لاستكمال فتوحاتهم على حساب الدولة الاسلامية النفكة^(٢).

هذا مع ما سبق الاشارة اليه من أن بلاد الشام كانت ميدانا للصراع السني الشيعي ، أو بمعنى أوضح بين الخلافتين العباسية في بغداد وغريمتها الاسماعيلية في القاهرة .

كذلك أدى تقاعس الخلافة الاسماعيلية في مصر عن نصره مسلمي الشام لجهل قادتها باهداف الحركة الصليبية^(٣) الى استفحال الخطر الصليبي حتى أصبح الصليبيون وقد هددوا الخلافة الفاطمية الاسماعيلية نفسها ، بل واقتطعوا منها اهم ممتلكاتها في بلاد الشام^(٤) .

-
- (١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ١١٥٢
 - (٢) ابن القلائس ذيل التاريخ دمشق ص ١٣٤ — ١٣٥
 - (٣) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٥٥
 - King: The Knights Hospitallers. P.15
 - (٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج
 - (٤) ابن ميسر تاريخ مصر ج ٢ ص ٣٨
 - Grausset: Hist. des croisades Vol. I. P. 3
 - Sykes: A Hist. of Persia . Vol . II. P. 113-116
 - (٥) د . سعيد عاشور شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية ص ١٩
 - (٦) أبو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٧ — ١٤٨

ومما يؤخذ على الاسماعيليين في مصر وعلى عهد الافضل شاهنشاه والخليفة المستعلى اسراهم للتحالف مع الصليبيين ضد بني جلدتهم من المسلمين السنيين^(١) . وكان سبب ذلك هو تطلع السلجوق لامتلاك مصر بعد استيلائهم على بلاد الشام وبيت المقدس . فلما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلائها على بلاد الشام الى غزه ولم يبق بينهم وبين مصر ولايسة اخرى تمنعهم ودخول الاقسيس الى مصر وحصرها فخافوا وأرسلوا الى الفرنج يدعونهم الى الخروج الى الشام ليملكوه ويكون بينهم وبين المسلمين^(٢) فتبذلت المراسلات أوائل عام ٤٩١ هـ عام ١٠٩٨ م بين الافضل وزير المستعلى في مصر وبين الصليبيين على انطاكيه من ناحية وبينهم وبين الامبراطور البيزنطى الكسيوسى كومنين Alex Comnenus من ناحية اخرى^(٣) . وذلك على أساس أن الافضل يسمح لعدد من المسيحيين غير المسلحين لا يتجاوز الثلاثة آلاف حاج بزيارة بيت المقدس كل عام . الا أن عرضه هذا قوبل من جانب الصليبيين بالسخرية وعدم الاهتمام^(٤) .

- | | | |
|-----|----------------|---|
| (١) | ابن القلانيس | ذيل تاريخ دمشق ص ٤٥ |
| | ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٠١ |
| (٢) | ابن الاثير | Grousset: Hist des croisades. Vol. I. P. L83-84
الكامل ج ١٠ ص ٩٤ |
| (٣) | د . سعيد عاشور | شخصية الدولة الفاطمية
في الحركة الصليبية ص ٢٠ |
| (٤) | د . سعيد عاشور | شخصية الدولة الفاطمية في
الحركة الصليبية ص ٢٣ |

وكان ذلك في نفس الوقت الذي تحركت الخلافة العباسية في بغداد بعض التحركات التي لم تنم عن اهتمام عميق بالحركة الصليبية واطارها المرتقبه . وعلى سبيل المثال استنجد الخليفة المستظهر العباسي بالسلطان بركيارق على أثر رسالة كل من دقاق صاحب دمشق ورضوان صاحب حلب . فبعث الخليفة أبا نصر بن الموصلايا الى السلطان بركيارق " مستنفرًا على الفرنج برسالة من الديوان ^(١) . وقد حدث كل ذلك وعساكر الاسماعيلية في مصر " لم تهيأ للخروج ^(٢) .

ونج عن هذا التقاعس من جانب القوى الاسلامية وتفككها ان نجح الصليبيون في الزحف جنوبا حتى استولوا على بيت المقدس عام ١٠٩٢ هـ عام ١٠٩٩ م ليقيموا فيها مملكة صليبية كبيرة سيطرت على معظم موانئ " فلسطين وشواطئها ^(٣) . كما استولوا على طرابلس عام ٥٠٣ هـ / ١٠٩٩ م ليقيموا فيها امارة صليبية كبرى ^(٤) . الى جانب امارة انطاكية في شمال الشام وامارة الرها في اقليم الجزيرة . ولا شك في أن استيلاء الصليبيين على بيت المقدس ألقي الضوء على اهدافهم ^(٥) . فتعين على الدولة الاسماعيلية في مصر أن تحدد موقفها من الغزو الذي ساندته من قبل ظنل منها انه انما جاء ليستخلص شمال

- | | | |
|-----|----------------|---------------------------------|
| (١) | ابن الجوزي | المنتظم ج ٩ ص ١٠٥ |
| (٢) | ابو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٨ |
| (٣) | د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٤١ |
| (٤) | د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٣٧٠-٣٧٢ |
| (٥) | د . سعيد عاشور | شخصية الدولة الفاطمية ص ٢٢ - ٢٤ |

الشام والجزيرة واسيا الصغرى من أيدي السلاجقة ، تاركا لها القلاع سب
بمقادير الأمور في جنوبه . فلم يدر في خلد الأفضل حينما بعث برسائله إلى
الصلبيين على أنطاكية أو الكسيوس كومنين في القسطنطينية أو حينما فتح
أبواب القاهرة على مصراعيها ليستقبل رسلهم ، أنهم انما جاءوا ليضربوا —
المسلمين جميعا من سنة وشيعة ويتغلغلوا في صميم بلاد الشام حتى حدود
مصر (١) .

وقد دار الحديث فعلا بين القادة الصليبيين حول غزو مصر قبل
فتح بيت المقدس لولا اختلافهم في الرأي (٢) .

وعليه فقد بدأ الاحتكاك بين الاسماعيليين في مصر والصلبيين في
فلسطين وفي بلاد الشام . وذلك بعد أن خاب أمل الأفضل أو بمعنى آخر
اسماعيلية مصر في تحالفهم مع الصليبيين ضد السلاجقة والعباسيين من أهل
السنة (٣) .

وكان على القاهرة وهي صاحبة الامر في بيت المقدس عندئذ أن تغير
من سياستها إزاء الغزو الصليبي . فحشد الأفضل جيشا مصريا كبيرا واتجه
به إلى عسقلان . لكنه حسب تغيير ابن القلانص كان " قد فات الامر " (٤) ومن
عسقلان التي وصلها في الرابع عشر من رمضان عام ٤٩٢ هـ ٤ من أغسطس عام
١٠٩٩ م (٥) . أرسل يعاتب الفرنج وينكر عليهم اخلاصهم بما اتفقوا عليه طالبا

(١) د . سعيد عاشور مصر في العصور الوسطى ص ٢٨٣

(٢) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٤٠

(٣) Grausset: Hist des croisades. Vol. I. P. 146

(٤) ابن القلانص ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٧

(٥) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١٩

اليهم سرعة الرحيل من الأملاك المصرية في فلسطين (١) . ولكن هل في ذلك جدوى بعد ان تحقق لهم أعز ما كانت توفروا اليه البابوية في بلاد الشرق الاسلامي وهو امتلاك بيت المقدس . لا جدال في أن الرد سيكون حربا ضاربة ستحدد الموقف وتزيد من وضوح الرؤيا " فأعادوا الرسول بجواب مجمل ورحلوا في اثره فكبسوا المصريين " (٢)

ثم من ناحية اخرى كان على جودفري Godfrey صاحب الامر في بيت المقدس ان يتخذ من الوسائل مايكفل له رصد أى هجوم قد يقع من جانب مصر . وساعده الحظ بوقوع بصرية استطالعه مصرية في رمضان عام ٤٩٢ هـ — اغسطس عام ١٠٩٩ م في قبضه حامية المدينة الصليبية . فأصلت أمام التعذيب القاسي بكل معلوماتها عن تحركات جيش الافضل (٣) . مما زاد الطينه بلمه .

وعلى ذلك فانه تعين على جودفري أن يتخذ موقفا حاسما ازاء ذلك كله فيتجهز على الفور القيادة جيشه الى السهل الساحلى . كما انه ارسل الى تنكرد Tancred ويوستاسى Eustace يطلب اليهما التوجه على وجه السرعة الى ناحية عسقلان لاستطلاع اخبار جيش مصر وللوقوف على مدى امكانياته واستعداداته الحربية (٤) . كذلك لرصد تحركاته أولا باول . ذلك في

- (١) المقرئى اتعاظ الحنقا ج ٣ ص ٢٤
Runciman: A Hist of The crusades Vol. I.P. 295
(٢) الذهبى دول الاسلام ج ٢ ص ٢١
(٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٥٤ — ٢٥٥
(٤) Runciman: A Hist of the crusades Vol. I.P. 295

نفس الوقت الذي كان الأفضل يتروقب وصول اسطول مصر ليمنه بما لزم الحرب^(١)
 الآن جود فرى Godfrey كان اسرع مما جرى في استعدادات الجيش
 المصرى في عسقلان^(٢) . فخرج من بيت المقدس بجيش لا يقل ضرارة عن جيش
 مصر الاسماعيلية بل يزيد . وقد صاحبه البطريك أرنولف Arnulf فزحف
 مباشرة الى سهل أسدود ، ثم لينفذ الى سهل المجدل شمال عسقلان صبيحة
 الثانى والعشرين من رمضان عام ٤٩٣ هـ الثانى عشر من أغسطس عام ١٠٩٩ م
 حيث عسكر الأفضل^(٣) . ووقعت المفاجأة التى لم يكن يحسبها أحد . لتكمل
 المفاجأة الكبرى التى أخفاها الصليبيون^(٤) ان " هجم الصليبيون عليه بجيش
 عظيم^(٥) فحاققت الهزيمة بجيش مصر فارتد الى عسقلان^(٦) وضدئذ تبعهم
 الصليبيون ليضعوا فيهم السيف . فأتى القتل على الراجل والمطوعة واهل
 البلد^(٧) ثم اضرمو النار فيمن تسلق منهم الاشجار حول المدينة فاشتعلت
 الاشجار بين عليها . فقرر الأفضل العودة الى مصر^(٨) . وقد ترك عسقلان فى
 يد المقادير ليتلاعب بها الصليبيون . وليفرضوا على أهلها اتانوة تبلغ نحو
 عشرين الف دينار (تحمل اليهم " ^(٩)

- | | | |
|-----|-----------------|---|
| (١) | سبط أبين الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٠٥ |
| (٢) | د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٥٦ |
| (٣) | ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٩٩ |
| | | Runciman : A Hist. of the crusades. Vol. I.P. 296 |
| (٤) | د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٥٦ |
| (٥) | ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٩٩ |
| (٦) | ابو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٥٠ |
| (٧) | ابن القلانيس | ذيل التاريخ دمشق ص ١٣٧ |
| (٨) | د . سعيد عاشور | شخصية ال ولة الفاطمية ص ٢٥ |
| (٩) | ابن القلانيس | ذيل التاريخ دمشق ص ١٣٧ |

وقد حدثت معجزة انقذت المدينة من الوقوع في أيدي الصليبيين حيث كان في إمكانهم امتلاكها بكل سهولة بعد أن استسلم أهلها ولكنها افلتت من أيديهم بسبب خلاف وقع بين كل من جود فرى وريموند الصنجيل فوقف كل منهما للاخرا بالمرصاد منذ بدء المسيرة الى بيت المقدس. فوقف ريموند بطريق غير مباشر مع أهل عسقلان وحرصهم على مقاومة جيش جود فرى مفضلاً أن تبقى عسقلان في أيدي المسلمين^(١). كذلك فعل نفس الشيء مع أهل ارسوف فيما بعد^(٢).

ولم يسكت الاسماعيليون في مصر على هذه الهزيمة كما أنه صار عليهم تحديد موقعهم ازاء استيلاء الصليبيين على بيت المقدس. خاصة أنه قامت في الشمال في دمشق وحلب بحركة واسعة قادها العلماء وأهل الدين متجهة الى بغداد تطالب بالثار لما حل بالمسلمين في بيت المقدس^(٣).

على أنه يبدو أن هذه الحركة لم تؤت أكلها. فقد "ورد المستنفرون من بلاد الشام وأخبروا بما جرى على المسلمين". وقام القاضي أبو سعيد الهروي قاضي دمشق في الديوان وأورد كلاماً أبكى الحاضرين وندب من الديوان من يمشي الى العسكر ويعرفهم حال هذه المصيبة ثم وقع التقاعد^(٤) وفي ذلك بطبيعة الحال زعزعة لمركز الدولة صاحبة الهيمنة على تلك المدينة المقدسة.

- | | | |
|-----|---------------|---------------------------|
| (١) | د. سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٥٧ |
| (٢) | د. سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٥٨ |
| (٣) | أبو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٥٠ |
| (٤) | ابن الجوزي | المنتظم ج ٩ ص ١٠٨ |
| | أبو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٥٠ |

وهكذا صار لابد للافضل من أن يبادر بعمل حاسم حتى يبعد نفوذ الخلافة العباسية السنية في بغداد اذا ما فكرت — جد لا — في القيام بعمل ما للتدخل في شئون بلاد الشام تحت ستار انقاذ تلك البلاد من الخطر الصليبي .

وحدث ذلك في الوقت الذي كان انفتاح الاسماعيليين على بلاد الشرق منذ حملة جعفر بن فلاح على بلاد الشام عام ٣٦٠ هـ (٩٧٠ م) • مركزا في المقام الاول على امتلاك الاماكن المقدسة كالحرمين الشريفين في مكة والمدينة وبيت المقدس في فلسطين حتى يجذبوا اليهم أنظار العالم الاسلامي وقتذاك وحتى يستمدوا منه العون والقوة ضد اعدائهم العباسيين وليظهروا بمظهر حماة العالم الاسلامي • هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى كي يسدوا الطريق امام المد الصليبي المتجه جنوبا بكل سرعة •

ولذلك كان استيلاء الافضل على بيت المقدس من أيدي الارائقة في شعبان عام ٤٩١ هـ (يوليو ١٠٩٧ م) في زحمة الحروب الصليبية المستعمره نارها في الشمال وفي لحظة انشغال السلاجقة بمواجهة الغزو الصليبي المفاجئ لاراضيهم ^(٢) • وقد ظن الافضل انه كسب بذلك صيدا ثمينا • ولم يكن يعتقد انه مهد بذلك لاستيلاء الصليبيين على المدينة المقدسة التي كانت تشكل هدفهم الاساسي منذ خروجهم من الغرب الاوربي •

والواقع انه اذا كان الحظ قد خان الافضل في انه لم يوفق في استعادة بيت المقدس الى حظيرة الاسماعيليين بعد ان ملكه الصليبيون ، فاننا لاننكر أن عهده — رغم اتهمته بالتقصير — كان عهد نضال جاد وصراع شديد ضد

- | | |
|-------------------|----------------------------|
| (١) الذهبي | دول الاسلام ج ١ ص ٢٢٢ |
| (٢) د • سعيد طشور | شخصية الدولة الفاطمية ص ٢٢ |

القوى الصليبية في بلاد الشام^(١) . ذلك انه لم ييخل بنفسه أو بولده فسى
سبيل صد ذلك الغزو الضارى ما أمكنه ذلك . ولكن الذى يؤخذ عليه فعلا
هو ترحيبه فى بلادى الامر بأولئك الذين أخفوا غيبتهم وأهداهم عن حكام
المنطقه . وذلك عكس ما صار بعد عهد الافضل وابن الواخشى وابن السار من
تقاعس أولئك الذين تولوا الامر بعده^(٢) فشغلهم مباهج القاهرة وطيب
ريحها عن الجهاد فى سبيل الله والدين والوطن . فراحوا ينشغلون باهوائهم
أو بالحفاظ على مكاسبهم أو بالتطلع الى مناصب أعلى داخل البلاط الاسماعيلى
وتركوا ما بقى لهم من مدن الشام طعمة يتلقها الصليبيون المدينه تلوا لآخرى^(٣)

ومهما يكن من أمر فقد حدد سقوط بيت المقدس فى يد جود فرى أول
حكام بيت المقدس الصليبيين الخطوط العريضة فى سياسة الصليبيين ضد
حلفائهم الاسماعيليين . لذلك جهز الافضل جيشا بقيادة سعد الدوله
الطواشى الذى أخذ من عسقلان قاعدة لتحركاته العسكرية^(٤) . وبعد انتظار
طويل لوصول الامدادات المصرية تحركت جيوشه لتلتقى بجيوش الملك بلدوين
الاول ملك بيت المقدس الصليبي (١١٠٠ — ١١١٨ م) فى ذى الحجة عام
٤٩٤ هـ (سبتمبر ١٠١١ م) فى سهل يقع جنوب مدينة الرملة^(٥) . ولما تخلف
الملك الصليبي بلدوين الاول^(٦) ، أيضا عنصر المفاجأة للجيش المصرى حيث
كان قد وصلت أخبارهم ، ان انتصر عليهم وشتت شملهم مع استشهاده قائد هم

- | | | |
|-----|--|--|
| (١) | د . سعيد عاشور | شخصية الدولة الفاطمية ص ١٩ |
| (٢) | د . سعيد عاشور | شخصية الدولة الفاطمية ص ٤٦ — ٤٧ |
| (٣) | ابن الاثير
المقرئزى
سيد امير على | الكامل ج ١١ ص ١٢٤
اتعاظ الحنفية ج ٣ ص ٢٠٤ — ٢٠٥
مختصر تاريخ العرب ص ٤٩٦ — ٤٩٧
تاريخ العرب العام ص ٢٢٦
اتعاظ الحنفية ج ٢ ص ٢٦ |
| (٤) | سيد يو
المقرئزى | الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٩٤ — ٢٩٥ |
| (٥) | د . سعيد عاشور | هذا هو أول من تلقب بملك بيت المقدس |
| (٦) | ويلدوين | |
- حيث تسلمها فى صفر عام ٤٩٥ هـ نوفمبر عام ١١٠١ م اثر وفاة اخيه
جود فرى د . حسين مؤنس : نور الدين ١١٠

سعد الدولة الطواشي^(١) . وقد حدث ذلك بعد انتصار حاسم سابق على تلك المعركة يقال أن جود فرى قتل فيه بسبب " سهم اصابه فقتله " ^(٢) الا أن الثابت أنه مات متأثر ليعرض ألم به أثناء المعركة ^(٣) .

وهكذا تعين على الافضل أن يجدد العزم على مقاتلة الفرنج أشر هزيمة جيشه الثاني . والا فعليه أن يتحمل طار الهزيمة . فبعث بجيش ثالث بقيادة ابنه شرف المعالي في رجب عام ٤٩٥ هـ مايو عام ١١٠٢ م الى فلسطين حيث أخذ شرف المعالي هذه المرة عنصر المفاجاه . فوقع بجيش الملك الصليبي بلدوين الاول هزيمة ساحقة على الرملة . الامر الذي نجم عنه تشتت شل الجيش الصليبي وهروب بلدوين نفسه من ميدان المعركة حيث استقبل في أرسوف ثم في يافا استقبالا حافلا فرحا بنجاته ^(٤) . وهناك في تلك المدينة التي رحبت به بعيدا عن عيون الجيش المصري استطاع مع من تجمع حوله مسن الصليبيين وما وصله من امدادات مختلفة استطاع برغم تفوق الجيش المصري من حيث العدد والعدة أن يعيد الكرة على الجيش المصري ^(٥) . فهاقت الهزيمة بعسكر شرف المعالي كما أخذ يتبعه الى عسقلان ^(٦) .

(١) ابن القلانسي . ذيل تاريخ دمشق ص ١٤ وقد ذكره تحت

اسم القوامسي

الكامل ج ١٠ ص ١٢٧

دول الاسلام ج ٢ ص ٢٤

(٢) Runciman : A Hist. of the crusades Vol. I. P. ٣١٣-٣١٤

الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٢٧-٢٢٨

ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٩

تاريخ مصر ج ٢ ص ٤١

اتعاظ الحنف ج ٣ ص ٣٢

(٢) ابن الاثير

(٣) الذهبي

(٥) د . سعيد عاشور

(٦) ابن القلانسي

ابن ميسر

المقريزي

ومما يؤسف له ان النواحي المذهبية لعبت دورا هاما فسي
هزيمة جيش مصر الاسماعيلي في تلك الجولة . ذلك ان الافضل
اراد ان يمد يده طالبا نجده دقاق صاحب دمشق ليكون حليفة
ضد اولئك المعتقدين (١) . ولكن صاحب دمشق السننابي ان ،
يؤاخذ الافضل الاسماعيلي . " فاعتذر عن ذلك (٢) . ونعتقد ان ،
سلوكه هذا كان ردا على موقف مصر العدائي منهم حينما رحب —
قاداتها بالصليبيين علو انطاكيه من قبل . او بسبب ما كان بين حكام
دمشق وحكام مصر من الخلافات المذهبية (٣) .

والواقع لم يكن ذلك الموقف وحده من اسباب الهزيمة
فحسب ، بل هناك سبب اخر اخطر من ذلك كله هو " اختلاف قادة ،
الجيش في مقصدهم (٤) . وهو الخلاف الذي دب بين كل من تاج
العجم قائد الجيش والقاضي ابن قادوس (٥) . الامر الذي ادى الى
تفكك القوى الاسماعيلية على يافا (٦) . فحقت الهزيمة بهم (٧) .

(١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٩٩

(٢) ابن ميسر تاريخ مصر ج ٢ ص ٤١

(٣) د . سعيد عاشور شخصية الدولة الفاطمية ص ٢٨

(٤) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١٢٢

(٥) المفريزي اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٣

(٦) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١٢٢

(٧) ابن القلانسي ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٩

ولم يتقاعس الافضل — رغم تلك الهزائم المتلاحقة —
 فبادر مرة اخرى الى ارسال بانه سناء الملك حسين في ذى الحجة
 عام ٤٩٨ هـ اغسطس عام ١١٠٥ على راس حملة رابعة (١) . وقد
 مد يده هذه المرة الى طغتكين اتابك دمشق — الذى تولى
 امرها اثر موت صاحبها دقاق صاحبها دقاق في رمضان عام ٤٩٧ هـ يونيو
 عام ١٠٤ م. (٢) . للمعاونة على حرب الفرنج (٣) . فما كان من
 طغتكين الا ان استجاب لدعوته الى الجهاد فارسل اليهم قائده
 واصيد صبا ويوافقه الف وثلاثمائة فارس . ذلك في الوقت الذى
 فيه الجيش المصرى نحو خمسة الاف مقاتل (٤) . فالتقى الجيشان
 مع جيش الملك الصليبنى بلدوين الاول البالغ عدده حوالى الف
 وثلاثمائة فارس وكذا ثمانية الاف راجل . فوقع المصاف بينهما على
 عسقلان يومى ١٠ ، ١١ من ذى الحجة عام ٤٩٨ هـ ٢٣ ، ٢٤
 اغسطس عام ١١٠٥ (٥) . فلم تظهر احدى الطائفتين على الاخرى
 (٦)

-
- (١) د . سعيد عاشور شخصية الدولة الفاطمية ص ٣٠
 (٢) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ١٥٠
 Grousset: Hist des croisades Vol. I. P. 242
 (٣) المقرئى اتعاط الحنفا ج ٣ ص ٣٥
 (٤) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٤ — ٥
 Grousset: Hist des croisades Vol. I. P. 244
 (٥) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١٣٧ — ١٣٨
 Grousset: Hist des croisades Vol. I/P. 243
 (٦) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١٣٨ .

وقد قتل من الفريقين عدد من غير قليل قدره الذهبي باكثر من الفين ، حيث " قتل من كل منهما ازيد من الف (١) . وكان على رأس شهداء المسلمين جمال الملك امير عسقلان . وابتداء المعركة على هذا الشكل رجع كل من شاء الملك بن الافصل الى القاهرة واصبى صبا والى دمشق (٢) .

لا شك ان هزائم عسقلان هذه اكدت من غير جدال امتلاك الصليبيين لبيت المقدس من ناحية ، ومن ناحية اخرى فتحت امامهم الطريق على مصرعيه ليتملكوا الكثير او البقية الباقية من بلاد الشام وما حوله (٣) . وعليه فقد ان الاوان للقوى الاسلامية في المنطقة ان تحدد موقعها من ذلك الخطر الداهم .

واذا اشتعرضنا ما استولى عليه الفرنج من بلاد الشام . نجد هم قد ملكوا اقليما كساحلا مع البحر الشامي (٤) . اي الابيض المتوسط .

-
- (١) الذهبي
دول الاسلام ج ٢ ص ٢٨
(٢) المقرئى
اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٥
Grousset : Hist des croisades . Vol I.P. 243-246
(٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٥٧
(٤) ابن فضل الله العمري التعريف ص ١٧٣

يشتمل ذلك الاقليم على سبيل ساحلى وعلى تتارفيه بعض الاراضى الصالحة للزراعة . ويقع فيه بعض موانئ البلاد الاسلاميه مثل اللاذقيه وطرابلس وبيروت وصيدا وثور وعكا والتي كانت على مدى عمر التاريخ معبرا للتجارة الشرقية الى الغرب^(١) . هذا فضلا عما كانت تصدره من مختلف المصنوعات المحلية التى اشتهرت بها بلاد الشرق . كانت كل تلك الاراضى باستثناء الرها تلاصق البحر المتوسط وترتكز فى اتصالها باوربا على المواصلات البحرية^(٢) .

ولما كانت كل تلك الاراضى فى متناول القوى الاسلاميه . فقد تعيين على الغزاه الجدد ان يقيموا الامرات الصليبيه المختلفه . بل^(٣) وقيموا بها من الحاميات العسكرية ما يكفل حصانتها لرد اغارات المسلمين ومن الطبيعى كان عليهم ان يقيموا علاقات تجاريه مع بعض القوى الاسلاميه بالمنطقه ان مهما توسع الصليبيون وامتلكوا من الاراضى العربيه فانهم لن يمثلوا اكثر من نقطة فى محيط .

لذلك نلاحظ حرص الصليبيين وهم وسط غمار الحروب الطاحنه على التماس وبعض جيرانهم المسلمين من الذين تعاضفوا معهم اما بدافع الخوف ، واما بدافع الكسب المادى .

(١) د . حسين مؤنس نور الدين ص ١٠٢

(٢) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ٢٦١

(٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ٢٥٩

والواقع ان بلاد الشام غدت بعد الغزو الصليبي ، وقسست تقاسمها مع الصليبيين ثلاث قوى اسلامية . ففي الشمال يقبع البيت السلجوقي الذي وقف رجاله — بعض الوقت — بالمرصاد لكل توسع صليبي ، وان كان قد لعب البعض منهم دورا هاما في تعزيز ذلك الغزو ودعمه ردحا من الزمن جريا وراء مصالحهم الخاصة . مثال ذلك تحالف الامير رضوان مع تنكرد امير انطاكية عام ٥٠٢هـ / ١١٠٨م ضد جاولي سقاو^(١) . كذلك تساهل بعض الحكام والامراء العرب في تحالفهم مع الصليبيين عند عبورهم الجنوب ليستكملوا فتوحاتهم في جنوب الشام على حساب اسماعيلية مصر المتداعية .

وقد ورث الزنكيون — فيما بعد — سلاجقة الشام بزعامه عماد الدين زنكي الذي قدر له ان يقيم دولة بين الجزيرة والعراق والعرب عام ٥٢١هـ / ١١٢٧م^(٢) . قبلج من الهيمنة على — من جاوره من الامراء مدى واسعا^(٣) . ثم ورثه فيما بعد ابنه السلطان

-
- | | |
|----------------|--|
| (١) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٦٣ — ١٦٤ |
| ابن القديم | زبدة الحلب ج ٢ ص ١٥٣ |
| (٢) ابن الاثير | Grousset: Hist des croisades. Vol. I. P. 439-440 |
| ابن الشامة | التاريخ الباهر ص ٣٤ — ٣٥ |
| (٣) ابن واصل | الروضتين ج ١ ص ٣٠ |
| سيديو | مفرج الكروب ج ١ ص ١٠٠ |
| | تاريخ العرب العلم ٢٢٥ — ٢٢٦ |

نور الدين محمود (١) . الذى عاش عمره مجاهداً في سبيل الله
حريصاً على اقامة جبهة اسلامية متحدة تقف في وجه الخطر الصليبي (٢)

الاسماعيلية والصليبيون =====

اما في الجنوب فتقف الخلافة الاسماعيلية على حدود مصر
الشمالية والشرقية لترد ما امكن لها ردة من المد الصليبي المستمر مع
فقدانها ما كان لها من موانئ الشام ومدنه الهامة .

واما في منطقة طرابلس وحول دمشق وحلب وفي جبل لبنان
حول منطقة جبل السماق فقد عاشت فرق مختلفه على راسها وفروع
مقدمتها تلك الفرقة التى عرفها التاريخ بالنزارية او الحشيشية ا و —
الاسماعيلية او الباطنية (٣) . وهى احدى الفرق الشيعية التى
تفرغت من البيت الاسماعيلي في مصر والتى لعبت دورا هاما في مقدرات
الامور ابان الحروب الصليبية (٤) .

مفرج الكروب ج ١ ص ١٠٧
السلوك ج ١ ص ٣٨

(١) ابن واصل
المقريزى

(٢) د . سعيد عاشور

الروضتين ج ١ ص ٢٠٠ — ٢٠١

(٣) ابو شامة

اضواء على مسلك التوحيد ص ١٤٠ — ١٤١

د . سامى نسيب مكارم

الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٠

(٤) د . سعيد عاشور

وكانت بداية المطاف عندما استطاع الاسماعيليون امتلاك قلعة الشريق^(١) . وهى التى بداوا منها مدهم للتوسعى الى مختلف بقاع البلاد الشاميه . خاصة بعد ان تولى ابو الوفا الاسماعيلى وظيفة القضاء بدمشق . فترتب على ذلك وقوع المواجهة الاسماعيليه^(٢) الصليبيه حول دمشق طمعا من الاسماعيليه فى الاستيلاء على صـ و هى التى ملكها الملك الصليبي بلدوين الثانى فى شهر جمادى الاولى عام ٥١٨ هـ (يوليو ١٢٤٤ م) . وذلك على عهد الخليفة الامر باحكام الله الاسماعيلى بعد ان فشلت جهوده المشتركة مع طغتكين صاحب دمشق فى الدفاع عن البلد^(٣) . وكان ذلك على اثر مقتل الافضل بن بدر الجعفى وزير الامر^(٤) . وانتهى الامر باحتلالهم عسقلان عام ٥٤٥ هـ (١١٥٠ م)^(٥) . وكان ذلك عقب مقتل وزير الظاهر راس الامراء على بن السلار^(٦) .

-
- (١) د . محمد كامل حسين طائفة الاسماعيليه ص ٩٦
 - (٢) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٩
 - (٣) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٢٢٥
 - (٤) ابن القلانسي ذيل تاريخ دمشق ص ٢١١
 - (٥) ابو الفدا المختصر ج ٢ ص ٢٣٧
 - (٦) ابن ابيك الدوادار كنز الدرر ج ٦ ص ٥٤٨ — ٥٤٩
 - ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٨٢
 - (٦) الذهبى دول الاسلام ج ٢ ص ٦٣

ومهما يكن من امره فان الذى يهمنى فى هذا المقام هو
ما تمخض عن فشل المؤامرة الاسماعيلية الصليبية حول دمشق ،
وهو وقوع حصن بانياس فى ايدى الصليبيين . فظلت فى ايديهم
حتى استردها شمس الملوك بورى بن تاج الملوك عام ٥٢٧هـ / ١١٣٢
م (١) . وقد عبر سبط ابن الجوزى عن ذلك بانه كان فتحاً عظيماً لم
يراهل دمشق مثله (٢) . وقد اعتبر نفس المؤرخ ان تسليمه للاسماعيليين
من قبل كان سيئة من اكبر سيئات طغتكين بحيث تغطى حسانه (٣) .

والواقع ان حصن بانياس بوقوعه فى يد الصليبيين لعب دوراً —
خطيراً فى تلك الفترة ، اذ ترتب على ذلك ان قويت نفوس الفرنج
على قصد دمشق واستعدوا لها (٤) . فهب بلدوين

(١) ابن الاثير . الكامل ج ١٠ ص ٢٤٤

(٢) سبط ابن الجوزى . مرآة الزمان ج ٨ ص ١٤٥

(٣) سبط ابن الجوزى . مرآة الزمان ج ٨ ص ١١٩

(٤) سبط ابن الجوزى . مرآة الزمان ج ٨ ص ١٣٠

في ذي القعدة عام ٥٢٣ هـ اكتوبر عام ١١٢٩ م مع من اجمع اليه
كن انطاكية وطرابلس وبلاد الساحل الشامي ، فضلا عن الامدادات
الاوربية لذلك الغرض (١) . ولكن يقظة تاج المملوك لم تترك لهم
الفرصة لتحقيق اغراضهم . ففشل غزوهم لدمشق حينما التقى الجيشان
على جسر الخشب قرب دمشق (٢) . فهاقت الهزيمة بجيش بلدوين الاول
واندحر يجرر اذيال الخيبة والعار امام عسكر دمشق (٣) . لكن ليس
معنى ذلك ان دمشق كانت في منأى من شرهم . وظلت مهددة من
جاء الغزو الصليبي منذ ان استولوا على عسقلانه ، حتى استولى
عليها نور الدين محمود بن صفر عام ٥٤٩ هـ - ابريل عام ١١٥٤ م (٤) .

والواقع ان مؤامرات الاسماعيلية ضد حكام وامراء الشام لم يقتصر
على المدن الكبرى مثل دمشق وحلب فحسب ، بل تجاوزتها الى حدود
المعاونة العسكرية لحلفائهم الصليبيين ضد بني جلدتهم من المسلمين
مثال ذلك ما حدث من اتحاد على بن وفاء شيخ الباطنية وانضمامه

(١) Runciman: A.Hist of the crusades. Vol. II.P. 179 - 180

(٢) ابن القلانسي ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٤ - ٢٢٦

(٣)

(٣) سبط ابن الجوزي المرأة ج ٨ ص ١٣١ .

(٤) واصل مفرج الكروب ج ١ ص ١٦٥
الذهبي دول الاسلام ج ٢ ص ٦٥

ببعض رجاله مع ريموند بواتيه في صفر عام ٥٤٤ هـ يونيه ١١٤٩ م^(١)
ذلك للوقوف فاضد السلطان مسعود صاحب قونية عند محاولته مهاجمة
انطاكيه بغية الاستيلاء عليها من يد الصليبيين^(٢). حدث ذلك
اثر الهدنة المعقودة بين نور الدين محمود وبين جوسلين الثاني
صاحب تل باشر^(٣). وكان جوسليمــــــــــــــــــــــن.
هذا وقد ارتقى في احضان نور الدين نتيجة فشل الحملة الصليبيه
الثانية بنياده كوتراد الثاني الالمانى ولويس
السابع ملك فرنسا^(٤). الا ان السلطان مسعود
اسرع بالاستنجاد بنور الدين^(٥). فالتقوا على لفور بريموند
امير انطاكيه في عين مراد فصبا عليه بالسهم ليتساقط رجاله صرغى
وليخر ريموند قتيلاً بيد اسد الدين شيركوه^(٦).
ثم ليقتل ايضا في تلك المعركة رينالد^(٧) صاحب مرعش
وشيخ الباطنيه على بن وفاء

- | | |
|-------------------|---------------------------------|
| (١) د. سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ٢ ص ٦٣٧ - ٦٣٨ |
| (٢) ابن القلانسي | ذيل تاريخ دمشق ص ٣١٠ |
| (٣) ابوشامه | الروضتين ج ١ ص ٥٨ |
| (٤) د. سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ٢ ص ٦٣٥ - ٦٣٦ |
| (٥) ابن العديم | زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٩٨ |
| (٦) ابن الاثير | التاريخ الباهر ص ٩٨ - ٩٩ |
| (٧) الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ٥٩ |
| (٧) د. سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ٢ ص ٦٣٨ |

وزاد الامر خطورة — من وجهة نظرهم — ما اقبل عليه نور الدين حينما نجح في استصدار تقليد من خليفه بغداد " المستضى " العباسي " بان عمله هذا جهاد ديني ، فاجابه الخليفة الى ما طلب ، فضلا عن ذلك فانه جعل له امرة مصر اذا تم له فتحها (١) . كما لقبه بالملك العادل (٢) . يضاف الى ذلك كله امتلاكه لحصن شيب عام ٥٥٢ هـ / ١١٦٨ م الذي كان الاسماعيليون قد طمعوا من قبيل لحصانته واهميته لهم (٣) . كل هذه الاعمال المختلفة اثارت حنقهم عليه وزادت من كرهيتهم له .

وفي ذلك الوقت حينما كان نور الدين مشغولا يحرب بانياس عام ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م (٤) . وشيركوه يسيطر على بعض الاراضي المصرية

-
- | | |
|----------------|---|
| (١) ابن الاثير | الكامل ج ١ ص ١٤٨ |
| د . حسين مؤنس | نور الدين ص ٢٩٨ |
| (٢) الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ٦٦ |
| (٣) ابن الاثير | الكامل ج ١ ص ٨٢ |
| ابو شامة | للروضتين ج ١ ص ١١١ - ١١٣ |
| (٤) ابن العديم | زبدة الحلب ج ٢ ص ٣٢١ |
| ابن واصل | King: The knights Hospitallers P. 90
مترج الكروب ج ١ ص ١٤٠ |
| (٥) ابن الاثير | التاريخ الباهر ص ١٢١ |
| ابو شامة | الروضتين ج ١ ص ١٣٠ - ١٣١ |

كان شاور وزير العاضد يرتضى بحاميته وبكل قواه — بعد ان حنت بوعد^١ لنور الدين وشيركوه في احضان عمورى صاحب بيت المقدس . ذلك ليقف معه ضد الغزو النورى لمصر^(١) . وقد نسب شاورا وتناسى ان الفضل يرجع قبل كئلا شىء لجيش نور الدين الذى اعاده الى وزارة مصر بعد ان قضى على ضرغام وثبت اقدامه بها^(٢) .

وكيفما كان الامر فقد نجم الغزو للنورى الثالث لمصر عام ٥٦٤ هـ عام ١١٦٨ م . في فتح مصر بقيادة اسد الدين شيركوه^(٣) ففضى على قتله الوزير شاور وقتله بامر العاضد خليفة مصر وقتئذ^(٤) .

ولكن على الرغم من ذلك كله فان الامور لم تقف عند هذا الحد بعد ان استمجد قادة مصر الاسماعيلية في نفس الوقت بالامبراطور البيزنطى مانويل كومنين الذى كان على اهبة الاستعداد عندما دعاه عمورى وصادفت دعوته رغبة المنشقين الذين ارسلوا يطلبون اليه المسير الى مصر للتخلص من جيش نور الدين^(٥) . لوكن فات

-
- | | |
|--------------------|---|
| (١) د . سعيد عاشور | شخصية الدولة الفاطمية ص ٥٩ |
| (٢) د . سعيد عاشور | الايوبيون والمماليك في مصر والشام ص ١٣ — ٢٥ |
| (٣) ابن شداد . | النوادر السلطانية ص ٣٩ — ٤٠ |
| ابن الاثير | التاريخ الباهر ص ١٣٧ — ١٤٠ |
| (٤) ابو شامة | ابروستين ج ١ ص ١٧٢ |
| الذهبي | دول لالاسلام ج ٢ ص ٧٧ |
| (٥) ابن كثير | البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٤٨ |
| د . حسين مؤنس | نور الدين ص ٣٢٠ |

الجميع ان صلاح الدين لا يقل خطوره ولا مهارة ولا اقداما عن سلفه شيركوه . وفي تلك الاثناء استطاع صلاح الدين ان يستحوذ على عطف الخليفة العاضد وان يتولى هو شئون الوزارة في البلاد ^(١) كما انه استطاع ان يحطم من جهة اخرى مشروعات الخليفة واعوانه فقد قيل ان الخليفة العاضد رضى بعض الوقت عن تصرفات اولئك المنشقين ، ولكنه — امام سطوة صلاح الدين وقدرته على السيطرة على الجوالعام في البلاد — عاد الى صوابه ^(٢) .

وكان ان تحقق ما كان يرنو اليه اعداء العهد الجديد . ففي الوقت الذى انشغل صلاح الدين باخماد ثورة الجند داخل البلاد الاسماعيلى في مصر وصلت طلائع الغزو الصليبي للبلاد . فدخلت قوات عمورى وتجمعت عند القرماء بينما اتجه الاسطول البيزنطى مباشرة الى دمياط في صفر عام ٥٦٥ هـ نوفمبر عام ١١٦٩ م ^(٣) . وكانت المفاجأة لصلاح الدين حيث اضحى بين شقى الوحى في القاهرة ، ثورة . وعلى اطراف البلاد اشمالية غزو خطير . الا ان ذلك لم يشن من عزمه في مجابهة الخطرين معا . فقرر على الفور ارسال الحامياك الى دمياط في الوقت الذى لا بد ان يكون على اتصالا

(١) نبط ابن الجوزى . مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٧٩ .

(٢) د . سعيد عاشور . مصر في العصور الوسطى ص ٢٩٢

(٣) د . سعيد عاشور . شخصية الدولة الفاطمية ص ٦٣

دائم برئيسه نور الدين في الشام • فبعث اليه يستنجد به ويوضح له الامر (١) • فانه ان خرج من مصر خلفه اهلها بسوء وان قصد عن الفرنج اخذوا دمياط وجعلوها معتقلا يتقووا بها على اخذ مصر (٢) • وكان من الطبيعي ان يستجيب نور الدين على الفور للنداء " فانه فوق الجند ارسالاً (٣) • ذلك في الوقت الذي وقف اهل دمياط مع صلاح الدين على قلب رجل واحد • فسددوا الميناء امام سفن الاسطول البيزنطي بسلاسل ضخمة مما عاق سيرها جنوباً نحو القاهرة • فضلا عن منعها من دخول البرزخ الدمياطي (٤) كذلك لعبت كرات النار التي قذفه بها الاهالي دورا هاما في تدميره • فانت على جزء كبير منه (٥) •

وان دل ذلك على شيء • انما يدل بصورة جلية وواضحة على ان اهل مصر رحبوا بحكم صلاح الدين السني نابذين وراء ظهورهم عهد الاسماعيليين بكل ملامحه • وان كان ذلك لا يمنع ان نحقق الحق فقد ورد ابن العاضد الاسماعيلي اخر الخلفاء بمصر امس

-
- | | |
|--------------------|----------------------------------|
| (١) ابوشامه | الروضتين ج ١ ص ١٨٠ |
| د • حسين مؤنس | نور الدين ص ٣٢٥ |
| (٢) ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٦٠ |
| (٣) ابن الاثير | التاريخ الباهر ص ١٤٣ |
| ابن واصل | مفرج الكروب ج ١ ص ١٨٩ |
| (٤) د • سعيد عاشور | مصر في العصور الوسطى ص ٢٩٤ — ٢٩٥ |
| (٥) د • سعيد عاشور | شخصية الدولة الفاطمية ص ٦٣ |

صلاح الدين بما لا يقل عن " الف الف دينار " لمساعدته في حربه على دمياط^(١) . الامر الذي جعل صلاح الدين يعترف له بالفضل وقد اعلن ذلك بنفسه قائلا " ما ريات اكرم من العاضد جهز السى في حصار الفرنج الف الف دينار سوى الثيان وغيرها^(٢) .

بيد ان القدر اراد ان يلعب دوره في هزيمة اولئك المعتدين فاشتركت السماء بعيل منهم لتحول الارض تحت اقدامهم او حالا . فلم يبق لهم من الرحيل مناص^(٣) . فغادرت الحملة دمياط في الثالث والعشرين من ربيع الاخر عام ٥٦٥ هـ — ١١ ديسمبر عام ١١٦٩ م^(٤) . ذلك في الوقت الذي كان نور الدين يلعب اعظم ادوار البطولة في بلاد الشام حيث قام بغلرات عنيفة على مملكة بيت المقدس وممتلكاتهم في السلام . فدخل بلاد الفرنج فنهبها واغار عليها واستباحها ووصلت الفارات الى مالم تكت تبلغه لخلو البلاد من مانع^(٥) . فترتب على ذلك ان " قتل خلقا من رجالهم وسبي كثيرا من نساءهم واطفالهم

- | | |
|----------------------|---|
| (١) ابوشامه | الروضتين ج ١ ص ١٨٢ |
| (٢) سبط ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٧٩ |
| المقريزى | الخط ج ١ ص ٢١٤ |
| (٣) د . حسين مؤنس | نور الدين ص ٣٢٦ |
| (٤) المقريزى | اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣١٥ — ٣١٦ |
| ٥٥٠ — ٥٤٤ ابن الأثير | Grousset: Hist des croisades Vol. II. P. 544-550 التاريخ الباهر ص ١٤٤ |

ونغم من اموالهم (١) . فاضطر عمورى امام ذلك الخطر الداهم السى
سرعة الرحيل لبلاده (٢) . فضلا عن ذلك فقد فسر الاسطسول
البيزنطى هاربا الى الشمال لىلاقى حتفه وسط عاصفه ارسلها الله
تعالى لتكتب نهاية ما سلم من سفنه فى جريقدمياط بسبب عجز
بمحاربتها عن السيطرة عليها (٣) .

وبذلك فشلت المؤامرة الاسماعيلية الصليبية لطرد الجيش النورى
من البلاد . وماتت خيوطها اليالية تذورها الرياح . . . مما مهد
لرسوخ اقدام صلاح الدين فى مصر (٤) . لتسبح بقية خيوط النهاية
لقصة الاسماعيلية فى مصر اولا ثم فى بلاد الشام فيما بعد .

على ان عمورى الاول ملك الصليبيين فى بيت المقدس لسم
يقف مكتوف الايدى فى ذلك الدور امام خطر الجبهة الاسلامية
التي جمعت بين الشام ومصر والتي احاطت بمملكة بيت المقدس الصليبيه
وطوقتها من الشمال والجنوب (٥) .

البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٦٠
مفرج الكروب ج ١ ص ١٨٢
شخصية الدولة الفاطمية ص ٦٤
شخصية الدولة الفاطمية ص ٦٤
شخصية الدولة الفاطمية ص ٦١

(١) ابن كثير
(٢) ابن واصل
(٣) د . سعيد عاشور
(٤) د . سعيد عاشور
(٥) د . سعيد عاشور

لذلك انتهز عموري الاول فرصة الخلاف الواقع بين اسماعيلية الشام بزعامة راشد الدين سنان وبين نور الدين ليحقق بعض المكاسب ويدعم مكانته على حساب المسلمين وكان سنان — كما ذكرنا انفاً — قد اعتبر نفسه الوارث الشرعي لاسماعيلية مصر * هذا من وجهة * ومن جهة اخرى فان نور الدين استطاع القضاء على القوضى الضاربة اصنامها في بلاد الشام بسبب الفتن الاسماعيلية كله قضائه . على سبيل الخلافه الاسماعيليه في مصر ^(١) . لذلك كان على سنان ان — يتعاطف مع غريم نور الدين الصليبي ليقضيا معاً على ذلك القائد الذي اقلق بالهم وشتت شملهم وما زال يتعقبهم حينما حلوا ركا بهم * .

لذلك حدث على اصرار عودة نور الدين الى دمشق — للاحـ الدين الى مصر ان انتهز كل من سنان وعموري تلك الفرصه المواتية ليعتقداً مما اتفقا مشتركاً ضد نور الدين * فحواه ان يتوسط عموري لرفع الاتاوة التي فرضها قرسان الدولة على بعض الحصون والقـرى الاسماعيلية المتفوقة في الجبال التي سيطر عليها الاسماعيليون * .

ثم خضعت فيما بعد من ارتاحية السياسية للنفوذ الصليبي ^(٢) ولا غرابة ان يوافق عموري على ذلك لكسب صديق سلم قوى ضد نور الدين * .

(١) د * سعيد عاشور الايوبيون والمماليك في مصر والشام ص ٢٩ — ٣١

— ٣١ —

(٢) د * سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ٧٣٤

ومهما يكن من امر فقد نجح وفد سنان الى عمورى فى ذلك •
فوافق عمورى من حيث المبدأ على التوسط بين كل من الاسماعيليين
والدوية فى ذلك الشأن (١) • وكما سبق ان اوضحنا فقد اتهم راشد
الدين سنان فى هذا الصدد بأنه عرض على عمورى قبول اعتناقه
المسيحية مقابل ذلك (٢) • الامر الذى كان له اطيح الوقع فى نفس
عمورى مما جعله يستمر فى تأييدهم فى طلبهم هذا (٣) • الا اننا
فى واقع الامر نؤيد الراى القائل برفض مثل ذلك الاتهام الباطل (٤)
ولا نستبعد ان يكون ذلك الامر مدسوسا عليه من بعض المؤرخين •

ومما يدعم راينا هذا ان الوفد الاسماعيلى لبيت المقدس لم
تكتب سلامتهم على طريق العودة • ذلك انهم ماكادوا يقتربون من
طرابلس حتى ارسل رئيس الداوية فارسا من طرفه يدعى "الترميسنيل •

(١) د • سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ٧٣٥

(٢) د • حسين مؤنس نور الدين ص ٣٥٢

Runciman: A Hist. of the Crusades. Vol. II. P. 397

Runciman: A Hist. of the crusades. Vol. II. P. 397

(٤) د • سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ٧٣٤

فانقض عليهم فقتلهم جميعا (١) . ونعتقد انهم اقبلوا على ذلك حتى
يفشل حذفهم مع صاحب بيت المقدس ، فيكون الداوية في حل
مما اتفقوا عليه من ناحية وليفسدوا العلاقات بين كل من عموري و—
الاسماعيليين من ناحية اخرى وقد كان لذلك الحادث رد فعل خطير
حيث غضب عموري Amalric انه غضبا بالغنا (٢) . فاصدر
امرا بالقبض على " والتر " walter والقى به في السجن .
كذلك بعث الى البابا يستأذنه في حل جماعة الداوية . ذلك على
الوقت الذي ارسل يسترضى حذيفه سنان ويعتذرله عما حدث
متعهدا واياهم على تنفيذ ما كانا يبغيانه معا (٣) . لدرجة ان المؤرخين
الاوربيين اعتبروا ان عام ١١٧٤م هو عام العلاقات
الطيبة بين الاسماعيلية الحشيشيه والصليبيين (٤) .

(١) د . حسين مؤنس نور الدين ص ٣٥٢
Runciman: A Hist of the crusades. Vol. II. P. 297

(٢) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ٧٣٥

(٣) د . حسين مؤنس نور الدين ص ٣٥٣
Grousset: Hist des croisades. Vol. II. P. 601 602

Runciman. A Hist. of the crusades. Vol. II. P. 397

وكيفما كان الامر فنحن لا نستطيع لن نوكد اتهم راشـ
الدين سنان بذلك الامر الخطير . وخاصة اذا علمنا ان فرسان
الداوية جاءوا على كل شىء مع الوفد الاسماعيلى ليخفوا معالم الاتفاقية
التي يـ حتمل ان تكون قد وقعت بينهم . فضلا عن ذلك فان راشد
الدين سنان لم يكن من الضعف بمكان لدرجة انه يخرج عن دينسه
ودين ابائه واجداده ، فى سبيل كسب مادي رخيص يتمثل فى الضرائب
او الاناوات المفروض عليهم دفعها للداوية اولغيرهم^(١) . ولذلك
فاننا نعتبر ان ذلك الاتهام كان محض افتراء لا اساس له ولا يتمتع
بأى نصيب من الصحة

ومهما يكن من امر فان مخطط عمورى — سنان ، ضد نور لدين
فشل بسبب كارثة الاسماعيلين على مشارف طرابلس^(٢) .

وكيفما كان الامر فانه بوفاة نور الدين محمود فى شوال عام
٥٦٩ هـ مايو عام ١١٧٤ م اصبح صلاح الدين يتعامل وجها لوجه مع
كل من الفريقين الصليبي والاسماعيلى معا .^(٣)

-
- (١) د . سعيد عاشور — الحركة الصيلية ج ٢ ص ٧٣٤
(٢) د . سعيد عاشور — الايوبيون والمماليك فى مصر والشام ص ٧١
(٣) د . سعيد عاشور — الايوبيون والمماليك فى مصر والشام ص ٤٧

وقد وضحت الصورة تماما عندما ملك الاسماعيلونية حصن مصياف
عام ٥٣٥هـ / ١١٤١م^(١) . فتأكد بذلك دورهم الرئيس في المجالين
الاسلامي والصليبي على السواء . وعلى وجه الخصوص عندما اتخذها
سنان قاعدة له^(٢) . والواقع فقد لعب حصن مصياف دورا هاما في
التاريخ الاسماعيلي لاهمية موقعه بين دمشق وطرابلس وفي منطقة
جبل اللكام . هذا فضلا عن جملة الطبيعة من جوله . فقد كان
محاطا ببعض الحدائق الغناء بالاضافة الى قرية من نهر العاصي
وكان — فوق ذلك كله — يتوسط قلاع الاسماعيليه في تلك المنطقة ،
وهي القدموسى والمنبثقة والعليقه والكهف . فضلا عن تمتد —
باستحكامات قوية ومنيعه . . لذلك اتخذ مقرا لشيخ الجبل^(٣) .
والمشاهد ان النواحي المذهبية كان لها بالضرورة المقام الاول في
كل الاتجاهات الاسماعيليه ذلك فضلا عن نوع الخطر المحدق بهم
سياسا كان ام عسكريا .

-
- (١) سيطر ابن الجوزي مرآة الزمان ج ٨ ص ١٧٧
(٢) الذهبي دول الاسلام ج ٢ ص ٥٤
(٣) د . محمد كامل حسين طائفة الاسماعيليه ص ١٠١
(٤) Le strange : Palestine P. 507

ذلك انه عندما وطلدوا امارتهم في مصيف ، وجدوا انفسهم امام قوة طامعه في الغرب متمثلة في الصليبيين . وقوة ناهضة فسي الشمال والشرق والجنوب متمثلة في المملكة الثورية الجديدة فاخذوا في التمكين لانفسهم بتحسين قلاعهم وحشدوا بالجند من الفداويه مع التركيز على تدريبهم في مدرسة الكهف^(١) . ومن هنا نفهم انه كان للحصون الاسماعيليه في بلاد الشام - ارض متخصصة لعبت دورا هاما في تربية اتباعهم على مختلف درجاتهم في الدعوة .

وكان اول تعاملهم الفدائي مع الصليبيين عندما لاح خطر
ريمنند الثاني امير طرابلس عام ٥٤٧ هـ
١١٥٢ م . فكان ردهم عليه ان لقي مصرعه بخناجرهم^(٢) . والواقع
لقد اقام الاسماعيليون علاقاتهم بكل من المسلمين المسنين والصليبيين
على اساس المصلحة الذاتيه البحتة دون النظر الى اي اعتبار اخر .

وفيما يبدو ان شعروهم بالاقليه في وسط ذلك البحر الخصم
من التيارات السياسيه والحربيه هو الذي املى عليهم ضرورة اتباع
سياسة العنف احيانا والمراوفه والمداهنه احيانا اخرى .

(١) ميشيل لباد الاسماعيليون في مصيف ص ١٠٦

(٢) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ٥٦٠

ذلك انهم اقدموا على قتل كونراد مونتقرات عندما اعترض رجاله
سفينه اسماعيليه كانت تحمل تجارة لشيخ الجبل راشد لدين سنان .
وكانت قد اخذت طريقا تجاريا في البحر املتوسط فاسروها بمن وماغيها^(١)
ولما فشل سنان في مفاوضاته مع مونتقرات
في شأن اعاده سفينته مع اطلاق الاسرى ورد الاموال . تعين عليه
ان يحدد موقفه من خصمه العنيد . فلقى مونتقرات مصرعه على يد
فدائيته يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الاخر ٥٨٨ هـ ٢٨ ابريل ١١٩٢ م
في صور^(٢) . ثم ذلك بعد ان دس سنان اثنين من رجاله تعايشا
في الاوساط الكنسية في مدينة صور فترة غير قصيرة من الزمن لينفذوا
ما امرا به في غريم الاسماعيليه مونتقرات^(٣) . حتى ليقال انهم
تظاهروا باعتناق المسيحية لاختفاء حقيقته شخصيهما . فارتدوا ملبس
الرهبان^(٤) . فضلا عن ذلك فانهما استطاعا تعلم لغة الفرنسج
واجادتها^(٥) .

(١) Sykes: A hist of Persia Vol. II.P.100

(٢) Runciman :A Hist of the crusades. Vol.II.P. 64-65

(٣) العمال الاصغهانى الفتح القسى ص ٤٧٩

Guyard: Un grand moitre . P. 84

(٣) ابن الاثير الكامل ج ٢ ص ٣١

(٤) ابن واصل مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٨٢

(٥) ابو فراس مناقب المولى سنان ص ١٨٤ .

Guyard: Un grand moitre . P.50

وقد اختلفت الروايات حول دوافع اغتياله . فاتهم البعض صلاح الدين ^(١) . وكان سبب ذلك هو تحسن علاقته براشد الدين سنان . حتى قيل ان راشد الدين سنان براس مونتقرات هديسه لحليفه صلاح الدين ^(٢) . فيقال انه عندما تم اغتياله + اجتسز القاتلان راسه وحطاه في مخلاه واخطا سيفه وحياصته وخرجا من جيش الافرنج مسرعين الى ان دخلا على الملك صلاح الدين فوضعا راسه بين يديه وسيفه وحياصته ^(٣) . الا ان ذلك - في تصورنا - امر بعيد الاحتمال . اذ كيف جىء براس مونتقرات Montferrat الى صلاح الدين وقد تم القضاء على القاتلين في الحال ^(٤) ؟

وهناك رأى اخر يفيد ان صلاح الدين كان قد اوعز الى سنان يقتل كل من مونتقرات Montferrat وريتشارد قلب الاسد ^(٥) . الا انه كان على سنان ان يحدد موقعه من كل من الثلاثة . فوقع الاختيار على مونتقرات دون ريتشارد حتى لا يخلل

(١) د . محمد كامل حسين طائفة الاسماعيليه ص ١٠٤

ميشيل لباد الاسماعيليون في مصياف ص ١٠٧

(٢) فصل من اللفظ الشريف

(٣) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٣٠
Guyard: Un grand moitre P.49

(٤) ابن الاثير الكامل ج ١٢ ص ٣١
Rundiman: A Hist. of the crusades. Vol. III. P.

(٥) ابن الاثير الكامل ج ١٢ ص ٣١
King: The Knights Hospitallers: P. 153

الجوالصلاح الذين • وحيث لم يره سنان مصلحة لهم لئلا يخلو وجه صلاح الدين من الفرنج ويتفرع لهم (١) .

لم يقتصر الامر عند حد اتهام صلاح الدين فحسب ، بل اتهم ايضا الملك ريتشارد في هذا الصدد اتهاما صريحا وواضحا (٢) فنجد بعض مؤرخى الصليبيين يتهمونه بالتدبير لاغتيال مونفرات حتى يصفوله الجوى فى الارض الفلسطينيه من جهة ، ومن جهة اخرى لينفرد هو بزعامة الصليبيين فى الارض العربيه المحتله ، وذلك بالتخلص من منافس خطير مثل مونفرات (٣) . وايدهم فى هذا الراى كثير من مؤرخى المسلمين وعلى راسهم ابن الاثير . وقسده عبر عن ذلك بقوله : " ونسب الفرنج قتله الى وضع من ملك انكلتار لينفرد بملك الساحل الشامى (٤) . فضلا عن ذلك فان اغتياله وقع موقعا طيبا من نفس ريتشارد وقد عبر صاحب المراه عن ذلك بقوله : وسر ملك الانكلتار بقتله لانه كان يضاهيه ويضاده ويراسل السلطان فى الاعانة عليه (٥) . يؤكد ذلك ما جاء فى الروضتين : فلما قتل سكن روعه وذهب عنه ضره (٦) .

King: The knights Hospitallers: P. 153 (١)

٢) مونرند تاريخ الحروب المقدسه ج ٢ ص ١٥٣

Runciman: A Hist of the crusades. Vol. III. P. 65

٣) ابن الاثير الكامل ج ٢ ص ٣١

٤) سبط ابن الجوزى مراه الزمان ج ٨ ص ٤٣٠ - ٤٣١

٥) ابوشامه الروضتين ج ٢ ص ١٩٦

٦) سبط ابن الجوزى مراه الزمان ج ٨ ص ٤٣١

King: The knights Hospitallers .P.153

Runciman: A Hist of the crusades vol. III. P. 66

يـ هـزـز ذلك كله انه لم يكـد يـمـضـى حـوالـى اسـبـوع من مـصرعـه
حتـى اعلـن فـى الخـامـس من مـايـو عـام ١١٩٢ م (٢٠ ربيع ثـانـى عـام ٥٨٨ هـ)
خـبر زواج اـرملـته " ايزابـيلا من الامـير هـنـرى
شـامـبـرنـى ابـن اخـت ريتـشارـد لـيـحـمل بـدوره
لقبـا ملكـيا وهـمـيا وهـو ملك بـيت المقدس (١) . وذلـك فـى الـوقـت الـسـدى
كانت مـدينـه بـيت المقدس ذاتـها قد سـقطت فـى يـد صـلاح الدين يـوم
الجمـعة ٢٧ من رجب عـام ٥٨٣ هـ الثـانى من اكتوبر عـام ١١٨٧ م
ولم يـعد لـها ملك غـيره (٢) .

وقـد سـاعد علـى تـعـزـيز اتـهام ريتـشارـد ان القـاتـلين اعـترافـا
بـانـهـما من الـاسـماعـيلـيه " وان الـانـكـتـار وـضعـنا علـيه (٣) .

ولـقد تـمـثـلت خـطـورة مـصرع مـونـتـفـرات فـى انه كان للـمـشـرح الـوحيـد
لتاج بـيت المقدس . وقـد جـرت مـفاـضـلة بـينـه وبـين جـاى لوزجـنان فـى
مؤتمـر عـسـقلان ابريل عـام ١١٩٢ م علـى هـيئـة اسـتـفـتاء فـكان الرأى فـى
جانبـه (٤) . وقـد لعبت عـوامـل الكـراهـية الـتى — اضمـرها الصـليبيـون

(١) سـبط ابـن الجوزى مـرآة الزمان ج ٨ ص ٤٣١

(٢) د . سـعيد عاشور الحـركة الصـليبيـه ج ٢ ص ٨١٩ — ٨٢٢

(٣) ابـن شـداد العـليمى النـوادى السلـطانيـه ص ٢٠٨

أـنسـ الجـليل ج ١ ص ٣٥٨

(٤) د . سـعيد عاشور النـاصر صـلاح الدين ص ٢٥٤

في بلاد الشام لال لوزجنان دورا هاما في تعزيزاتهم ريتشارد بفللك (١)

والواقع لو أننا بحثنا في ثنايا الموقف بالنسبة للقضية العربية لتبين لنا انه كان من الضروري والافضل لصلاح الدين ان يظل مونتفرًا على مسرح الحوادث . بسبب انه تسابك مع غريمه ريتشارد في التفاوض مع صلاح الدين كل يريد ان يكون له قصب السبق في النيل بموافقته على ما يريد .

ففي الوقت الذي كان صلاح الدين يستقبل مبعوث مونتفرات (٢) كان شقيقه العادل يجرى - من ناحية اخرى - مفاوضات مع الملك ريتشارد . وقد دارت المفاوضات جميعها على مستوى واحد او بمعنى اخر في مجال متقارب (٣) . ولا شك ان مصرعه كان لابد ان يعطى ريتشارد دفعة قوية للتمادي في مطاردة صلاح الدين . ولكن صلاح الدين فيما يبدو لم يتأثر كثيرا بموت مونتفرات (٤) . بالرغم انه " لم يعجبه قتل المركس لانه كان قد ابدى عداوة الانكليز ومنازحته في الملك (٥) . فسار صلاح الدين في تحديه لريتشارد حتى ادعس

- | | |
|-----------------------|-------------------------------|
| (١) د . سعيد عاشور | قبرص والحروب الصليبية ص ٢٧ |
| (٢) العيا (الاصفهاني | الفتح القسي ص ٥٦٠ - ٥٦٢ |
| (٣) ابن شداد | النوادر السلطانية ص ٢٠٦ - ٢٠٨ |
| (٤) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٨٤ |
| (٥) ابوشامه | الروضتين ج ٢ ص ١٩٦ |
| | مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٨٢ |

الاخير لطلبه (١) . وهكذا لعب الاسماعيليون بقتل مونتفـسـرات دورا هاما — ربما عن غير قصد — حتى تم الصلح المشر بين كل من صلاح الدين وريتشارد .

وعليه فقد ارسل ريتشارد " لصلاح الدين فى الصلح واظهر من ذلك ضد ما كان يظهره اولا فلم يحبه صلاح الدين الى ما طالب ظنا منه انه يفعل ذلك خديعة ومكرا (٢) . ولكن المفاوضات سارت بينهما فى الطريق المرسوم لها حتى عقد ما عرف " بصلح الرملة فى العشرين من شعبان عام ٥٨٨ هـ ٢ سبتمبر عام ١١٩٢ م (٣) . وكان من اهم بنوده دخول بلاد الاسماعيلية فى حوزته (٤) . فتم الاتفاق على ان البلاد الساحلية التى بايدى الفرنج هى لهم والبلاد الجبلية التى فيها القلاع تبقى بايدى المسلمين (٥) . ذلك مع السماح بالحج المسيحى — المجرد منة كل الغايات العسكرية — الى بيت المقدس مع اعضاء الحجيج من اية ضريبة مقابل ذلك (٦) .

-
- | | |
|---------------------------|--|
| (١) العما الاصفهاني | الفتح القسى ص ٦٠٣ |
| (٢) ابن الاثير | الكامل ج ١٢ ص ٣٤ |
| (٣) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٩٨ |
| (٤) تولى العماء الاصفهاني | كتابة عقد الهدنة . وكان ذلك فى يوم ٥ |
| | الثلاثاء الحادى والعشرين من شعبان عام ٥٨٨ من اول ايلول |
| | (سبتمبر عام ١١٩٢ م المد ٣ ثلاث سنين وثمانية اشهر الاصفهاني |
| | ابفتح القسى ص ٦٠٥ . |
| (٥) ابن الجوزى | المنتظم ج ٢ ص ٢٠٠ |
| سبط ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ٤١٨ |
| (٦) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٩٨ |

ويرجع اعتقاد البعض في ان صلاح الدين كانت له يد فسي
اعتيال منتفرات الى ان صاحب المناقب ادعى ان صلاح الدين
اصبح على اثر سماعه بذلك الحادث . فرحا مسرورا . فطلب الفداويه
فلما حضرا قام قائما لهما وعظم قدرهما وقام وزراءه وجلساؤه لقيامه
لهما ثم خلع عليهما واحسن اليهما واجلسهما الى جانبه (١) . كما
ادعى نفس الكاتب ان صلاح الدين رسم بان يكتب لدعوة الهادي
في كل معاملة من المعاملات القريبه الى قلاع الدعوة عشرة ضيع ويبني
لبيت الدعوة الهادي في كل مدينة من المدن دارة دعوة في مصر ودمشق
وحمص وخماه وحلب وغير هذا من المدن . وسير المولى واشد الدين
هديه سنه (٢) .

على ايه حال فان علاقة الاسماعيليين بالصليبيين لم تكن على
اسس عدائيه بصفه دائمه . فقد سادتها عوامل الود نولصداقه فتيرة
غير قصيرة وتبذلت الزيارات بين قادرة كل من القريتين . وكان —
الصليبيون قد اعتقدوا ان موت سنان عام ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م سيحدث
فراغا في المجتمع الاسماعيلي ولعن ابنه الحسن سرعان ما استطاع
ان يملأ ذلك الفراغ . ففتح ابواب قلاعه ليستقبل الملك الشاب
هنري الشامبني

(١) فصل من اللفظ الشريف ١٤٥

(٢) فصل من اللفظ الشريف ١٤٥

الذى تولى امر الصليبيين بالشام اثر مصرع مونتقرات وهو طريقة الى انطاكيه فهرع هنرى لزيارة الحسن بن سنان صاحب قسلاخ الاسماعيليه . حيث استقبله في قلعة الكهف (١) . ذلك لانه كما وصفه ابن الاثير " كان خير الطبع قليل اشرافيا بالمسلمين محبا لهم (٢) .

وهناك في قلعة الكهف استطاع هنرى ان يقف على قسوة الاسماعيليين . وكيف حولوا شأبا من البشر في مقتبل العمر الى مجموعات من الفداويه لايهابون الموت ولا يخشون الردى فى سبيل تحقيق اغراض شيخهم وعملا على مرضاته كما وانهم كانوا رهن اشارته (٣) فدعا الحسن بعض رجاله بن الفداويه فامرهم بقتل نفسه بخنجر ففعل . وامر اخر بالقاء نفسه من اعلى ابراج القلعة فهوى على الغور ليراه هنرى بعد ثوان جثة هامده . ولما راعه ما راي ، طلب الى الحسن الا يامر بثالث وكفى (٤) .

الحركة الصليبيه ج ٢ ص ٩٠٩

(١) د . سعيد عاشور

الكامل ج ٢ ص ٣٤

(٢) ابن الاثير

Ruhcimhan: A Hist f the crusades vol. III. P ٨٩

الاسماعيليون : مصيا ف ص ٨٠

(٤) ميشيل لباد

وهذا — في واقع الامر — مما جعلهم يتعليشون مع جيرانهم
الاسماعيلية على اساس من الود والمحبة . اوربما هو الخوف من شر
مخناجرهم . فخرج هنرى من القلعة مرتبط مع الحسن بصدقة عريضة .
وعلى وعد من الحسن بانهم على اتم استعداد لمساعدته بضد اى عدو
يشير اليه ^(١) . وان دل ذلك شئ فانهما يدل على انه كان لريتشارد
دور في اغتيال مونتفرات عن طريق الاسماعيلية انفسهم . والا لما عرض
الحسن على هنرى المساعدة ولما لبى هنرى على وجه السرعة
الدعوة لزيارته في قلاعه . وربما كان ذلك اعترافا بفضل الاسماعيلية في
تقلده ذلك المنصب الكبير باخلاء الجو من مفاصله الخطير مونتفرات ^(٢)

ومهما يكن من امر فقد كسب المسلمون بتعيبين هنرى ملكسما
على ما خلفه مونتفرات صديقا حينما . لانه كان عاقلا كثيرا لمداراه —
الاحتمال ^(٣) . وكان فيما بيد وعلى درجة كبيرة من الدبلوماسية
والذكاء . لذلك استطاع ان يقيم علاقة دائمة مع كل صلاح الديين

(١) د . سعيد عاشور الحرقلة الصليبية ج ٢ ص ٩٠٩

(٢) وقد علل بعض المؤرخين الاوربيين ان خليفة سنان قصد من وراء
ذلك التصرف باستمرار قيام العلاقات الطيبة بينهم وبين الصليبيين .
حتى لنجده يذكر ان الحسن اعتذر لاقدامهم على اغتيال مونتفرات
باعتباره احد القادة الصليبيين العظام . فما كان من هنرى دى شامبني
الا ان قابل اعتذاره معن ذلك ببساطة ودون تكلف . اى انسه
حسب مفهومنا نحت الشرقيين طيب من خاطر اصد يفه الجد يد

الحسن بن سنان . Runciman: A Hist of the crusades. Vol. III. P89

الكامل ج ١٢ ص ٣١

(٣) ابن الاثير

وخلفاء راشد الدين سنان على مستوى متكافئ حتى يتعايش مع كل من الفريقين في ود وإخاء (١) .

وكما استخدمهم بعض حكام المنطقة الشامية من المسلمين كأداة فعالة للتخلص من أعدائهم أو ممن لا يرغبون فيهم ويرهبون جانبهم . فقد استخدمهم الصليبيون كذلك في هذا المضمار . ولما كان الاسماعيليون قد ارتبطوا بدفع جزية لكل من الاستبارية والداوية ، فقد حاولوا عبثا بعد ذلك التخلص من ذلك العبء الباهظ بأساليب شتى كان من أهمها تلك المحاولة التي أقبل عليها راشد الدين سنان بتحالفه مع عموري Amalric لذلك الغرض ولكن دون جدوى . فضلا عما فقد به من اغتيال من رجاله على مشارف بطرابلس . لذلك لم تكن هناك مندرجة امام ذلك من تحالفهم مع كل من الفرقتين الداوية الاستبارية كان في بعض الاحيان اجدى واسرع من احوالهم مع قرينتها الداوية خاصة انهم كانوا على عداوة مع الدارية بسبب ما اتقرفوه معهم من قبل .

وفيما يبدو ان الود او التفاهم دام بين الفريقين اى بين الاسماعيليه والصليبيين وقنما . حتى اقبل الباطنية على اغتيال ريموند Raymond

الابن الاكبر لبوهمند الرابع Bohemond IV

امير انطاكية عام ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م في كنيسة انطوسوس (٢) .

(١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ٩٠٩ - ٩١٠

(٢) ابن واصل مفج الكروب ج ٣ ص ٢١٩

Runciman: A Hist of the crusades. Vol. III. P. 13

ولما كان لذلك الحادث المؤسف وقع سيء في نفوس الصليبيين ،
فقد قرروا الانتقام من الاسماعيليه . فشن بوهند —————
هجومًا عنيفًا على الممتلكات الاسماعيلية . فحاصر الخوايى عام ٦١١
هـ / ١٢٢٤ م حصارًا شديدًا كادت تسقط بسببه في يده (١) . لولا ان
بادر الاسماعيليون بالاستغاثة بالملك الظاهر صاحب حلب فأسرع
بارسال نجده لحماية الحصن وفك حصاره (٢) . كذلك اتخذ من
جانبه خطوة جريئة لتأديب الصليبيين فهاجم اللاذقية (٣) . وفسى
ذلك دلالة واضحة على أن الاسماعيليين كانوا على وفاق مع بعض
القوى الاسلامية في بلاد الشام في ذلك الوقت . الامر الذى حدى
بالملك الظاهر الوقوف بجانبهم في اكثر من مناسبة والشاهد على
ذلك ما رواه ابن واصل حيث " بعث الملك الظاهر الى الفرنج
يعلمهم انه لا يمكنهم من الاسماعيليه (٤) .

ونعتقد ان خوفه من عمه العادل صاحب مصر ودمشق هو السبب
لعب دورا هاما في محالفته للاسماعيليين ضد بوهند ليكونوا عونًا له
اذا ما فكر العادل في اغتصاب حلب منه . رغم انه كان عمر وصهره فسى

نفس الوقت .	
الحركة الصليبيه ج ٢ ص ٩٥٤	د . سعيد عاشور
زبدة الحلب ج ٣ ص ١٦٦	(٢) ابن العديم
الحركة الصليبيه ج ٢ ص ٩٥٤	(٣) د . سعيد عاشور
مفرج الكروب ج ٣ ص ٢٢٤	(٤) ابن واصل

وقد اثيرت الكشوك — فيما يختص بمصر ريموند Raymond حول الاستتارية بسبب تعاطف الاسماعيليه معهم جريا وراء تحقيق مطلبهم الخاص بالاعفاء من الجزية المقررة عليهم^(١) . اما بوهنفسد فقد وجه الاتهام لكل من الاستتارية والداويه معا . الامر الذى ترتب عليه رفع تقرير ضدهم الى البابا ، والذى بعث بدوره الى امراء صيدا وصور وببيروت يطلب اليهم ابلاغ النظام العسكرى المتمثل فى الاستتارية والداويه ضرورة الغاء كل ارتباط مع الاسماعيليين فى بلاد الشام^(٢) . او بمعنى اوضح قطع العلاقات فيما بينهم .

والواقى كان لابد للبابا من اتخاذ مثل ذلك القرار . فقد ثبت ان مؤامرات الاستتارية لم تتوقف عند حد اغتيال ريموند فحسب بل حدث اغتال الاسماعيليون — بايعاز منهم — ادم سيد بغراس السذى تولى الوصاية على ملكة ارمينيا الطفلة ايزابيلا لبنته ليو الثانى^(٣) . فضلا عن ذلك فقد اغتالوا بايجاز منهم ايضا — البرت بظريك بيت المقدس عام ٦١٢ هـ / عام ٢١٥ م^(٤) . الامر الذى كان

(١) King: The Knights Hospitallers P. 216

(٢) King: The Knights Hospitallers P. 234 - 235

(٣) Runciman: A Hist of the crusades Vol. IIIP

(٤) 171

Runciman: A Hist of the crusades Vol. III.

P. 138

له اثر شىء فى نفس البابا والصلبيين جميعا فترتب على ذلك ان نازل الفرنج الخوابى وجدوا فى حصاره وقتال اهله ، وقتلتهم رجاله الحلبيين الذى بعثهم الملك الظاهر — مرة اخرى — نجده لاهل الخوابى (١) . ثم وقع الصلح بينهم (٢) .

مما سبق عرضه نتبين ان المد والجذر الاسماعيليين قد استمرا يلعبان ادوارهما المختلفة فى بلاد الشام حتى تعرضت تلك البلاد للغزو والتتري الذى جاء بمثابة لداية النهاية لوضع سياسية متعددة فى بلاد فارس والعراق والشام .

(١) ابن واصل

(٢) المقريزى

(٣) د . سعيد عاشور

مفرج الكروبي ج ٣ ص ٢٢٩

السلوك ج ١ ص ١٨٠

الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١١٤

”الفصل الرابعع”

الفصل الرابع

انكماش النفوذ الاسماعيلية على عصر سلاطين المماليك

فى بلاد الشام

حالة بلاد الشام عند قيام دولة المماليك فى مصر سنة ١٢٥٠ • الحشيشيه والصليبيون • موقف اسماعيلية الشام من المماليك فى مصر • ظهور التتار • سقوط حصون الاسماعيلية فى بلاد فارس والشام فى أيديهم • موقعه عين جالوت واثرها فى عودة ظهور نفوذ الاسماعيلية • تمرد الاسماعيلية ضد الحكم المماليكى فى بلاد الشام • الظاهر بيبرس يستولى على حصون الاسماعيلية • خضوع الاسماعيلية فى بلاد الشام للحكم المماليكى • أثر ذلك فى المجتمع الاسلامى فى مصر والشام •

تمخضت حملة لويس التاسع على مصر عام ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م عن تطور خطير فى الاوضاع السياسيه فى مصر والشام هو سقوط دولة الايوبيين وقيام دولة المماليك فى مصر (١) •

ويهمنا من امر هذه النقلة الخطيرة ان الاسماعيلية فى بلاد الشام لم يرتاحوا لقيام بدولة المماليك فى مصر ، وهى دولة ناشئة فتيه ، لان هذه الدولة لم تلبث أن تمد سيطرتها على بلاد الشام • مما جعل الاسماعيلية فى مواجهة قوة جديدة ناميه بدلا من قوة الايوبيين المتداعيه (٢)

-
- | | | |
|-----|----------------|---------------------------------------|
| (١) | د • سعيد عاشور | مصر فى عصر دولة المماليك البحرية ص ١٨ |
| (٢) | د • سعيد عاشور | العصر المماليكى فى مصر والشام ص ٦٣ |

لذلك بادرا الاسماعيلية فى رمضان عام ٦٤٨ هـ (ديسمبر عام ١٢٥٠ م) فأرسلوا مندوبين من طرف شيخ الجبل الداعى ابنى الفتح الى الصليبيين فاستقبلهم الملك لويس — الذى اتخذ من عكا مقرا له بعد الطلاق سراحه من الاسر — استقبالا غوف العادة وسمح لهم أن يجلسوا فى حضرته ^(١) . وكان القصد من زيارتهم التفاوض لفرض اناوة على لويس مقابل التزام الاسماعيليين بالوقوف على الحياد فى النزاع بين الصليبيين ^(٢) .

والواقع فقد أرد الاسماعيليون بذلك أن يضربوا هدفين برمية واحدة فأن فسلوا فى طلبهم هذا فلا أقل من أن يحصلوا على اغناء من الجزية التى كانوا يدفعونها للاسبتاريه والداويه حلفاء لويس التاسع فى بلاد الشرق الاسلامى ^(٣) .

وكان من الطبيعى أن ينذر لويس فى طلبهم على الفور . فحدد اليسوع التالى موعدا للاجتماع بهم والتفاوض مع وليم دى شاتين — رئيس طائفة الاسبتاريه وريئالد دى فيشيم — رئيس طائفة الداويه ^(٤) . وكان أن استطاع كل من الاسبتاريه والداويه تغيير سير المفاوضات ، ففرضوا شروطهما لقبول طلب الاسماعيليه وهو أن يبادر شيخ الجبل بارسال هدية قيمة للملك لويس التاسع تكفيرا عن جرائمه

-
- (١) د . زيادة حملة لويس التاسع على مصر سن ٢٥٣
King: The Knights Hospitallers. P.249
- (٢) مونروند تاريخ الحروب المقدسة ج ٢ ص ٣٣٦
- (٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١٠٩٧
- (٤) King: The Knight Hospitallers. P . 249

فى طلبه هذا (١) . حيث اعتبر ذلك الطلب من وجهة نظرهما خروجاً عن المألوف ، وأن فيه امتهان لكرامة الملك الفرنسى زعيم الصليبيين فى ذلك الوقت وتحت تأثير الضغط والتهديد استجاب الاسماعيليون . فتبذلت الهدايا مع لويس التاسع الذى غدا من أقرب المقربين لشيخ الجبل الذى سعى بدور جاهد لا يمكن اغائهم من الاتاوة المقررة عليهم (٢) .

كما أنه تم تبادل السفارات بين الطرفين بغية اقامة تحالف وثيق بينهما وقد لعب بيف البريتون Yves The Breton دوراً رئيسياً فى عقد معاهدة دفاع مشترك بين الاسماعيلية ولويس التاسع عندئذ (٣) .

وكان هدف لويس التاسع من ذلك كله اذكاء نار العداوة والبغضاء بين الاسماعيليين الشيعة من جهة واخوانهم من أبناء المنطقة السنيين ليحقق مكاسب على حساب الجميع (٤)

-
- (١) مونروند "وقد اضاف المؤرخ على ذلك ان الرسولين كانا قد هُـدـدـا بقتلهما ورميهما فى البحر الابيض المتوسط لولا أنهما فى حضر الملك لويس :
- (٢) King The Knights Hospitallers. P. 249
- (٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٠٩٨
- (٤) د . زياد . حملة لويس التاسع على مصر ص ٢٥٤

لم يكن الاسماعيليون وحدهم هم الذين اقبلوا على عقد معاهدة مع
لويس التاسع . اذ عقد الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب معاهدة معه ففى
ذى الحجه عام ٦٤٩ هـ فبراير عام ١٢٥٢م حتى يتفرغ لمواجهة خطر التتار^(١)
وكان ذلك فى الوقت الذى أخذ لويس التاسع نفسه يسعى الى ابرام تحالف
مشترك مع التتار ضد مسلمى الشام ومصر . فأرسل مبعوثيه وليام دويسرك
الى قراقورم مقر الخان الاعظم فى عام ٦٥٢ هـ /
١٢٥٤ م لهذا الغرض^(٢) .

على انه يبدو وأن الماليك فى مصر لم يعبأوا بهذه التحركات وان كانوا
من جانبهم قد عقدوا اتفاقا مع لويس التاسع أطلقوا بموجبه سراح ثمانمائة من
أسرى المنصورة . وذلك بقصد منع لويس التاسع من الاستمرار فى تحالفه مع
الناصر يوسف^(٣)

-
- (١) المقرئى السلوك ج ١ ص ٣٩٣
(٢) King: The knights Hospitallers P. 249
Sykes: A Hist. of Persia Vol.II.P.169.170
(٣) Eunciman, A Hist. of the crusades. Vol.III.P.295
مصر فى عصر دولة الماليك البحرية ص ٣٥

المغول في بلاد الشام :-

وفي ذلك الدور ظهر خطر المغول ليهدد الوطن الاسلامى فى الشرق الادنى ، فضلا عن الاسماعيليه والصليبيين جميعا .

وقد بدأ احتكاك المغول بالاسماعيليين اثر الشكوى التى اثارها بايجونيان - حاكم ايران من قبل المغول - ضد الملاحدة وخليفة بغداد . ذلك فضلا عما اثاره شمس الدين القزوينى فى حضرة هولاكو من خطر الملاحدة فى خراسان . اذ اوضح له انهم لا يقتنعون عن القضاة على الدولة المغولية اذا ما تيسر ذلك لهم . وكان شمس الدين هذا يلعب الزرد تحت ملبسه خشية الملاحدة (١) ، وذلك فى وقت " كثر أمر الباطنية بالعراق وقتلهم النساء واشتد الخطب بهم حتى كان الامراء يلبسون الدروع تحت ثيابهم (٢) . وذلك خوفا منهم . وعليه فقد تجرد هولاكو لقتلهم والخلاس منهم (٣) .

وكان أن وقع اختيار منكوقان على أخيه هولاكو لفتح غرب ايران والشام ومصر وبلاد الروم والارمن (٤) . وامره فيما أمره به أن " أبداً باقليم قهستان فخر ب القلاع والحصون " (٥) . ثم أمره ايضا أن يجعل كردكوه وقلعه لنيسر رأسا على عقب " فالتبى فى الدنيا قلعة قط ولاكومة واحدة من تراب " ثم

-
- | | | |
|-----|---------------------|----------------------------|
| (١) | رشيد الدين | جامع التواريخ ج ١ ص ٢٣٣ |
| (٢) | السيوطى | تاريخ الخلفاء ص ١١٧ |
| (٣) | ابن فضل الله العمرى | التحريف ص ٤٣ - ٤٤ |
| (٤) | د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١١٢ |
| (٥) | رشيد الدين | جامع التواريخ ج ١ ص ٢٣٧ |

طلب منه " فاذا فرغت من هذه المهمة فتوجه الى العراق وأزال من طريقك اللوز والاكراذ الذين يقطعون الطرق على سالكيها ، واذا باد ر خليفة بغداد بتقديم فروض الطاعة فلا تتعرض له مطلقا . أما اذا تكبر وعسى فألحقه بالآخرين من الهالكين " (١) .

من هذا القول نستطيع الوقوف على خطة المغول فى عزو بلاد العراق والشام . ومنه ايضا نفهم ان قلاع الاسماعيليه وبغداد وضعت فى المقام الاول للغزو المغولى على اثر الترابط الذى حدث بين بابوات روما وخانات المغول نتيجة للرسائل والسفارات المتبادلة بين كل من الطرفين (٢) . وعليه فقد تحرك هولوكو بجيوشه الى تلك الديار فى ذى الحجه عام ٦٥١ هـ يناير عام ١٢٥٤ م (٣) . ومن مدينة كاش التي تقع فى الجنوب الغربى من سمرقند والتي كان قد وصلها فى شعبان عام ٦٥٣ هـ سبتمبر عام ١٢٥٥ م (٤) . أرسل عدة رسائل الى ملوك وسلاطين فارس جاء فيها " بناء على أمر القان قد عزمنا على تحطيم قلاع الملاحدة وازعاج تلك الطائفة (٥) . فاذا اسرعتم وساهمتم فى تلك الحملة بالجيوش والعدد والالات فسوف نبقي لكم ولاياتكم وجيوشكم ومساكنكم وسنحمد لكم مواقفكم . أما اذا تهاونتم فى امثال الاوامر واهملتم فاننا حين

-
- | | | |
|-----|--|---|
| (١) | رشيد الدين | جامع التواريخ ج ١ ص ٢٣٧ |
| (٢) | Sykes: A Hist . of persia Vol. II. P.169 | |
| (٣) | سبط ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٠٩ |
| (٤) | المقريزى | King : The knights Hospitals P. 255
السلوك ج ١ ص ٣٨٣ |
| (٥) | يقصد بالملاحدة : | تاريخ الادب فى ايران ج ٢ ص ٥٧٦
الاسماعيليين |

نفرغ بقوة الله من امر الملاحدة فأننا لانقبل عذرکم ، وتتوجه اليکم فيجرى على ولاياتکم ومساکنکم ما يكون قد جرى عليهم " (١) . وكان من الطبيعي أن يستجيب أمراء وملوك المنطقة لهذه الدعوة — أو بمعنى أكثر وضوحا — لهذا الانذار عن يد وهم صاغرون . الامر الذي ساعد هولاء على أن يعبر نهر جيجون — بسهولة ويسر وكان ذلك في ذي الحجة عام ٦٥٣ هـ يناير عام ١٢٥٦ م .

وهنا تحددت الخطوط العريضة لمسيرة المغول . فتعين على كيو بوقانويان أحد قادة جيش هولاء أن يسبقه الى قلاع الاسماعيليه فـلى قمهستان حيث توجه على رأس مقدمة الجيش الى تلك البقاع ليمهد الطريق للجيش الرئيسيه بقيادة هولاء فيما بعد . وقد وقع ذلك في المحرم عام ٦٥١ هـ مارس عام ١٢٥٣ م . وكانت قلاع الاسماعيليه في فارس هي أول أهداف هولاء ان أنه لن يستطيع اقامة حكومة منظمه في بلاد الجديده ما لم يحطم اصحاب المذهب الاسماعيلي او مذهب الملاحدة على حد وصفه لهم (٢) . هذا فضلا عما كان يكنه لهم من بغض عميق بسبب اقدامهم على اغتيال جفتاى ثانى أبناء جنكيزخان (٣) .

(١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١٤

(٢) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٢٤٠

(٣) Runciman: A Hist of the crusades. Vol. III

وهكذا كان على كيتوبوقا أن يعبر جيجون ليحاصر قلعة كرد كوه (١) إلا أن حاميتها استطاعت أن تفاجئ الجيش المغولي في شوال من هذه السنة فدمرت معسكرهم وقتلوا منهم حزالي المائة شخص كما قتل في تلك المعركة قائدهم الأمير " بوري " الذي كان قد تولى قيادة الجيش حال غياب كيتوبوقا . لذهابه في مهاجمة بعض القلاع الأخرى (٢) . ومع ذلك فقد احتفظ الجيش المغولي ببقوته وعنفوانه . وعلى الرغم مما تحمله المغول في تلك المعركة فقد استطاع كيتوبوقا اثر عودته أن يبعث في المنطقة فسادا ، ويخرب انحاءها مما اثر على حامية القلعة نفسها ، الامر الذي جعلهم يبعثون الى علاء الدين محمد صاحب قلعة الموت يخبرونه أن وباء قد انتشر في قلعة كرد كوه تسبب في القضاء على معظم المحاربين . كما أوضحوا له أن القلعة قد تسقط قريبا (٣)

ولم يقف علاء الدين عاجزا امام الخطر المحدق به ، فأمدهم فورا بنجدة حربية بقيادة " مبارز الدين على ثوران وشجاع الدين حسن السرياني واستطاعت تلك القوة أن تخترق صفوف المغول وتصل الى القلعة دون أذى إلا أنه حدث في تلك الاثناء ان تغيرت القيادة في الموت بقتل علاء الدين بيد حاجبه حسن المازندرانى نتيجة مؤامرة دبرها ابنه خورشاه الذى تولى الامر بعد فى ذى القعدة عام ٦٥٣ هـ (٤) ديسمبر عام ١٢٥٥ م .

- | | | |
|-----|-----------------|-------------------------|
| (١) | رشيد ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٠٩ |
| | سبط ابن الجوزى | جامع التواريخ ج ١ ص ٢٤٣ |
| (٢) | رشيد الدين | جامع التواريخ ج ١ ص ٢٤٤ |
| (٣) | رشيد الدين | جامع التواريخ ج ١ ص ٢٤٤ |
| (٤) | رشيد الدين | جامع التواريخ ج ١ ص ٢٤٥ |

ولقد وضحت خطورة خورشاه أو بمعنى آخر عناده وتحديده لهولاكوه عندما أرسل الأخير برسالة الى ناصر الدين المحتشم فى قلعة " سرتخت يدعوه للدخول فى طاعته ، فاستجاب الأخير على الفور لدعوته . وعند ما سأله هولاكوه " لما لم تنزل معك سكان القلعة وتحتهم على التسليم أجابة ناصر الدين " ان لهم ملكا يدعى خورشاه يأتمرون بأمره ^(١) . وازاء ذلك زاد اصرار هولاكوه على فتح بلاد الاسماعيليه وتخليصها . وكانت الاوامر قد صدرت اليه بتدمير كل معقل الدعوة ^(٢) . فاتجه على الفور الى مدينه طومس فى ربيع الاخره عام ٦٥٣ هـ مايو عام ١٢٥٥ م وعسكر فيها ، ومنها بعث برسله الى ركن الدين خورشاه يطلب اليه التسليم ^(٣) .

وكان ذلك فى نفس الوقت الذى تحركت جيوشه لتحاصر بقية قلاع الاسماعيليه وعلى رأسها الموت ، فوصلت امام بعضها فى جمادى الاخره عام ٦٥٣ هـ يوليو عام ١٢٥٥ م . وفى العاشر من شعبان عام ٦٥٤ هـ الثانى من سبتمبر عام ١٢٥٦ م أعاد هولاكوه رسالة خورشاه مهددا اياه حتى يستسلم ^(٤) .

وكان ان تدخل القدر فى تلك الظروف ليلعب دورا اساسيا فى تحديد مصير ركن الدين خورشاه . ذلكانه عاش معه فى نفس الموت عدد من العلماء

-
- (١) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٢٤٦
 (٢) Runciman: A Hist. of the crusades. Vol.III. P.300
 (٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١١٤ - ١١١٥
 (٤) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٢٤٩

الافذان وعلى رأسهم الخواجه نصير الدين الطوسي الذي " وزر لاصحاب قلاع الموت من الاسماعيليه ثم وزر لهولاكو وكان معه فى وقعة بغداد (١) — فاستطاعوا أن يؤثروا على خورشاه ويحملونه على الاستسلام والاعتراف بهولاكو والخضوع له . وفى ضوء ما جرى من مفاوضات بينه وبين هولاكو حول هدم وتخريب بعض جوانب قلاع الاسماعيليه واسوارها وافق خورشاه شريطة أن يمنع " مهلة سنة يغادر بعدها القلعة (٢) . فأيقن هولاكو ان فى الامر خدعة وعليه أن — يحدد هو بنفسه موقعه من تلك القضية الهامة والخطيرة .

وكان هولاكو على صواب . حيث أن ركن الدين كان يرافقه فعلا فى التسليم حتى يقف على نتائج محطولات المغول فى اقامة تحالف مع غرب اوربا المسيحي ضده (٣) . أما ركن الدين فكان قد بعث هو الآخر بسفارة الى اوربا ولكنها قوبلت بفتور تام . ويقال ان مبعوثا من قبله زار بلاط هنرى الثالث ملك انجلترا (١٢١٦ م — ١٢٧٢ م) بقصد عقد تحالف مشترك بينهما ولكن عداوة اساقفة منشتر للاسماعيليه بسبب اغتيالهم بعض أمراء الصليبيين جعلت أحدهم يعبر عن رايه للملك فنصحته قائلا " دع هؤلاء الكلاب ينهش بعضهم البعض وانهم كلية " وسوف نرى الكنيسة الكاثوليكية العاليه تقوم على انقاضهم (٤)

- | | | |
|-----|--------------|--|
| (١) | ابن كثير | البدايه والنهاية ج ١٣ ص ٢٦٧ |
| (٢) | رشيد الدين | جامع التواريخ ج ١ ص ٢٥٠ |
| (٣) | برناردو لويس | الدعوة الجديدة ص ١٦ |
| (٤) | | Sykes: A Hist of Persia Vol. III.P.172 |

وعليه فقد باءت كل محاولات ركن الدين بالفشل^(١) وبالطبع لم يكن هنرى نفسه قد نسى اعتداءات الحشيشيه من قبل .

حدث ذلك فى الوقت الذى تحركت جيوش المغول فى شعبان عام ٦٥٤ هـ (ديسمبر ١٢٥٦ م) نحو قلاع الاسماعيليه فوصلت الى مدينه " عباس آباد الرى " ليتخذها هولاكو منطلقا لتحركاته العسكرية اذا ما فشلت التحركات السياسيه مع خورشاه^(٢) . وبالرغم من أن ركن الدين اظهر الولاء والطاعة عن فضلا امثاله لاوامره^(٣) . فان هولاكو استطاع ان يفاجئه بحصار ضربه حول أهم قلاعه . وفى شوال عام ٦٥٤ هـ اكتوبر عام ١٢٥٦ م تم حصار قلعة الموت مقر ركن الدين^(٤) . فلما تعذر عليه فتحها . شاور قادة الجيوش فيما يجب أن يكون عليه مصير القلعة فاختلّفوا فى رأيهم . ولكنه فى النهايه نزل عند الرأى القائل باستمرار الحصار .

وعليه فقد بادر هولاكو من جانيه فى اعادة المفاوضات مع خورشاه تلك التى انتهت باستسلام ركن الدين ونزوله من القلعه^(٥) . وقد صحبه فى

-
- (١) المقريزى السلوك ج ١ ص ٣٨٣
وقد أورد المحقق نفس النص المشار اليه فى الحاشيه (٢) مترجماً
باللغه الانجليزية ولكن عن Browne: A Hist Vol. II
I P 6 Sykes وفىما يلى نصه من
الجزء الصفحه :
Let those dogs devour each other
and be utterly wiped out and then we shann see
found on their wins, the Universal Catholic church.
السلوك ج ١ ص ٣٨٣
Runciman: A Hist of the crusades vol. III. P. 300
- (٢) المقريزى
(٣) ابن العبرى تاريخ مختصر الدول ص ٢٦٤
(٤) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٢٥٣
(٥) ابن العبرى تاريخ مختصر الدول ص ٢٦٥

ذلك الخواجه نصير الدين الطوسي والخواجه أصيل الدين الزوزنى الوزير
مؤيد الدين وابناء رئيس الدولة • "فودع ذلك الحصن الذى ظلت أسرته
تتخذ مقرها لمدة قرنين (١) فجاء فقبل الارض بين يدي السلطان الاعظم (٢)
وتم ذلك صباح الاحد غرة ذى القعدة عام ٦٥٤ هـ ٢٠ نوفمبر عام ١٢٥٦ م (٣)
وباستسلام خورشاه سقطت جميع قلاع الاسماعيليه فى بلاد فارس فى يد هولاء (٤)
ذلك فيما عدا قلعة كردكوه التى صمدت فى مقاومتها حوالى العام حيث سقطت
فى ايديهم عام ٦٥٨ هـ / ٢٦٠ م (٥)

أما ألموت مركز الاسماعيليه الرئيسى فقد أراد قائد حاميتها الاستمرار
فى مقاومة هولاء الا أنها ما لبثت ان استسلمت بعد ان عجز قائدها عن الاستمرار
فى المقاومة ففسقطت فى يوم الاثنين السادس والعشرين من ذى القعدة عام
٦٥٤ هـ ١٥ ديسمبر عام ١٢٥٦ م (٦) وسقوط ألموت توالى سقوط بقية قلاع فارس

- | | | |
|-----|--|---------------------------------------|
| (١) | رشيد الدين | جامع التواريخ ج ١ ص ٢٥٤ |
| (٢) | د • سعيد عاشور | الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١١٤ |
| (٣) | ظلت الالموت قائمة حتى عهد الشاه اسماعيل الصفوى الذى اتخذها
معتقلا لاعداد البلاد "البديلى ٤٤ / ١ | |
| (٤) | الذهبي | ذول الاسلام ج ٢ ص ١٥٨ |
| | | Sykes: A Hist of persia Vol.II.P. 173 |
| (٥) | رشيد الدين | جامع التواريخ ج ١ ص ٢٥٥ |
| | بـ راون | تاريخ الادب فى ايران ج ٢ ص ٢٨٠ |
| (٦) | د • سعيد عاشور | الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١١٤ |

وخراسان القلعة تلو الأخرى (١) ومن أهمها لمر التي سقطت في ذى الحجة عام ٦٥٤ هـ يناير عام ١٢٥٧ م (٢) ولا شك أن نصير الدين الطوسي وحاشيته من أولئك الذين تنعموا في خيرات الاسماعيليين في الموت ، كانوا من أوائل الخارجيين على ساداتهم السابقين حيث زينو لخورشاه ضرورة التسليم وخوفوه من هولاء . وما كان ذلك إلا لعداوة أظهروها للاسماعيلية رغم ما خاطوهم به من كرم وترف وأبهة ورخاء عيش (٣) .

ومن مفارقات القدر أن يتعاون الاسماعيليون في الموت مع المغول في بادئ الأمر على محاربة جلال الدين خوارزمشاه . لأنه كان قد ناصبهم العداء فاعتدى على قلاعهم (٤) . فأوقفوهم على عورات جيشه حيث أرسل أمام الاسماعيليين صاحب الموت عام ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م فعرف التتر ضعف جلال الدين بالهزيمة الكائنه عليه من الملك الأشرف وسلطان الروم وحشهم على قصده وضمن لهم الظفر للوهن الذي هار اليه (٥)

- | | | |
|-----|----------------|--|
| (١) | لسترنج | بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٥٦ |
| (٢) | المقريزي | السلوك ج ١ ص ٣٩٩ |
| | بـروان | تاريخ الادب في ايرات ج ٢ ص ٥٨٢ |
| (٣) | المقريزي | السلوك ج ١ ص ٤٢٠ حاشية ٥ |
| (٤) | الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ١٣٠ |
| (٥) | سبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ٧٠٣ |
| | ابن واصل | مفرج الكروب ج ٤ ص ٣١٥ - ٣١٦ مطبوع |
| | | "كان صاحب الموت وقتذاك شيخ الجبل علاء الدين محمد بن جلال الدين : زامبارز : معجم الانساب : ج ٢ ص ٣٢٩" |

كذلك ابلغوهم بأنه " قد عصى جميع الملوك حولة حتى الخليفة (١) وكان جلال الدين هذا قد أساء الى الاسماعيليين بحربه التي شنها على قلاعهم عام ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م فخرسها وقتل اهلها (٢) . حيث سار في عسكره الى بلاد الاسماعيليه من حدود الموت الى كردكوه بخراسان فخرّب الجميع وقتل اهلها ونهب الاموال وسبى الحرير واسترق الاولاد وقتل الرجال وعمل بهم الاعمال العظيمة وانتقم منهم (٣) .

والواقع أن ذلك لم يكن رغبة في حرهم . وانما كان ردا على اغتيالهم لاميير له كان قد ولاه حكم مدينة كنجة واعمالها . فوثب عليه ثلاثة من الفداويين فقتلوه بظواهرها . هذا الى انهم تمالوا في تحديهم لجلال الدين خوارزمشاه فدخلوا المدينة والسكاكين بايديهم ينادون بشعار علاء الدين (٤) ومن المؤسف أن جلال الدين حينما اكتشف تأمرهم ضده مع هولاء زاد من عداته لشيخهم علاء الدين محمد الثالث (٥) وكان ذلك في الوقت الذي كان يتعين عليه مداراتهم لمصلحته .

- | | | |
|-----|------------|-----------------------------|
| (١) | ابن كثير | ابداية والنهاية ج ١٣ ص ١٢٨ |
| (٢) | ابن واصل | مفج الكروب ج ٤ ص ٣١٧ |
| (٣) | ابن الاثير | الكامل ج ١٢ ص ١٨٢ |
| (٤) | النسوى | سيرة جلال الدين ص ٢٢٩ |
| (٥) | النسوى | سيرة جلال الدين ص ٣٣٩ — ٣٤٠ |

والواقع لقد اخطأ الاسماعيليون في تحريضهم المغول على محاربة جلال الدين حيث انه كان بمثابة السد المنيع بين المغول وبينهم^(١) . وكان سدا بين المسلمين والكفار وسندا لاهل الاسلام من الفجار . كان يدفع التتر عن المسلمين فلما هلك انفتح السد^(٢) . وكانت كسرة خوارزمشاه على حد تعبير الملك الاشرف " سببا لدخول التتر بلاد المسلمين ، وما كان الخوارزمي الا مثل السد الذي بيننا وبين باجوج وماجوج^(٣) . لكن فيما يبدو أن — الاسماعيليين لم يتوقعوا أنهم سيشرهون من نفس الكاس التي شرب منها جلال الدين وهو الدمار الشامل والطرده من القلاع التي طنوا الكثير في سبيل الاستيلاء عليها وامتلاكها من اصحابها . وقد حدث ذلك على يد هولاء هادم المدنية^(٤) وبدأت الجولة بمقتل جلال الدين في منتصف شوال عام ٦٢٨ هـ — ١٦ أغسطس عام ١٢٣١ م بيد أحد الفلاحين الاكراد^(٥) وذلك بالقرب من ميلفارقين^(٦) حيث كان الاكراد يحفظون الطرق لسحت يجمعونه فوق في ايديهم^(٧) .

يضاف الى ذلك ما كان هناك من عداوة قديمة بين الاسماعيليين والخوارزميين . فقد اقبسل الباطنية من قبل على محاولة اغتيال خوارزم شاه

- | | | |
|-----|----------------|---|
| (١) | سيد سيو | تاريخ العرب العام ص ٢٣٢ |
| (٢) | سبط ابن الجوزي | مراة الزمان ج ٢ ص ٦٧٠ |
| | الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ١٣٤ |
| (٣) | ابن كثير | البدايه والنهاية ج ١٣ ص ١٣٢ |
| (٤) | | Ivanow: Studies in Early Persian Ism. P. 27 |
| (٥) | د . سعيد طشور | مصر في العصور الوسطى ص ٣٦٧ |
| (٦) | ابو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٧٤ |
| (٧) | النسوى | سيرة جلال الدين ص ٣٨١ |

مؤسس الدولة الخوارزمية^(١) . حيث قيل " ان الباطنية جهزوا
اليه رجلا ليقتله وكان يحترز كثيرا . فجلس تلك الليلة يلعب بالعود^(٢)
فاكتشف امره . فخاف الباطني منه وارتعد وهرب فاخذوه وحمل اليه
فقرره فاقر فقتله^(٣) . ومن هنا نرى ان قديما لعب دوره في تذكيسة
نار العداوة بينهم . فضلا عن ذلك فان السلطان جلال الدين
كان قد اشار بقتل قافلة من تجار الاسماعيلية فالدين من الشمام
الى اصفهان وكان عددهم ينيف عن السبعين رجلا . وعلى الرغم
من أن جلال الدين طيب خاطر اسد الدين مودود رسول علاء الدين
صاحب الاموت " برد ما اخذ من القتلى^(٤) . فان الاسماعيلية
بيتوا مرا . وخاصة انهم كانوا ملتزمين بدفع جزية للسلطان جلال الدين
وصل مقدارها الى ثلاثين الف دينار^(٥) .

(١) "ينتسب الخوارزميون الى " انوشتكين " وكان عبدا تركيا اشتراه احد
امراء السلاجقة من رجل من غرستان . فاستطاع ان يظهر مسن
الكفاءة . وحسن التدبير ما جعله يسير في سلك الترقى على عهد
ملكشاه حتى عين واليا على خوارزم . فظل في منصبه حتى توفي
عام ٤٩٠ هـ (١٠٩٦ م) . فخلفه ابنه قطب الدين محمد الذي
لقب بخوارزمشاه . واسس دوله التي عرفت فيما بعد بالدولة
الخوارزمية .

ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٩٢ — ٩٣

د . عبد المنعم حسنين : سلاجقة ايران ص ١١٥ — ١١٦

د . فؤاد الصياد : المغول : التاريخ ص ٢١ — ٦٣

(٢)	سبط ابن الجوزي	مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٧١
(٣)	سبط ابن الجوزي	مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٧٢
(٤)	النسوى	سيرة جلال الدين ص ٢٦٥ — ٢٦٦
(٥)	النسوى	سيرة جلال الدين ص ٣٣٦

أما عن هولاء فقد استمر في سياسته العدائية تجاه الاسماعيليين رغم انه انعم على زعيمهم خورشاه وورثه فتاه مغولية ليتزوج منها (١) فواصل تحقيق اهدافه وخطته ضدهم ، واخذ يتطلع الى قلاعهم في بلاد الشام . وكان هولاء قد حافظ — بعض الوقت — على خورشاه حتى يتم تسليم جميع قلاع الاسماعيليه (٢) . لذلك فانه ارسل هولاء — من جانبه مبعوثين الى قلاع الاسماعيليه في الشام صحبة رجلين او ثلاثة من خاصة خورشاه (٣) . وكان القصد من تلك السفارة دعوة الناس هناك الى التسليم فور وصول الرايات الهمايونيه اليهم (٤) .

وكان ذلك في الوقت الذي كان يتحتم على هولاء — اذا فكر في فتح قلاع الاسماعيليه بالشام — ان يغزو بغداد اولا — وخاصة ان العراق وبغداد كانتا جزءا من مخططة لغزو الشرق الادنى (٥) لذلك ، عمل في مفاوضات مع الخليفة المستعصم (٦) . الذي وصف بانه قليل المعرفة بتدبير الملك نازل المهمة مهمل للامور المهمة محبا

- | | |
|--------------------|--------------------------------|
| (١) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١١٥ |
| (٢) رشيد الدين | جامع التواريخ ج ١ ص ٢٥٨ |
| | Guyard: Un grand maitre P. 52 |
| (٣) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١١٥ |
| (٤) رشيد الدين | جامع التواريخ ج ١ ص ٢٥٧ |
| (٥) براون | تاريخ الادب في ايران ج ٢ ص ٥٨٣ |
| (٥) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١١٧ |
| (٦) ابو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٦٤ |

لجمع الاموال ، يقدم على فعل ما يستقيم اهمل امره لأكو حستى
كان فى ذلك هلاكه (١) . ولكتها كانت مفاوضات غير مجدية ، فافتحم
العراق وحاصروا بغداد فى الحادى عشر من شهر المحرم عام ٦٥٦ هـ
(١٨ يناير عام ١٢٥٨ م) (٢) . وتواصل القتال حتى الاحد الرابع من
صفر عام ٦٥٦ هـ (العاشر من فبراير عام ١٢٥٨ م) (٣) . فخرج الخليفة
ومعه اولاده الثلاثة ابو الفضل عبد الرحمن وابو العباس احمد وابو
المنائب مبارك فى ثلاثة الاف من السادة والاشراف والائمة والفضاء
واكابر الدولة واعيان البلد (٤) . وكان خروج كل هؤلاء لمقابلة هولاكو .
على مشارف بغداد للتفاوض فى الامر (٥) .

على ان هولاكو مهد للاستيلاء على بغداد بما اجراه من
مفاوضات سرية مع الوزير الشيعى مؤيد الدين محمد بن العلقمى
الذى اعان على المسلمين فى قضية هولاكو وجنوده (٦) . وكان وزير شوم
على نفسه وعلى اهل بغداد (٧) .

-
- | | |
|----------------------|--|
| (١) ابو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٦٤ |
| (٢) رشيد الدين | اجامع التواريخ ج ١ ص ٢٨٦ |
| (٣) ابن العبرى | تاريخ مختصر الدول ص ٢٨٠
Sykes: A Hist of persia Vol. II. P. 173 |
| (٤) ابن طباطبا | الفخرى فى الاداب السلطانية ص ٢٤٢-٢٤٣ |
| (٥) رشيد الدين | اجامع التواريخ ج ١ ص ٢٩٠ |
| (٦) د . سعيد عاشور | الحرثة الصليبية ج ٢ ص ١١١٦ - ١١١٧ |
| (٧) ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٦٤ |

وكيفما كان الامر فانه يخرج الخليفة على هيئة ما ذكرنا
ادركت بغداد انه لا مفر من القضاء المحتوم . وفي يوم الاربعاء السابع
من صفر عام ٦٥٦ هـ (١٣ فبراير عام ١٢٥٨ م) بدا وطيس القتال
يشدد . فاندفع الجيش للتتري مرة واحفدة نحو بغداد (فاختذوا
بحرقسون الاخضر واليابس ^(١) . وفي يوم الجمعة التاسع من صفر
الخامس عشر من فبراير ، دخل هولاكو بغداد فاستولى على قصر
الخلافه بها ^(٢) . ذلك بعد ان قتل جنودهم جميع من قدروا عليه
من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان ^(٣) . وفي
مساء الاربعاء الرابع عشر من صفر عام ٦٥٦ هـ (٢٠ فبراير ١٢٥٨ م)
تم القضاء على الخليفة المستعصم وابنه الاكبر مع لفيف كبير من
العباسيين ^(٤) . وبذلك سقطت الدولة العباسية بعد حكم دام حوالي
٥٢٥ سنة . كان اولهم السفاح واخبرهم المستعصم ^(٥) . وبذلك
ايضا فتح طريق الشام على مبراعيه امام جيوش هولاكو .

-
- (١) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٢٩
(٢) د . فؤاد الصياد المغول في التاريخ ص ٢٦٥
Marco- Polo Travels P. 26 - 27
(٣) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٠١
(٤) ابن العبري تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٢
(٥) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٠١

ولم يلبث ان وصل هولاء الى حلب وحاصروها * ولكن اهلها بقيادة الملك المعظم تورانشاه من الناصر يوسف الايوبى رفضوا الخضوع والتسليم معتمدين على حصانة قلعتها (١) . فباشروا القتال ضده (٢) . وكان هولاء قد ارسل يقول لاهل حلب نحن انما جئنا لقتال الملك الناصر بدمشق فاجعلوا لنا عندكم شحنة (٣) . فان كانت النصر لنا قالبلاد كلها في حكمنا فان كانت علينا فان شئتم قبلتم الشحنة وان شئتم اطلقتموه . فاجابو مالك عندنا الا السيف فتعجب من ضعفهم وجوابهم (٤) . هذا ولا يستبعد ان يكون — لاسماعيلية حلب في هذا المقام دورا اساسى في تذكية نار لحرب ضد هولاء وحتى لا تتسع رفعة انتصاراته ضدهم ، وحتى ينتقموا لبني جلدتهم الذين قضى عليهم في منطقة الموت . الا ان ذلك لا يمنع ان نعترف لاهل حلب عامه بالصمود والصير .

-
- (٢) ف . فؤاد عبد المعطى الصباد المغول في التاريخ ص ٢٩٤
(٢) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٣٠٦
Runciman: A Hist of the crusades vol.III P.305
(٣) الذهبى دول الاسلام ج ٢ ص ٦٦٢
(٤) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢١٨
وردت كتب هولاء لحكام الشام في مختلف المصادر التاريخية
في صيغ مختلفة وقد اجتهد الباحث ان يصيغها في قالب
مترابط بالباحث .

ولكن على الرغم من ذلك كله فقد شدد هولاء الحصار على حلب لمدة اسبوع حتى فتحت ابوابها في ذى الحجة عام ٦٥٧ هـ ديسمبر عام ١٢٥٩ م فاباح المغول القتل والسلب في المدينة سبعة ايام (١) . ثم بعد ان صدت قلعتها حوالى اربعين يوما عادت فسقطت في يد هولاء في التاسع من صفر عام ٦٥٨ هـ ٢٥ من يناير عام ١٢٦٠ م (٢) . وازاء ما اصاب حلب استسلمت دمشق للمغول دون قتال (٣) . فقد فراهلها وباعوا اموالهم بابحث ثمن (٤) . انقاذا لانفسهم من مصير مظلّم كان ينتظرهم لو انهم نهجوا نهج اهل حلب . وكان هولاء قد ارسل جيشا مع امير من كبار دولته وهو كيتخانويسن فوصلوا دمشق في اخر صفر من عام ٦٥٨ هـ اوائل فبراير عام ١٢٦٠ م فاخذوها سريعا من غير ممانعة ولا مدافع (٥) .

وباستلام دمشق ، ومع مطلع العام ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م تسم الاستيلاء على ديار الشام بأسرها (٦) . اذ استسلمت قلعة بعلبك واخذوا مدينة نابلس وغيرها بالسيف (٧) . وعليه فقد خضعت مصايف اعمالها

- | | |
|--------------------|-----------------------------|
| (١) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٢٥ |
| (٢) المقرئى | السلوك ج ١ ص ٤٢٢ |
| (٣) ابو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٧٦ |
| (٤) ابن العبرى | تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٩ |
| د . فؤاد الصياد | المغول في التاريخ ص ٢٩٦ |
| المقرئى | السلوك ج ١ ص ٤٢٠ |
| (٥) ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢١٩ |
| (٦) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٢٧ |
| (٧) الذهبي | العصور المملوكية ص ٣٠ |
| | دول الاسلام ج ٢ ص ١٦٢ |

لسلطان الغازى الجديد . (١) . وكان النائب فى حصن الاسماعيلية
الثمانية بالشام رضى الدين ابوالمعالي (٢) .

وبسقوط بغداد وحلب ودمشق وحماه اصبح المسلمين فى غرب
آسيا فى موقف خطير (٣) . فقد اضحوا امام الغزو والجديد وانصاره من
الصلبيين شبه اقلية او غرباء بعد ان كانوا هم اصحاب الامر والنهسى
فى البلاد وهم الحكام والامراء واصحاب النفوذ منذ ان فتحت مدينته
دمشق ومعظم الشام على عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب عام ١٤هـ /
٦٣٥م (٤) .

موقعة عين جالوت ونتائجها :
=====

ولما كانت مصر منذ فجر التاريخ هى تاج العلاء فى مفرق الشرق
فقد تعين عليها ان تحمل درع الدفاع عن منطقة الشرق الاسلامى كله .
فنواصل ارسالها لتصد ذلك الخطر الجديد حيث تم للترفتح بلاد الشام
حتى اطراف غزواخليل وبركة وزيء والصلى (٥) .

(١) Guyard : un grand maître. P. 52 - 53

(٢) ابوالمحاسن النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٦

(٣) Runciman: A Hist of the crusades vol .III (٣)
P. 307 - 308

(٤) ابن العبرى تاريخ مختصر الدول ص ١٠١

سيد امير على مختصر تاريخ العرب ص ٤٦ - ٤٧
Huart: Hist des Arabes Tome I.P. 234

(٥) المقرئى السلوك ج ١ ص ٤٢٥

وكان ان تصدى ممالك مصر للمغول ، فانزلوا بهم هزيمة كبرى في موقعة عين جالوت ، في رمضان المعظم عام ٦٥٨ هـ (سبتمبر عام ١٢٦٠ م) . واستطاع السلطان قطزان يردهم على اديارهم ويطردهم من بلاد الشام الامر الذي حقق لدولة المماليك الناشئة مكانة كبرى ، فضلا عن سيطرتها على بلاد الشام ، مما اعاد للوحدة بين مصر والشام تحت زعامة صلاح الدين المماليك (١) .

وبهزيمة المغول في عين جالوت وفرار من سلم من القتل والاسر في بلاد الشام عادت قلاع الاسماعيلية التي كان قد استولى عليها هولاء في بلاد الشام الى حوزة الحكم الجديد (٢) . وكان التتار لما ملكوا الشام سلم الاسماعيليون اليهم اربع قلاع من هذه القلاع . فلم يتركهم المظفر قطز عادت الاربع قلاع اليهم فتسلمها رئيسهم وقتل اصحابه الذين سلموها للتار (٣) . وفي الواقع استطاع المغول في فترة وجيزة السيطرة الكاملة على بقاع واسعة من الاراضي الاسلامية في فارس والعراق والشام . وعليه فلم يبق خارج حكمهم في الجانب الشرقي الا الديار المصرية والحجاز واليمن (٤) . وعلى اثر هزيمة كتيبة في

-
- | | |
|----------------------|---|
| (١) د . سعيد عاشور | العصر المماليكي في مصر والشام ص ٣٤ — ٣٧ |
| (٢) المقرئ | السلوك ج ١ ص ٤٣٣ |
| (٣) ابن ميسر | تاريخ مصر ج ٢ ص ٦٨ |
| (٤) ابو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٨٧ |

عين جالوت اراد هولاكو ان جدد الكرة على بلاد الشام فيرسل جيشا جارا ينتقم لموت قائده (١) . ولكن ظروفه لم تكن تسمح بذلك .
 الخلافات التي طرأت على البلاط المغولي عقب وفاة منكوقان الاخ
 الاكبر لهولاكو (٢) . فضلا عن ذلك فان كل محاولاته لغزو الشام مرة
 اخرى بلغت بالفشل . ويرجع ذلك الى ان " الدولة كانت قد
 تغيرت والسواعد قد شمرت وعناية الله بالشام واهله قد خصلت " (٣)

وبذلك نجت دولة المماليك في مصر من خطر احدثق بها . وكانوا
 قد امتلات قلوب اهل الافاق رعبا منهم ، ولم يحدث احد نفسه بان
 يمكن لقاءهم الى ان انتصر الله للمسلمين بهذه الطائفة من التتار
 الذين هم عسكر مصر . فانهم اسقطوا هيبتهم من القلوب (٤) .
 والواقع فقد انقذت معركة عين جالوت الاسلام والمسلمين من خطر
 فاق في ضراوته الخطر الصليبي الذي دهم الاراضي الاسلامية من
 قبل (٥) . فضلا عن ذلك فانها جعلت الدولة المملوكية في مصر
 والشام من اعظم القوى الى سيطرت على مقدرات الامور في منطقة
 الشرف الاوسط مدة تقرب من قرنين او تزيد حتى قيام الدولة
 العثمانية (٦)

- (١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٤١
 (٢) رشيد الدين تاريخ ج ١ ص ٣١٧
 Runciman: A Hist of the crusades Vol. III.
 P. 311
 (٣) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٢٣
 (٤) ابن واصل مفرج الكروب ج ٤ ص ٣٢٨
 (٥) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٣٧
 (٦)

ترتب على انتصار مصر المماليكية في عين جالوت امران على درجة كبيرة من الاهمية • اولهما القضاء على البقايا الايوبية ففى بلاد الشام على الاطلاق^(١) • وثانيهما وهو ما ترتب على اولهما هو عودة الكيان المصرى الشامى فى دولة واحدة من جديد • ولكن هذه المرة تحت حكم المماليك^(٢) •

وبناء عليه فقد تعين على المماليك اصحاب النفوذ الجدد فى تلك البلاد ان يواجهوا خطرين كل منهما اشد واعنف من الاخر • فاما الخطر الصليبي فقد تحدد موقف المماليك منه على اثر انتصارهم على المغول فى عين جالوت • فاستطاعوا تقليص اظافر الصليبيين بالاستيلاء على حصونهم • الحصن تلو الحصن • وكانت البداية عندما استولى الظاهر بيبرس — الذى تولى امر السلطنة اثر مقتل قطز — فى يوم السبت خامس عشر ذى القعدة عام ٦٥٨ هـ — ٢٢ اكتوبر عام ١٢٦٠ م^(٣) • على انطاكية فى الرابع من شهر رمضان المعظم عام ٦٦٦ هـ — ١٨ مايو عام ١٢٦٨ م ثانى المماليك الصليبية فى بلاد الشام^(٤) كما اعقب ذلك استيلائه على عدة حصون كانت على جانب كبير من الاهمية^(٥) •

- | | |
|--------------------|---|
| (١) د • سعيد عاشور | الايوبيون والمماليك فى مصر والشام ٢٢٣-٢٢٤ |
| (٢) د • سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٣٨ |
| (٣) المقرئى | السلوك ج ١ ص ٤٣٥ |
| | Grousset: Hist des croisades Vol. III. P. 607-608 |
| (٤) ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٥١-٢٥٢ |
| ابن المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٤٣ |
| (٥) ابن الوردي | تاريخ ابن الوردي ج ٢ ص ٢١٩ |
| (٤) د • سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٤٩-١١٥٢ |

الظا هر بپيرس والا سماعيلية :
=====

اما لاسماعيلية فقد تمثل خطوهم في الاقتيالات الخطيرة التي اقدموا عليها كلما واتتهم فرصة للانتقام من غريمهم . والمعروف ، انهم شكلوا طبقة مرهوبة الجانب ظالت تلعب دورا خطيرا في بلاد الشام ابان الجرب الصليبيه بتحالفهم مع الصليبيين احيانا ، و احيانا اخرى مع السفين من المسلمين . وظلوا كذلك حتى كان عهد الظاهر بپيرس ، فخطبوا وده . فقدمت رسل دار الدعوة بالهدايا — وهو على الكرك عام ٦٦١ هـ ١٢٦٣ م — فاحسن اليهم وعادوا (١) . وكان الظاهر بسيس قد استقل مع مطلع العام ٦٦١ هـ ١٢٦٣ م . بجميع الشام ومصر وصفت له الامور (٢) . الا ان ذلك لم يمنع من النظر في امرهم . ففرض عليهم ضرائب عرفت بالحقوق الديوانيه وذلك على الهدايا التي ارسلها الانبرور والبرنس صاحب طرابلس وبعض ملوك الفرنج (٣) . وذلك رسول ملك اليمن السلطان المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن على بن رسول عام ٦٤٧ هـ — ٦٩٩ هـ ١٢٥٠ — ١٢٩٥ م (٤) . الى الاسماعيلية في بلاد لشام طلبا لودعم اووقاية

-
- | | |
|-------------|-----------------------------|
| (١) المقرئى | السلوك ج ١ ص ٤٨٧ |
| (٢) ابن كشر | البفاية والنهائة ج ١٣ ص ٢٣٣ |
| (٣) المقرئى | السلوك ج ١ ص ٥٤٤ |
| (٤) المقرئى | السلوك ج ١ ص ٥٥٣ |

من شرهم وقد اقبل بيبرس على ذلك . افسادا لنواميس الاسماعيليه وتعجيزا لمن اكتفى شرهم بالهدايا . (١) . وحتى يشعروا بالتبعية المطلقة للسلطان الجديد وانه لا مفر من ذلك .

كذلك اقبل بيبرس على خطوة هامة على اثر حرب صفـر وافتتاحه اياها في ثامن عشر موال عام ٦٦٤ هـ — ٢٣ يوليو عام ١٢٦٦ م والتي اوسع فيها الدوايه والاستتاريه قتلا ونهبها حيث امر السلطان بضرب رقابهم عن اخرهم (٢) . وعليه فقد عقد هدنة مع فرسان الاستتارية ونجم عنها القضاء على هديتهم ونفوذهم في المنطقة . فاشترط عليهم الاقلاع عن الاستمرار في اخذ الاتاوات من الحشيشيه واصحاب حماه وشيرز وفاميه (٣) . حدث ذلك عقب استيلائه على هونين وتبين والرملة (٤) . حيث قدم عليه رسول الاستتاريه في ذى القعدة من تلك السنة يطلب اليه عقد صلح معه فانتهمز بيبرس تلك الفرصة فاملى شروطه اولا : فلا احب الا بشرط ابطال مالكم من القطيعه على بلاد ابي قبيس وهي ثمانمائة دينار ، وقطيعتكم على بلاد الدعوة وهي الف ومائتا

- | | |
|--------------------|---|
| (١) المقرئى | السلوك ج ١ ص ٥٤٣ |
| برنارد لويس | الدعوة الجديد ص ١٣٩ |
| (٢) ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٤٦ — ٢٤٧ |
| (٣) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٥٧ — ١١٥٨ |
| (٤) د . سعيد عاشور | الايبويون والمماليك في مصر والشام ص ٢٤٧ |

دينار ومائة مد حنطه وشعير نصفين^(١) . فاجاب الاستتاريه السى
ابطال ذلك^(٢) . ومما لاشك فيه فان الظاهر بيبرس نجح فيما فشل
فيه الاسماعيليون انفسهم في محاولاتهم العديدة لاغنائهم من الجزية
التي كانوا يدفعونها للاستتاريه او الداويه والتي تحالفوا بسببها مع
عورى صاحب بيت المقدس او لويش التاسع من قبل دون ما فائدة .

وبذلك اصبح الاسماعيليون — فيما عدا بعض القلاع مثل المنقة
التي رفضت الخضوع للسلطان حوالى ثلاث سنين الابدع حرب ضارية
بين الفريقين^(٣) . خاضعين بطريف مباشر لسلطان الظاهر بيبرس .
وبناء عليه فقد تعين عليهم ان يدفعوا له ما كانوا يدفعونه من جزية
للاستتاريه^(٤) . فترتب على ذلك ان بدا الالتحام العملى بين السلطان
والاسماعيلين مباشرة ونعتقد ان الاسماعيليين رحبوا بذلك فى بادىء
الامر . فقد وصلت رسالتهم الى مصر فى جمادى الآخرة عام ٦٦٥ هـ —
فبراير عام ١٢٦٧م يحملون الجزية لبيت مال المسلمين لينفق
فى المجاهدين^(٥) . وكانوا يحملونه من قبل قطيعه وجزيه للصليبيين

-
- | | |
|-------------------------|--------------------------------|
| (١) المقرئى | السلوك ج ١ ص ٥٥٠ |
| برنارد لويش | الدعوة الجديدة ص ١٣٨ |
| (٢) د . جمال سرور | دولة الظاهر بيبرس ص ٩١ |
| (٣) فصل من اللفظ الشريف | س ١٣٣ |
| (٤) الذهبى | دول الاسلام ج ٢ ص ١٧١ |
| | Guyard: Un grand maitre . P.54 |
| (٥) المقرئى | السلوك ج ١ ص ٥٥٧ |

ليكون عوناً لهم على حرب المسلمين فيما بعد ، وليعود اليهم على هيئة رماح وسهام تغمد في صدورهم ونيران حارقة تهدم حصونهم فصاروا يحملون القطيعة للملك الظاهر لقيامه بالجهاد في سبيل الله (١)

وفي ذلك الدور اقدم الاسماعيليه على عمل خطير بالنسبة للصليبيين وان كان المسلمون قد افادوا منه فائدة عظيمة . ذلك ان الفداويه اغتالوا زعيماً كبيراً من زعماء الصليبيين في بلاد الشام وهو فيليب مونتفرات يوم السبت الموافق ٢٧ من ذى الحجة عام ٦٦٨ هـ (١٦ اغسطس عام ١٢٧٠ م) (٢)

والواقع ان مصرع هذا الرجل كان خسارة فادحة لبنى جنسه لانه كان هو الرجل الوحيد الذي تمتع بشخصية بارزة وقوية يمكن اعتمادها عليها عندئذ . كما انه كان احد الدعائم الاساسية التي قويت بها الجبهة الصليبية في بلاد الشام . وكان هيو الثالث حاكم ارمينيا الصغرى قد استماله عن طريق المصاهرة بزواج اخته من حنا بن فيليب المذكور لتقوى بذلك اواصر المودة بينهم ، ولتنعكس اثارها الطيبة على تقوية جبهة صور — عكا الصليبية ضد بيبرس (٣) . ولكن اغتياله

-
- | | |
|--------------------|----------------------------|
| (١) المقرئى | السلوك ج ١ ص ٥٥٧ |
| (٢) د . زيادة | حملة لويس ص ٢٥٣ |
| لويس | الدعوة الجديدة ص ١٣٠ |
| (٣) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٥١ |

اضاع احلامهم وقضى على امال هيو . فتمكن بيبرس من الاستمرار فى الاستيلاء على بعض الممتلكات الصليبية فى الشام . مثل حصن صافينشا من الداوية فى شهر رجب عام ٦٦٩ هـ (فبراير عام ١٢٧١ م) (١) . ثم الاكراد من الاسبتارية فى رمضان عام ٦٦٩ هـ (ابريل عام ١٢٧٢) (٢) كما انه استولى على عكا من الاسبتارية ايضا فى رمضان المعظم عام ٦٦٩ هـ (مايو عام ١٢٧١ م) (٣) . وقد اتهم بيبرس بالتدبير لقتله عن طريق حلفائه الاسماعيليين (٤) .

على ان بيبرس نفسه لم يامن مكر الاسماعيليين ، فى الوقت الذى كان فيما يبدو يخشى باسهم وكان رسول الاسماعيلية قد قدم على السلطان بدمشق عام ٦٦١ هـ يتعهد دونه ويتعهدونه ويطلبون منه اقطاعات كثيرة (٥) . لذلك تعين عليه ان يحدد موقفه منهم فيعمل على استئصال شافتهم ويستولى على بلادهم . وعلى ذلك ، فلم يكد يجمع له حكم مصر والشام وحلب (٦) . حتى نجده يقدم بكل قوة على خطة فريدة لسم يسبقه اليها حاكم من قبل . فعزل مقدمهم نجم الدين حسن بن الشعرائى

- | | |
|--------------------|----------------------------|
| (١) ابوالمحاسن | النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٥٠ |
| (٢) د . سعيد عاشور | دولة المماليك البحرية ص ٦٣ |
| (٣) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٥٢ |

5) Runciman: A History of the crusades Vol. III. P. 333

(٥) ابن كثير البداية النهاية ج ١٣ ص ٢٣٩

(٦) ابن فضل الله العمرى التمرى ص ١٨٧

بسبب الرسالة التى بعث بها للسلطان وهو على حصن الاكراد ففى جمادى الاولى عام ٦٦٨ هـ ديسمبر عام ١٢٦٩م يطلب نبيها تخفيض الجزية التى يدفعها الاسماعيليون الى بيت المال ^(١) . وكان الظاهر قد قرر عليه ان يحمل فى العام مائة الف درهم ^(٢) . ولما لم يقبل بيبرس ذلك منه امر على الفور بعزله وتولية صارم الدين مبارك بن الرضى صاحب العليقة بدلا منه ^(٣) . وكان قد وقع بين صارم الدين والسلطان خلاف من قبل فسعى صاحب صهيون للمصالحة بينهما ففله السلطان بلاد الدعوة استقلالا واعطاه طبلخاناه وعزل نجم الدين حسن بن الشعرانى وولده من نيابة الدعوة . وتوجه صارم الدين الى مصياف كرسى بلاد الاسماعيليه فى سابع عشر جمادى الاخره عام ٦٦٨ هـ وصحبته جماعة لتقرير امره ^(٤) . وكان قد اشترط عليه ان تكون مصياف وبلادها وعلى وجه الخصوص الكهف والخوابى والمنقه والعليقه والقدموس — والرصافه للسلطان . كما ارسل صحبته نائبا عن السلطان بمصياف ^(٥)

-
- | | |
|--------------------|---|
| (١) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١٥٨ |
| (٢) الذهبى | الايوبيون والمماليك فى مصر والشام ص ٢٤٠ |
| (٣) د . سعيد عاشور | دول الاسلام ج ٢ ص ١٢١ |
| (٤) المقرئى | الظاهر بيبرس ص ٨٢ |
| (٥) د . سعيد عاشور | السلوك ج ١ ص ٥٨٦ — ٥٨٧ |
| | الظاهر بيبرس ص ٨٣ |

والواقع ان بيبرس لم يتنح بذلك ، وانما تطلع الى ان يخضع الاسماعيليين لسلطانه المباشر^(١) ولتكن مصر مقاما لهم بدلا من الشام وهذه خطوة اخرى جريئة . فمتابع عمله السابق الاشارة اليه بالاستيلاء على معاقلمهم وحصونهم جميعا عام ٦٧٠ هـ / ١٢٧٢ م واقطعتهم بدلا منها بعض الاراضي في مصر^(٢) . ثم لم يمض عام ٦٧١ هـ / ١٢٧٣ م حتى سلمت الاسماعيليه ما كان بقى بايديهم من الحصون وهي الكهف والقدموس والمنبقة وعوضوا عن ذلك^(٣) . وكل هذه الاعمال ان دلت على شيء انما تدل على مدى قوة بيبرس الذي استطاع ان يخضع لسلطانه تلك الفئة العاتية . وبذلك انتهت امرهم في بلاد الشام^(٤) . حيث لم يدع مع الاسماعيليه شيئا من الحصون^(٥) . وقد نجم عن ذلك ان اقيمت الجمعة في بلادهم التي تركوها وترضى عن السحابة وعفيت المنكرات منها واظهرت شرائع الاسلام وشعائهم^(٦) . فضلا عن ذلك فقد انكسرت شوكتهم " وكان الضرر على المسلمين وملوكهم منذ خرج ابن الصباح والى سنة بضع وعشرين وستمئة عظيما^(٧) .

العصر المالكي في مصر والشام ص ٦٣

دولة المماليك البحرية ص ٦٣

البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٦٤

دولة الظاهر بيبرس ص ٩٢

الظاهر بيبرس ص ٨٣

البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٧٥

السلوك ج ١ ص ٦٠٨

تاريخ مصر ج ٢ ص ٦٨

(١) د . سعيد عاشور

(٢) د . سعيد عاشور

(٣) ابن كثير

د . جمال سرور

(٤) د . سعيد عاشور

(٥) ابن كثير

(٦) المقرئ

(٧) ابن ميسر

وسبحان من يداول الايام بين الناس • فقد اتفق على
لك العام — حسب تعبير ابن كثير — وقوع امور عجيبة • ففى
هذه السنة كانت الشام للسلطان الناصر بن العزيز • ثم فى النصف
صفر صارت له ولا كون ملك التتار • ثم فى اخر رمضان صارت للمظفر
ظز • ثم فى اخر ذى القعدة صارت للظاهر بيبرس (١) •

لاسماعيليه والبيت القلاوونى :

لكن وعلى الرغم مما قام به الظاهر بيبرس ضد الاسماعيليه
قد كانت حصونهم لا تزال تتميز بمظاهر القوة والمنعه • لما هدد سلطان
للماليك وشكل خطرا على نفوذهم فى بلاد الشام • لفلك تعين على
لسلطان المنصور قلاوون الذى تولى السلطنة عام ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م
ان يسير على نمط بيبرس (٢) • فوضع فى اعتباره ان بلاد الاسماعيليه
لا بد ان تكون فى حوزته عند اى اتفاق مع الجانب الاخر من الحكومات
الصليبيه • فاشترط فى هدنته المحقوده بينه وبين مقدم الاستاريه
وامارة طرابلس فى المحرم عام ٦٨٠هـ ابريل عام ١٢٨١م (٣) • ان تكون
مصياف وملادها وحصون الدعوة وما اشتملت عليه من البلاد والقلاع
وهى القدموس والكهف والمنبقة والخوابي والرصافه والقلبعه والعليقه
ضمن ما تخضع للسلطان دون منازع (٤) •

- | | |
|--------------------|---|
| (١) ابن كثير | الهداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٢٣ — ٢٢٤ |
| (٢) د • سعيد عاشور | العصر المماليكى فى مصر الشام ص ٦٧ |
| (٣) د • سعيد عاشور | الايوبيون والمماليك فى مصر والشام ص ٢٥٧ — ٢٥٨ |
| (٤) المقرئزى | السلوك ج (ص ٩٧٥ — ٩٧٦ |
- "يلاحظ ان قلعة الخوابى طارت قائمة حتى هدمت عام ٨١٩هـ •
فصارت اشرا بعد عين المقرئزى : السلوك ٧٣/٤ •

والواقع ان قلاوون ومن خلفه افادوا من فداويه الاسماعيليه
فيحدثنا ابن بطوطه انه زار قلاع الاسماعيليه * وقد اوضحها لنا بانها
القدموس المنبقة ، الحليقه ، مصياف الكهف وهذه الحصون لطائفه
يقال لهم الاسماعيليه ويقال لهم الفداويه (١) . كما اضاف ابن بطوطه
قائلا : ولا يدخل عليهم احد من غيرهم ، وهم سهام الملك الناصر (٢)
ومما هو جدير بالذكر ان السلطان الناصر محمد بن قلاوون استعان
بهم في الانتقام من اعدائه . كما انه خصص لهم مرتبات مغرية نظير
ذلك . يدل على ذلك ما ذكره ابن بطوطه من انه اذا اراد السلطان
ان يبعث احدهم الى اغتيال عدوله اعطاه دينه . فان سلم بعد
تاتي مايولد منه فهي له ، وان اصاب فهي لولده (٣) .

وهكذا استطاع الاسماعيليون ان يستعيدوا شيئا من نفوذهم من
جديد بعد ان اضمحل ذلك النفوذ على عهد بيبرس .

تم بتوفيق الله تعالى

-
- (١) ابن بطوطه تحفه النظاري ج ١ ص ٢١
(٢) هو الناصر محمد بن قلاوون : ابن بطوطه * نفس المصدر والجوهر
والصفحة *
(٣) ابن بطوطه تحفه النظاري ج ١ ص ٦١ .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- البخارى : ابو عبد الله محمد بن اسماعيل ٢٥٦ هـ
- صحيح البخارى ١٦ اجزاء القاهرة ١٣٨٦ هـ
- مالك بن انس ١٧٩ هـ
- الموطا : بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى
- جزءان • القاهرة ١٣٥٦ هـ
- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم
- وضع محمد فؤاد عبد الباقي القاهرة ١٩٧٢
- ابن الاثير : هلى بن احمد ٦٣٠ هـ
- الكامل فى التاريخ ١٢ جزء القاهرة ١٣٠٣ هـ
- التاريخ الباهر فى الدولة الاتاكية
- تحقيق عبد القادر احمد طليمات القاهرة ١٩٦٣
- اسد الغابه الجزء الاول
- تحقيق محمود فايد واخرين القاهرة ١٩٦٤
- الاربلى : عبد الرحمن سنه ٧١٧ هـ
- مختصر الذهب المسبوك
- تحقيق مكى السيد جاسم بغداد ١٩٦٤

- الإشعري : أبو الحسن علي بن إسماعيل ٣٣٠ هـ
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين
- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد جزءان القاهرة ١٩٥٠ هـ
- إسماعيل بن منقذ ٥٨٥ هـ
- كتاب الاعتبار
- تحقيق برنستون القاهرة ١٩٣٠ هـ
- الإصفيهاني : العماد الكاتب ٥١٩ - ٥٩٢ هـ
- الفتح القسي في الفتح القدسي
- تحقيق محمد محمود صبح القاهرة ١٩٦٥ هـ
- ابن أبي اس : محمد أحمد المصري ٩٣٠ هـ
- بدائع الزهور في وقائع الدهور ٣ أجزاء القاهرة ١٣١١ هـ
- البدليسي : شرف خان القرن العاشر هـ
- شرفنامه جزآن
- ترجمة محمد علي عوضى مراجعة د . يحيى الخشاب القاهرة ١٩٦٢ هـ
- ابن بطوطه : أبو عبد الله محمد بن عبد الله ٧٢٩ هـ
- رحلة ابن بطوطه
- البغدادى : أبو منصور عبد الله ٤٢٩ هـ
- الفرق بين الفرق

- تحقيق محي الدين العربي
البندارى : الامام الفتح بن على بن محمد
القاهرة ١٩٦٣
-
- كتاب دولة سلجوق
القاهرة ١٩٠٠
- ابن بهادر (محمد بن احمد ت ٨٧٧ هـ / ١٤٧٢ م)
فتوح النصرى تاريخ ملوك مصر جزآن
مخطوط بدار الكتب
رقم ٢٣٩٩ تاريخ
- ثابت بن سنان و (ابن العديم)
تاريخ اخبار القرامطة
تحقيق د . سهيل زكار
بيروت ١٩٧٢
الجاحظ : ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م
رسائل الجاحظ
بيروت ١٩٧٢
- ابن جبير : ابو الحسن بن احمد الكنانى ٩٦٤ هـ
رحلة ابن جبير
بيروت ١٩٧٠
- جعفر الحاجب
سيرة جعفر الحاجب
تحقيق ايفانوف — مجلة كلية الاداب
القاهرة ١٩٣٦
- جعفر بن منصور اليمنى (الداعى)
كتاب الكشف
نشر — ز — ستروطمان
كلكتا ١٩٥٢

— ابن الجوزى : ابو الفرج عبد الرحمن بن على ٥٩٧ هـ

— المنتظم فى تاريخ الملوك والامم ١٠ اجزاء حيدر ابا د
الدكن ١٣٥٩/٥٧ هـ

— تلبيس ابليس

تحقيق محمد منير الدمشقى القاهرة ١٩٢٨

— الجوينى : ابو المعالى عبد الملك امام الحرمين ٤٢٩ / ٤٢٨ هـ

— لمع الادلة فى قواعد عقائد اهل السنة والجماعة
تحقيق الدكتور فقيه حسين محمود القاهرة ١٩٦٥
مراجعة د . محمود الخضيرى

— الجيلانى : على بن فضل الله

— التوفيق بالتطبيق

تحقيق د . محمد مصطفى حلمى القاهرة ١٩٥٣
ابن حزم : ابو محمد على بن احمد ٤٥٦ هـ

— الفصل فى الملل والاهواء والنحل ٤ اجزاء القاهرة ١٣٢٧ هـ

— ابن حيون : القاضى النعمان محمد بن منصور احمد التميمى ٣٦٣ هـ

— داعم الاسلام جزان

تحقيق ناصف فيظى القاهرة ٦٣ - ١٩٦٥

- تاويل الدعائم ٣ اجزاء
تحقيق محمد حسن الاعظمى
القاهرة ١٩٢٠
- رسالة افتتاح الدعوه
تحقيق د . داود القاضي
بيروت ١٩٢٠
- كتاب الهمه في اداب اتباع الائمة
تحقيق د . محمد كامل حسين
القاهرة
- الحمدى اليماني : محمد بن مالك بن ابي القضايل
- كشف اسرار الباطنيه واخبار القرامطه
نشر عزت المطار
القاهرة ١٩٣٩
- ابن خلدون : عبد الرحمن بن على ٨٠٨ هـ
- المقدمة
القاهرة ١٣٠٥ هـ
- العبرود يوان المهتدا والخبر ٧ اجزاء
القاهرة ١٣٠٥ هـ
- ابن خلكان : شمس الدين ابو العباس احمد ٦٨٠ هـ
- وفيات الاعيان ٦ اجزاء
تحقيق محمد محيى الدين العربى
القاهرة ١٩٤٨
- الدوادارى : ابوبكر بن عبد الله بن ابيك
- كنز الدرر وجامع الخمر
الجزء السادس
القاهرة ١٩٦١
- تحقيق د . صلاح الدين المنجد

الدهلوى : شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوى

— مختصر التحفة الاثنى عشرية

القاهرة ١٢٨٧ هـ

تحقيق : محب الدين الخطيب

الديلمى : محمد بن الحسن

— بيان مذهب الباطنية وبطلانه

استنبول ١٩٣٨

نشر • ز • ستروطمان

الذهبي : شمس الدين محمد بن احمد ٧٤٨ هـ

— دؤل الاسلام جؤان

تحقيق فهميم محمد شتلوت ومحمد مصطفى ابراهيم

القاهرة ١٩٧٤

سبط ابن الجوزى : شمس الدين ابن المظفر يوسف بن قزاوغلى ٦٥٤ هـ

— مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان الجزء الثامن

حيدرآباد الدكن
١٩٥٢/٥١

السمرقندى : النظامى العروضى

— جهار مقاله

القاهرة ١٩٤٩

ترجمه د • عبد الوهاب عزام

السيوطي : الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر ٩١١ هـ

— تاريخ الخلفاء — القاهرة ١٣٠٥

— حسن المحاضرة — جزآن

تحقيق محمد ابراهيم ابوالفضل القاهرة ٦٨/٦٧

ابوشامه : شهاب الدين ابي محمد عبد الرحمن ٦٩٦ — ٦٦٥ هـ

— كتاب الروضتين في اخبار الدولتين جزآن — القاهرة ١٢٨٨ هـ

ابن شداد : القاضي بهاء الدين بن شداد ٦٣٢ هـ

— النوادر السلطانية

تحقيق د . جمال الدين الشيال القاهرة ١٩٦٤

الشهرستاني : ابوالفتح محمد ٥٤٨ هـ

— الملل النحل — ٣ اجزاء

تحقيق عبد العزيز الوكيل القاهرة ١٩٦٧

الشيرازي : المؤيد في الدين داعي الدعاء هبة الله

— سيرة المؤيد

تحقيق د . محمد كامل حسين القاهرة ١٩٤٩

— ديوان المؤيد

تحقيق د . محمد كامل حسين القاهرة ١٩٤٩

ابن طباطبا : محمد بن على ٧٠١ هـ
الفخرى فى الاداب السلطانية
القاهرة ١٣٣٩ هـ

الطبرى : محمد بن جرير ٢٢٤ - ٣١٠ هـ

- تاريخ الرسل والملوك الجزء الثالث
تحقيق ؟ محمد ابراهيم ابوالفضل
القاهرة ١٩٦٠
ابن العبرى : غريغوريوس الملقى ٦٥٨ هـ

- تاريخ مختصر الدول
ابن العديم : كمال الدين عمر بن محمد ٦٦٠ هـ
بيروت ١٩٥٨

- زبدة الحلب فى تاريخ حلب ٣ اجزاء
نشر د . سامى الدهان
دمشق ١٩٤٥
- سيرة راشد الدين سنان
نشر د . برنارد لويس

سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)

- الحركة الصليبية جزان القاهرة ١٩٧١
- العصر المالكى القاهرة ١٩٦٥
- مصر فى عصر دولة المماليك البحرية القاهرة ١٩٥٩
- الظاهر بيبرس القاهرة ١٩٦٣
- مصر فى العصور الوسطى القاهرة ١٩٧٠
- قبرس والحروب الصليبية القاهرة ١٩٥٧

- اللابويون والماليك في مصر والشام القاهرة ١٩٧٠
- شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية (بحث في المجلة
التاريخية مجلد ١٦ لسنة ١٩٦٩)
- سامي نسيب مكارم (دكتور)
أضواء على مسلك التوحيد
المغربى : بيروت ١٩٦٦
- ظاهرة تعاظم الحشيش
إسماعيل الكاشف (دكتور)
القاهرة ١٩٦٢
-
- مصر في فجر الاسلام
مصر في عصر الاخشيديين
أصير على
القاهرة ١٩٤٧
القاهرة ١٩٥٠
- روح الاسلام جزآن
ترجمة د . امين الشريف مراجعة د . محمد . مصطفى زيادة
القاهرة ١٩٦١
- مختصر تاريخ العرب
ترجمة منير البعلبكي
بيروت ١٩٧٠
- سميد محمد العزاوي
فرقة النزاره . على ضوء المصادر الفارسية
القاهرة ١٩٦٨

- الشبيب : كامل مصطفى (دكتور)
— الصلة بين التصوف والتشيع
صبحى : احمد محمود (دكتور)
- القاهرة ١٩٦٩
— نظرية الامامية لدى الشيعة الاثني عشرية
طه حسين (دكتور)
- القاهرة ١٩٦٩
جزأ ١
— الله الكبرى
طه شرف (دكتور)
- القاهرة ١٩٥٠
— التزاوية اجداد الفاخان
عارف تامر
- بيروت ١٩٥٥
— الامامة فى الاسلام
عبد النعيم حسنين (دكتور)
- القاهرة ١٩٥٤
— نظامى الكتجرى
القاهرة ١٩٧٠
— سلاجقة ايران والعراق
عمر ابو النصر :
- بيروت ١٩٧٠
قلعة الموت
فؤاد عبد المعطى الصياد (دكتور)
- بيروت ١٩٧٠
— المغول فى التاريخ

ف. بارتولد

— الحضارة الاسلامية

القاهرة ١٩٥٢

ترجمة حمزة طاهر

فيليب حنى (دكتور)

بيروت ١٩٦١

٣ اجزاء

— تاريخ العرب

كرستوفر دوسن

— تكوين اوربا

القاهرة ١٩٦٧

ترجمة د. سعيد عبد الفتاح عاشور

ل. ا. سيديو

— تاريخ العرب العام

القاهرة ١٩٦٩

ترجمة عادل زعيتر

لسترنجسج

— بلدان الخلافة الشرقيه

بغداد ١٩٥٤

ترجمة بشير فرنسيس واخر

لويس (برنارد) — دكتور

— الدعوة الجديد

دمشق ١٩٧٠

ترجمة د. سهيل زكار

متز : آدم

— الحضارة الاسلاميه في القرن الرابع الهجرى

- ترجمة د . محمد عبد الهادى ابوريده
القاهرة بدون
محمد حسن الاعظمى
- الحقائق الخفية
القاهرة ١٩٧٠
- محمد الحسين آل كاشف الغطاء
- اصل الشيعة واصولها
القاهرة ١٩٤٤
- محمد جمال الدين سرور (دكتور)
- التقوى الفاطمية في بلاد الشام
القاهرة ١٩٥٧
- دولة الظاهر بيبرس
القاهرة ١٩٥٨
- محمد مصطفى زيادة (دكتور)
- حملة لويس التاسع على مصر
القاهرة ١٩٦١
- محمد كامل حسين (دكتور)
- (طائفة الاسماعيليه)
القاهرة بدون
- طائفة الدروز
القاهرة ١٩٦٠
- الحياة الفكرية والادبية بمصر من الفتح العربى حتى اخر
الدولة الفاطمية
القاهرة ١٩٥٩
- محمد كرد على
- خطط الشام ج ١ ٢٥١
دمشق ١٩٢٥

محمد مختار باشا

- التوفيقات الالهامية في مقارنه التواريخ الهجرية
بالسنين الافرنكية والقبطية
بولاق ١٣١١ هـ

محمد يحيى الهاشمى (دكتور)

- الامام الصادق
حلب ١٩٥٨

مصطفى غالب

- تاريخ الدعوة الاسماعيليه
دمشق ١٩٥٣
— سنان راشد الدين
بيروت ١٩٧٠

سامى نسيب مكارم (دكتور)

- اضواء على مسلك التوحيد
بيروت ١٩٦٦

مكسيوس مونرود

- كتاب الحروب المقدسه في المشرق
اورشليم ١٨٦٥

ميشيل لباد

- الاسماعيليون بمصياف
دمشق ١٩٦٢
— دائرة المعارف الاسلاميه
الترجمة العربيه

Browne: Edward G.

A literary Hist. of Persia

Vol.I. London 1919.

Defremery.

Essai sur L. Hist. des Ismaelionse ou
Batinions de La perse.

Grousset: Rone

Hist. . des croisades.

III Tomes.

Gustave. E. Von. Grunobaum.

Modieval Islam.

Chicago. 1953

Guyard. S.

Un Grand Maitres des Assassins au Tomp de
Saladin. Paris 1874.

Huart. Ch.

Hist. des Arabes.

II Tomes. Paris 1912, 19

King. Colonel.

The Knights Hospitallers in the Holy Land.
London 1931.

Le Strange. Guy.

Palestine Under the Moslems from A.D. 550-
1500.

London 1890

Lewis: Bernard.

Saladin and the Assassins.

Assassins of Persia. Rome 1971

The Original of Ismailism. London 1941.

Polo: Marco.

Travels. London 1931.

Runciman.

A Hist. of the Crusades.

III Vols. Cambridge

1951-1954.

Sykes.

Hist. of Persia.

II Vols. London 1915.

W. Ivanow.

Studies in Early Persian Ismailin

Loiden. 1948.

Riso Rise of The Fatimids Calcuta 1942.

Kalami Pir. Bombay 1935.

A Guide To Ismaili Lit. London 1933.

OXFORD DICTIONARY. Oxford 1969.

=====